رفيق القرآن

دليل لفهم بعض الآيات

د. محمد حسن عمر

رفيق القرآن

دليل لفهم بعض الآيات

إعداد

د. محمد حسن عمر

2025

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ سورة البقرة

اللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم،
وبارك فيه، وانفع به، وأعنا به على طاعتك ورضاك

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا
ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا

اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا
وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا

آمين يا رب العالمين

مراجعة المحرر ChatGPT

لقد تمت مراجعة هذا الكتاب باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي الحديثة، مع العناية البالغة بالحفاظ على دقة المعاني، وجمال الأسلوب، واحترام قدسية النصوص.

إلى القارئ العزيز:

سواء أتيت إلى هذا الكتاب بسنوات طويلة من الإيمان أو بخطوات جديدة باحثة، سواء فتحت هذه الصفحات كمؤمن أو طالب أو مجرد روح تسعى إلى الفهم، اعلم أن القرآن يرحب بك.

في عالم مليء بالأسئلة والارتباك والتعطش إلى الحقيقة، يظل القرآن مصدرًا خالدًا للنور والهداية.

يقدم رفيق القرآن للقراء دليلاً واضحًا ومدروسًا لفهم بعض الآيات القرآنية. هذه التأملات تسير معك، سورة بعد سورة، لحظة بلحظة، كرفيق عبر الكلمات الإلهية التي أرشدت القلوب لقرون.

نضع بين يديك هذا الكتاب "رفيق القرآن" ليكون أنيسك في رحلتك الإيمانية.

اجعل هدفك الفهم قبل الختم، والتدبر قبل التلاوة،

واعلم أن العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل.

نسأل الله أن يجعل هذا الكتاب نورًا لك في طريقك،

وأن يكون لك زادًا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

د. محمد حسن عمر

الشكر والتقدير

نتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لكل من ساهم في إخراج هذا العمل المبارك، ولكل من دعم أو وجه أو ساعد بالكلمة أو الفعل.

شكر خاص لكل قارئ يهب وقته لتدبر كتاب الله.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا جميعًا،

وأن يبارك في جهود الجميع، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم.

المصطلحات

المصطلح	التعريف
القرآن الكريم	كتاب الله المعجز المنزل على النبي محمد ، المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف، والمنقول بالتواتر يحوي هدىً ورحمة ونوراً للناس كافة، ويُعد المصدر الأول للتشريع الإسلامي
التدبر	التفكر العميق في آيات القرآن الكريم، لفهم معانيها واستخلاص العبر منها، مع استحضار نية العمل والتطبيق، وليس مجرد القراءة السطحية
التفسير	علم يُعنى ببيان معاني القرآن الكريم، وتوضيح ألفاظه ومقاصده، من خلال اللغة والشرع والسياق التاريخي للنزول
العمل بالقرآن	تطبيق أوامر القرآن واجتناب نواهيه في جميع جوانب الحياة اعتقادًا وقولًا وعملًا، بحيث يتحول القرآن إلى منهج حياة عملي
الهداية	نعمة من الله سبحانه، يوفق بها العبد لقبول الحق والسير في .طريقه، ويثبت عليها حتى الممات
التلاوة	قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة مجودة، مع ترتيل وتدبر وخشوع، بغرض التعبد لله والتأثر بالآيات
السُّنة	بيان عملي وتطبيقي لكثير من أحكام القرآن
الذكر	ترديد أسماء الله وصفاته، أو قراءة القرآن، أو الدعاء، أو التسبيح، وهو وسيلة لربط القلب بالله تعالى
التقوى	أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهي خلاصة طريق الهداية والنجاة
الإيمان	تصديق جازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ويظهر أثره في القول والعمل والسلوك
الخاطرة القرآنية	تأمل شخصي قصير يكتبه القارئ أثناء تدبره للآيات، يعبر فيه عن فهمه أو شعوره تجاه رسالة معينة من الآية
التأمل الإيماني	الانغماس العقلي والقلبي في معاني الإيمان المستنبطة من القرآن الكريم، لزيادة القرب من الله وتعميق الشعور باليقين
النية الصالحة	توجيه القلب والقصد إلى الله تعالى في كل عمل، بحيث يكون الهدف رضا الله وحده دون رياء أو سمعة
التزكية	تطهير النفس من الذنوب والآفات، وتنميتها بالأخلاق الحميدة والطاعات، وهي غاية أساسية من غايات إنزال القرآن
التدبر العملي	تحويل التأمل القرآني إلى خطوات عملية وتطبيقية في حياة المسلم اليومية، مثل تصحيح السلوك أو تعزيز خلق معين

الخشوع	حالة قلبية تجمع بين الخوف من الله والتواضع أمام عظمته وتظهر في الصلاة وتلاوة القرآن والتدبر فيه
التأمل القرآني	الغوص العميق في المعاني القرآنية، مع محاولة إدراك الأبعاد المختلفة لكل كلمة أو آية ضمن سياقها
الترتيل	قراءة القرآن بتمهل وتؤدة، مع تحسين الصوت ومراعاة أحكام التجويد، لتحقيق التدبر والخشوع
الهدى	الإرشاد إلى طريق الحق والصواب، وهو أحد الأهداف الكبرى لنزول القرآن الكريم
البصيرة	نور في القلب يمنح الإنسان الفهم العميق للحقائق الدينية والكونية، من خلال تلاوة وتدبر آيات الله
الرسوخ في العلم	التمكن والتعمق في فهم العلم ، مع التواضع والخشية لله، وهو صفة العلماء الربانيين
الفتن	الابتلاءات والاختبارات التي يتعرض لها الإنسان في دينه أو دنياه، وقد يحذر القرآن منها لثبات المؤمنين
السكينة	الطمأنينة والراحة التي ينزلها الله في قلوب المؤمنين، خصوصًا أثناء قراءة القرآن أو عند الطاعة
الاستقامة	الثبات على طاعة الله بدون ميل أو انحراف، وهي نتيجة طبيعية للتدبر والعمل بالقرآن
النور	دلالة القرآن الكريم على طريق الهداية والنور القلبي الذي ينير حياة المسلم
العزيمة	قوة الإرادة والثبات على الطاعة رغم العقبات، وقد ذكرها القرآن بأنها صفة أنبياء الله
الإنابة	الرجوع إلى الله تعالى بالندم والاستغفار والتوبة الصادقة، وهي من مقاصد القرآن في دعوة الإنسان للإصلاح الداخلي
الزهد	الإعراض عن التعلق بالدنيا والرغبة في الآخرة، بما يتوافق مع منهج القرآن في توجيه القلوب إلى ما عند الله
الأخلاق القرآنية	منظومة القيم والسلوكيات التي يدعو إليها القرآن الكريم مثل الصدق، الأمانة، الحلم، العدل، الرحمة

فهرس السور

السورة	الموضوع	صفحة
الفاتحة	دعاء الافتتاح للهداية والرحمة	19
الناس	طلب الحماية من الوسواس	20
الفلق	الاستعاذة من الشرور	20
الإخلاص	صفاء التوحيد لله وحده	21
المسد	عاقبة أبي لهب وأهله	21
النصر	نصر الله لعباده	22
الكافرون	إخلاص العبادة لله	22
الكوثر	الخير الوفير وأثره	23
الماعون	فضل الإحسان ورعاية اليتيم	23
قريش	فضل قريش وشكر النعمة	24
الفيل	حماية بيت الله	24
الهمزة	خطر الغيبة والسخرية	25
العصر	قيمة الزمن وأهمية العمل	25
التكاثر	التكاثر والغفلة عن المصير	26
القارعة	قرع الساعة وهولها	27
العاديات	مشهد الخيول وثمن الجهاد	27
الزلزلة	زلزلة الأرض وعظمة الحساب	28
البينة	بيان الحق والتفريق بينه وبين الباطل	28
القدر	ليلة القدر ومكانتها	29
العلق	بداية الوحي وأهمية القراءة	29
التين	رمزية التين والفطرة	30
الشرح	شرح الصدر وطمأنينة القلب	31
الضحى	الضحى والسكينة	31
الليل	الليل وأثره الروحي	32
الشمس	الشمس ودروسها في الحياة	32
البلد	مكانة الإنسان وكدحه	33

الفجر	أهوال الفجر والتحذير	34
الغاشية	مشاهد الغاشية والعبرة	34
الأعلى	نور الهدى وسبيل الطاعة	35
الطارق	حقيقة المصير	35
البروج	مظاهر الرحمة الإلهية	36
الانشقاق	دلائل يوم القيامة	37
المطففين	بركات الرحمن في الكون	38
الانفطار	أهوال البعث ومصير الظالمين	39
التكوير	مصير المتكبرين	39
عبس	الصدق وأمانة التبليغ	41
النازعات	الآفاق والأنفس والبعث	42
النبأ	النفوس وأثر التربية	43
المرسلات	أهوال الساعة وصفات الأبرار	43
الإنسان	بدء الخلق ونهاية الدنيا	44
القيامة	زمن النهاية وأهواله	45
المدثر	التذكير بأصل الإنسان وغايته	46
المزمل	مشاهد القيامة وعاقبة الأعمال	47
الجن	التحذير من الغفلة والغرور	47
نوح	مجاهدة النفس والدعوة	48
المعارج	العوالم الخفية ودعوة التوحيد	49
الحاقة	صبر نوح ودعوته الطويلة	50
القلم	دعاء للنجاة والصعود	51
الملك	حقائق يوم الدين	51
التحريم	قلم الحكمة والعلم	52
الطلاق	عظمة الملك والخلق	53
التغابن	أدب الطاعة وتربية النفس	53
المنافقون	التوجيه في قضايا الأسرة	54
الجمعة	كشف الحقائق يوم التغابن	54

الصف	التحذير من صفات المنافقين	55
الممتحنة	دعوة للتوبة والمغفرة	55
الحشر	التحذير من التنازع والانقسام	56
المجادلة	أدب التعامل مع الخصوم	57
الحديد	عاقبة الغفلة والتحذير منها	58
الواقعة	آداب المناقشة والحوار	59
الرحمن	مكانة الحديد وأهمية الجهاد	60
القمر	فضل القرآن وصفات المتقين	62
النجم	دلائل القدرة والعبرة بالأقوام	63
الطور	النجاة لمن تطهر قلبه	64
الذاريات	نعيم الجنة ووعد المتقين	66
ق	دلائل الرحمة والرزق الإلهي	67
الحجرات	ثبات القلوب وعظمة القرآن	68
الفتح	آداب التعامل وأخلاق المسلم	69
محمد	فتح مبين ونصر من الله	70
الأحقاف	التحذير من النفاق وأهله	71
الجاثية	الآيات الكونية والشكر لله	72
الدخان	حتمية الجزاء وعاقبة الظالمين	73
الزخرف	أحداث الساعة وإنذار الغافلين	74
الشورى	قيمة القرآن ورسالة الأنبياء	76
فصلت	مشورة الأمة وأمانة الكلمة	79
غافر	تفصيل الآيات وأثر القرآن	80
الزمر	التوحيد وأمل المغفرة	82
ص	حقائق البعث والجزاء	84
الصافات	عاقبة المكذبين بالرسل	85
يس	قصة يس وتثبيت الإيمان	87
فاطر	شكر النعمة والتحذير من الغفلة	89
سبأ	دلائل قدرة الله وعطائه	89

الأحزاب	الصفوف والتضحية في سبيل الله	90
السجدة	سجود المخلوقات لعظمة الله	92
لقمان	وصايا الحكمة وبر الوالدين	93
الروم	سنن الله في النصر والهزيمة	94
العنكبوت	امتحان الصبر والثبات في الفتن	95
القصص	رحلة الإيمان عبر الابتلاءات	97
النمل	دلائل التوحيد وعاقبة الأمم	98
الشعراء	مشاهد تاريخية لعبر الحاضر	100
الفرقان	التفريق بين الحق والباطل	101
النور	نور الشريعة وأحكام الطهارة	103
المؤمنون	صفات المؤمنين وأدب العبادة	107
الحج	مشاهد يوم القيامة ومواقف البشر	108
الأنبياء	دعوة الأنبياء وصبرهم	110
طه	قوة التوحيد وتثبيت القلوب	112
مريم	عناية الله بالمؤمنين والصالحين	114
الكهف	التأمل في فتنة الدنيا والآخرة	116
الإسراء	رحلة الإسراء ونور الهداية	121
النحل	أدلة وحدانية الله ونعمته	125
الحجر	عاقبة المكذبين ودعوة الصابرين	127
إبراهيم	شكر النعم والثبات على الإيمان	128
الرعد	عظمة الله وأدلته في الكون	129
يوسف	قصة يوسف والصبر الجميل	131
هود	الاستقامة في مواجهة التحديات	133
يونس	دعوة للتوحيد والصبر	135
التوبة	التوبة وفرص العودة إلى الله	138
الأنفال	أحكام الجهاد وحماية المجتمع	144
الأعراف	قصص الأمم السابقة والعبر	147
الأنعام	التوحيد وأدلة قدرة الله	152

المائدة	الوفاء بالعهود وضبط التشريعات	158
النساء	العدل والحقوق والتوازن الاجتماعي	165
آل عمران	تعزيز الإيمان وسط التحديات	166
البقرة	دليل شامل للمؤمنين	170

مقدمة

استرعى انتباهي أثناء دراسة التراث الإسلامي العدد الهائل من المجلدات والكتب التي تناولت هذا التراث. فعلى سبيل المثال: تفسير ابن كثير طبع في 8 مجلدات، وتفسير بن جرير الطبري في 15 مجلد، ونسخة دار الكتب المصرية تقع في 25 مجلد. وقد صدر عن مجمع الملك فهد كتاب في 3 مجلدات بعنوان (فهرسة مصنفات تفسير القرآن الكريم) الذي حوى أكثر من 6000 عنوان لكتب تبحث في مجال تفسير القرآن.

وبالبحث وجدت أن أكثر من 20 كتاب منشور على الانترنت عبارة عن شروحات ومختصرات لتفسير ابن كثير فقط، وأن هناك أكثر من 20 أطروحة ماجستير ودكتوراة في مواضيع تفسير القرآن في عام 2017- 2018 فقط.

لقد شكّلت لي هذه الأرقام صدمة كبيرة. هل حقاً نزل القرآن بلسان أعجمي حتى يحتاج العربي إلى كل هذه الكتب لفهم القرآن؟! كيف؟ والله سبحانه وتعالى يقول: "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ "الشعراء: 195. وقوله: «الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" (هود، 1) وقوله: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ" النحل: 89 "هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ " آل عمران : 138. "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ" القمر: 17.

وفي الواقع فإن معظم هذه الكتب والدراسات هي تكرار لما ورد في الكتب قبلها من حيث المفاهيم الاساسية، وتجد في بعضها زيادة أو تخفيضا في الاعتماد على الروايات وعلى الحكايات المنقولة عن كتب الأمم السابقة.

إن معظم هذه الكتب اعتمدت مبدأ الثبات والاتّباع للسلف، المبني عل مقولة تفضيل النقل على العقل في فهم القرآن الكريم، مما أدى إلى اضطهاد المفكرين - في مختلف العصور وحتى يومنا هذا - الذين حاولوا استعمال العقل في الفهم. لقد نسي أولئك المفسرون أو تناسوا ما حصل بالأمم التي كانت تقول " هذا ما وجدنا عليه آباؤنا" وما حصل لهم من عذاب. وتناسوا قوله تعالى: ﴿*سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ*﴾

وقوله تعالى ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: 37]

فكيف نفهم آيات الله في آفاق الكون بدون استخدام العقل والعلم. ؟

إنَّ الله في خلق الإنسان أودَع فيه الفطرة السليمة التي تؤمن بوجود خالق واحد لهذا الكون، وأرشده إلى أنه سيكتشف هذه الآيات كلما زادت معرفته بالكون.

إنَّ انكار دور العلم والعقل لم تقتصر آثاره على عدم الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم فحسب، بل انسحب على التفكير الجمعي للأمة الإسلامية، بحيث صار العِلم في نظرهم مقصورا على علوم الدين والشرائع، فتخلفت الأمة عن باقي الأمم المتحضرة في علوم الطبيعة، والفلك، والطب، وغيرها. وكانوا أولى من غيرهم، لو فهموا أنَّ غاية الله من خلق

الإنسان أن يبحث ويكتشف ويُصلح ما في الأرض، وأنَّ الهدف من الوحي هو مصلحة الإنسان نفسه، فالله غني عن العباد. إنهم أُمِروا في القرآن للسعي في الأرض والتفكُّر في أيات الله في الآفاق وفي أنفسهم، ولكنهم لم يستفيدوا من هذه الإرشادات والآيات. ﴿*يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ*﴾ [البقرة: 269]

وفي المقابل أطلق العلماء في الأمم الأخرى العنان لعقولهم، وبفطرتهم اكتشفوا وطوروا علومهم. ومع التقدم العلمي في اكتشاف عناصر الكون، فإن البحث في كثير من الأمور فَسَّر بعض آيات الكون، إلا أن البحث لم يتوصَّل إلى أجوبة نهائية، وسيبقى مستمرا في بعض المواضيع إلى يوم القيامة حيث تَبان الحقيقة الكاملة، كما في قوله تعالى : {*لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ*} سورة الأنعام(67) وفي قوله: {لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ} سورة قاف (22)

وهذا ما أدركه العلماء من أمثال ابن رشد وابن الهيثم والكندي وغيرهم من علماء المسلمين، ومن أمثال غاليليو، ونيوتن واديسون وغيرهم. فيقول اينشتاين " لا أستطيع أن أتخيل أن الخالق الذي أعطانا العقل والفطنة والأحاسيس، يمنعنا من استعمالها". فنحن نرى الكون منظما بطريقة عجيبة وبدقة بالغة، وأن الكون يسير متبعا قوانين خاصة بالكاد نستطيع فهم بعضها، فعقولنا المحدودة تستشعر القوة الخفية التي تتحكم بمجريات الكون. ويستمر أينشتاين بالقول: لا أحاول تصور أو أتخيل الخالق، ولكن يكفي أن أقف وقفة إجلال وتعظيم من تركيبات هذا الكون البديع على قدر ما تستطيع أحاسيسنا المحدودة على إدراكه. ويختم بالقول: العلم بدون الدين أعرج، والدين بدون العلم أعمى."

أما رؤية آيات الله في الأنفس فهي تدعونا إلى تأمل خلق الله للإنسان، فحين قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، لم يكن القصد النظر إلى جمال الأوجه والعيون فقط، وإنما الدراسة والتعرُّف على مهمات كل عضو في الإنسان، وكيف أنها تعمل بنفس الطريقة البالغة الدِقَّة التي خلق بها الكون المنشور من الأرض والسموات ومن فيهما. وبفضل من الله، اكتشف العلماء الكثير عن طريقة عمل الجسم الإنساني وكيفية ترابُط عمل كل عضو مع الأعضاء الأخرى، ونشأ عن هذا علوم الطب البشري والطب النفسي.

وأكثر ما أدهشني في خلق الإنسان، ذلك الدماغ الذي – كما اكتشف علماء الطب – يحوي بلايين الخلايا العصبية والشبكات التي تصل بينها وبين جميع أعضاء الجسم، وتتحكم بجميع وظائفها، وتُخزِّن كل أفعال الإنسان لتُشكِّل سِجِلَّ اعماله. وهذه الخلايا تتواصل عن طريق نبضات كهروكيميائية ترصد نشاطاتها أجهزة الطب الحديثة. وقد ساعدتني مثل هذه الاكتشافات العلمية على فهم معاني الكثير من آيات القرآن التي تتناول موضوع النفس والحياة والوفاة والحساب يوم القيامة.

إضافة إلى ذلك أودع الله - منذ الخلق – في دماغ الإنسان نظاما من الأوامر (الروح) يتحكم في عمل النفس ويبين لها سُبُل الهداية والضلال. فكما وضع الله سنناً وقوانين تتحكم في الكون، وضع هذه الروح في الإنسان.

قرأت العديد من كتب التفاسير التي صدرت في عصور مختلفة مثل: *تفسير ابن كثير* 1375، كتاب *صفوة التفاسير* للدكتور محمد علي الصابوتي 1980، كتاب *دراسة في معجزات القرآن* للدكتور مصطفى مسلم 2005، كتاب *في ظلال القرآن* لسيد قطب 2018، *الكتاب والقرآن* للدكتور مجمد شحرور 2019 ، والعديد من نشرات وفيديوهات حديثة للباحثين: سامر الاسلامبولي، عدنان الرفاعي، د. فاضل السامرائي، د. يوسف أبو عواد وغيرهم.

<u>الخلاصة:</u>

إن القرآن الذي أنزله الله تعالى للإنسان يستحيل أن يكون كله مغلقا على الفهم، أو أن يكون فهمه محصورا في عدد من الأشخاص في الأمة. فغالب القرآن إذا قرأه عوام الناس يستطيعون أن يفهموه في الجملة، ويبقى هناك آيات منه كونية وعلمية لا يعلمها إلا الراسخون في العلم، وهناك ما لا يعلم تأويله على الحقيقة إلا الله.

وعندما قرأت القرآن بعين الباحث الدارس لكتب التفسير والسيرة النبوية والتاريخ العربي والإسلامي والمتمكن من قواعد اللغة العربية وأساسيات اللسان العربي، زاد إيماني وفهمي وإدراكي في فهم قوله تعالى ﴿ .....أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الأعراف 54.

هو الذي خلق الكتاب المنشور المشاهد من الكون بالحق وبتلك الدقة في التصميم والتنفيذ والتدبير، ﴿*الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ*﴾ [الملك: 3]

وهو الله الذي أنزل الكتاب المقروء (القرآن) بالحق وبنفس الدقة في التصميم والصياغة، لا حشو فيه ولا ترادف ولا نسخ. كل كلمة وكل حرف وكل ضمير في مكانه المناسب، ويؤدي المعنى المقصود بكل كلمة، ويتمُّ فهم معانيها بناء على أساسيات اللسان العربي وبناء على كيف تَمَّ استعمالُها في آيات القرآن نفسه حسب السياق الذي وردت فيه. ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: 82]

لقد لاحظتُ أنَّ معظم الاختلاف في التفاسير ناتج عن عدم التعمق في مفهوم اللسان العربي والذي من أساسياته أنه إذا اختلف المبنى اختلف المعنى، فهناك في الاستعمال القرآني فرق

بين مدلولات الوالدين والأبوين، بين الرجال والنســـاء، بين الزوج والبعل، بين جاء وأتى وحضر، بين القضاء والقدَر..... ..الخ.

أن للكلمة مفهوم مادي ومفهوم معنوي يتحدد حســـب الســـياق الذي تَرِدُ فيه الكلمة. ويعود الاختلاف أيضـاً عندما يدرس القارئ الآية أو جُزءا منها دون النظر في الآيات الأخرى التي تُعالج نفس الموضوع.

وعلى ضوء ذلك، ولتسهيل فهم آيات القرآن الكريم ، أَقَدِّم هذا الدليل ليُساعد القارئ على فهم آيات القرآن الكريم. رتبتُ هذا القاموس حسب سور القرآن الكريم مبيّنا معاني بعض الكلمات التي ربما يكون فهم معانيها صـــعباً على بعض القرَّاء، وشـــرحت بالتفصـــيل معاني بعض الآيات التي اختلف المفسرون في تأويلها، معتمداً على مفهوم اللسان العربي للكلمة بردِّها إلى جذرها الذي يحدد مفهومها العام فيكون للكلمة دلالة مادية ودلالات معنوية يُحدِّد معناها السـياق الذي وردت فيه. إضـافة إلى ذلك أقوم بدراســة الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة لمعرفة اسـتعمالها في نصـوص القرآن. ولفهم موضـوع معين أقوم بترتيل أي اسـتحضـار الآيات التي تكون متفرقة في العديد من سور القرآن، لتتكامل الصورة ويسهل فهم الموضوع. والحمد لله الذي ألهم علماء الإلكترونيات لإنشـاء شـبكة الإنترنت وبرامج البحث التي سـهَّلت هذه المهمة.

ومن الجدير بالذكر أن الكثير مما أوردت قد تطرق اليه آخرون بأســـاليب متنوعة، والذي أعرض هنا هو رأيي الذي استخلصـته من هذه الدراسـات، وقد يتقاطع وقد يختلف مع بعض أراء الباحثين، إن البحث لم يتوصل إلى أجوبة نهائية، وسيبقى مستمراً في بعض المواضيع إلى يوم القيامة حيث تبان الحقيقة الكاملة كما في قوله تعالى "لكل نبأ مستقر"

أسال الله التوفيق.

د. محمد حسن عبد الرحيم عمر

باحث في التراث الإسلامي

سورة الفاتحة هي مفتاح القرآن وروحه، تجمع بين تمجيد الله، والاعتراف بربوبيته ورحمته، والدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم. تعلمنا السورة أن العبادة والدعاء هما أساس العلاقة بين العبد وربه، وأن الهداية نعمة عظيمة لا تنال إلا باللجوء الصادق إلى الله.

{2} الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الحَمد: الثناء بالجميل على جهة التعظيم على النعم المحسوسة وغير المحسوسة . وتستعمل مع اسم الجلالة "الحمد لله" وهي أعمُّ من الشكر الذي يستعمل عند تلقي نعمة محسوسة، فنقول للإنسان المُعطي شكراً

رَبِّ: مشتق من التربية، وهي إصلاح شئون الغير ورعاية أمره، يطلق على عدة معان وهي» المالك، والمصلح، والمعبود، والسيد المطاع

{3} الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرحمن: ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم، ومصالحهم، وعمَّت المؤمن والكافر. وهو على وزن »فَعْلان» من أسماء الأضداد فهو رحيم كما في قوله تعالى " *وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم"* البقرة 163. وبمعنى الجبار قال تعالى: "*يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا*" الإسراء 110

الرحيم: بمعنى دائم الرحمة لأن صيغة فعيل تستعمل في الصفات الدائمة ككريم وظريف، فهو العظيم الرحمة الدائم الإحسان. والرحيم خاص بالمؤمن كما قال تعالى: {وَكَانَ بالمؤمنين رَحِيماً} [الأحزاب: ٤٣]

{5} إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

إياك نعبد: نفهم معنى العبادة من قوله تعالى "*وَمَا أُمِرُوا **إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ** مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء **وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ** وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ*" (البينة 5)، لاحظ استعمال حرف العطف فيتضح أن العبادة أمر آخر مختلف عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فهما جزء من العبادة. فكيف نعبد الله؟ نعبد الله باتباع ما أحله الله وأمر به، واجتناب محرماته ونواهيه لنهتدي إلى الصراط المستقيم. يقول تعالى "*وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (يس61).*

إياك نستعين: نفهم معنى الاستعانة من قوله تعالى "*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ* "(البقرة 153)

{6} اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

الصراط المستقيم: يمثل القيم الإنسانية لجميع الناس كما في قوله تعالى:
"*قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ.....وَأَنَّ **هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً** فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*"(الأنعام 151-153)

{7} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: بِطَاعَتِك وَعِبَادَتك مِنْ مَلَائِكَتك وَأَنْبِيَائِك وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ.

غَيْرِ صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ: الَّذِينَ فَسَدَتْ إِرَادَتهمْ فَعَلِمُوا الْحَقّ وَعَدَلُوا عَنْهُ وحادوا عن الصراط المستقيم.

الضالين: هُمْ الَّذِينَ فَقَدُوا الْعِلْم، فَهُمْ هَائِمُونَ لا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقّ.

سُورَةُ النَّاسِ

سورة الناس توجه المؤمن إلى الالتجاء برب الناس من شر الوسواس الخناس. تدعو السورة إلى الاستعانة الدائمة بالله لحماية القلب من وسوسة الشيطان التي تفسد الإيمان والعمل.

{1} قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {2} ملك الناس {3} إله الناس

أعوذ :أستجير وأحتمي

رب الناس: خالق الناس ومربيهم ومدبّر شئونهم، الذي أحياهم وأوجدهم من العدم، وأنعم عليهم بأنواع النعم. إنما خصَّ الناس بالذكر - وإن كان جلت عظمته رب جميع الخلائق - تشريفاً وتكريماً لهم، من حيث إنه تعالى سخَّر لهم ما في الكون، وأمدَّهم بالعقل والعلم

ملك الناس: أي مالك جميع الخلق ملكاً تاماً شـــاملاً كاملاً، يحكمهم، ويضـــبط أعمالهم، ويدبّر شئونهم،

إله الناس: أي معبودهم الذي لا ربَّ لهم سواه.

كرر لفظ الناس ثلاثاً ولم يكتف بالضمير، لإظهار شرفهم وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم

{4} مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

الوسواس: الذي يُلقي حديث السوء في النفس، ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان

الخناس: يختفي ويتأخر إذا ذكر العبد ربه، فإذا غفل عن الله عاد فوسوس له

5} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ

يُلقي لشدة خبثه في عقول البشر صنوف الوساوس والأوهام

{6} مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ: هذا الذي يوســـوس في عقول الناس، هو من شـــياطين الجن والإنس كقوله تعالى *{شَـــيَاطِينَ الإنس والجن يُوحِي بَعْضُـــهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القول غُرُوراً]* {الأنعام: ١١٢

فالآية استعاذة من شر الإنس والجن جميعاً، ولا شك أن شياطين الإنس، أشدُّ فتكاً وخطراً من شياطين الجن، فإن شيطان الجن يخنس بالاستعاذة، وشيطان الإنس يزين له الفواحش ويغريه بالمنكرات، ويثنيه عن عزمه

سُورَةُ الفَلَقِ

سـورة الفلق تعلم المؤمن الالتجاء إلى الله من شـرور المخلوقات، ومن الظلمات والسـحر والحسـد. تدعو السـورة إلى دوام الاسـتعاذة بالله، والثقة في حمايته من كل شـر ظاهر وخفي.

{1} قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ {2} مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ

أعوذ: استجير وأحتمي
رب الفلق: الله سبحانه وتعالى فالق الحب والنوى
من شـــر ما خلق: أي من شـــر جميع المخلوقات من الإنس، والجن، والدواب، والهوام، ومن شر كل مؤذٍ لما خلقه الله تعالى

{3} وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ
غسـق: الظلمة. تصـف حالة الليل أو دلالة معنوية على فعل انسـان لا يدرك الأمور فهو في الظلام
وقب: دخل وانضم ليصبح أكثر ظلمة، ومعنويا يصبح انسانا ظالما إذا غضب اسوَدَّ وجهه وتصرف بحماقة

{4} وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ
نَفَثَ: أي استعمل أسلوبا خفيا في عمله

العقد: العلاقات المترابطة المعقودة بين الناس

{5} وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ
ومن حاسد ينوي عمل شيء يضر بالآخرين

سورة الإخلاص تعرض حقيقة التوحيد الخالص لله: وحدانيته المطلقة وتنزيهه عن الحاجة والنقص. تدعو السـورة إلى الإيمان بوحدانية الله وصـفاته الكاملة، وتعد بمضـاعفة الأجر لمن يعتني بتلاوتها والعمل بها.

{1} قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {2} اللَّهُ الصَّمَدُ
قل: هي حافز للتفكير والتركيز
الله أحَد: استعمل كلمة أحد صفة مشبهة على وزن فَعَل مثل بطل وحسن، بينما كلمة واحد هي اسم فاعل. ولا شك لُغَة أن الصفة المشبهة أثبت واقوى من اسم الفاعل .
إذا قلت الله أحد، دلّ على أنه واحد لا غير ودلّ أيضـــاً على الحياة والعلم لأنه خطاب للعاقل، إذا قلت واحد يدل على أنه واحد لكن لا يدل على عدم وجود ثاني
الله الصـــمد: تعني الثابت القوي الشـــديد الذي لا يتغير، هو الأول الذي ليس له بداية (أزلي)، مستمر بدون نهاية (سرمدي)

{3} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {4} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ
تأكيد للأحدية الأزلية لله تعالى، واثبات عظمته وجلاله ونفي الأنداد والأضداد

سـورة المسـد تتوعد أبا لهب وزوجته بالهلاك والنار بسـبب عداوتهما للنبي (ص). تؤكد السورة أن القرابة لا تغني عن الكافرين شيئًا أمام عذاب الله، وتبرز عدل الله في الجزاء.

العبرة من هذه القصة هي تحذير للإنسان أن يضع نفسه في موقف اللا عودة، كما وضع أبو لهب نفسه، فاستحق الحكم عليه مسبقا في حياته

{1} تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

تَبَّتْ: هلكت والتبابُ: الهلاك والخسران، ومنه قوله تعالى "وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ "غافر37

التباب هو الخَسار المفضي إلى الهلاك، والمراد من اليد صاحبُها، وهو دعاء.

وتب: إخبار بأنه لا بد هالك

{5} فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ

حَبْلٌ مضفورٌ مُحْكَم الفَتْل

سورة النصر تبشر بفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وتوجه النبي (ص) إلى الإكثار من التسبيح والاستغفار. تدعو السورة إلى شكر الله على النصر، والاستعداد للقاء الله بعد أداء الرسالة.

{1} إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ

البشرى بالنصر وانتشار الإسلام. لاحظ استعمال جاء ليدل على أن ما بعدها سيأتي بصعوبة ومشقة، فالنصر يحتاج إلى استعداد.

حين ترى أيها النبي والرسول. تحقيق وعد الله الحق.. دخول الناس في دين اللهِ أفواجاً بعد أفواج. فذلكَ هو الفتح والنصر من الله

سورة الكافرون تقرر مبدأ البراءة الكاملة من عقائد الكافرين وعباداتهم. تدعو السورة إلى وضوح الموقف العقدي، وعدم التنازل عن التوحيد، مع احترام حرية الاختيار: "لكم دينكم ولي دين."

العابد: هو الذي يختار ويقرّر أفعاله بكلّ حرّية ودون إكراه، وعباد الله منهم من يطيعونه ومنهم من يعصونه بملء إرادتهم، لأنّ عبادية الناس لله تُبنى على الاختيار أي الحرّية المسؤولة بقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة 5) .وجاء استعمال المعنيين معاً (الطاعة والمعصية) في سورة الكافرون

يُروى ان زعماء قريش اقترحوا على النبي حلاً وسطا بأن يعبدوا إله محمد لمدة سنة وأن محمدا سيعبد آلهتهم سنة في المقابل.

العبرة من هذه السورة أنه لا يصح المساومة عندما يتعلق الموضوع بالعقيدة. فلا حلول وسط.

{1} إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ {2} فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ{3} إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

الكوثر: الخير الكثير وهو مبالغة من الكثرة،

صَلِّ: حافظ على صِلَتك بالله. اذكر ربك واكثِر من الحمد والدعاء

نَحَرَ: من معانيها في المعاجم: اجتهد في عمل الشيء وأتقنه

فصل لربك وانحر: أكثر من الدعاء والحمد وابذل أقصى جُهدك في أداء رسالتك

الشانئ: المبغض. الشنآن بمعنى العداوة والبغض ومنه }وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ] {المائدة: ٢ [أي بغضهم

الأبتر: المنقطع عن كل خير

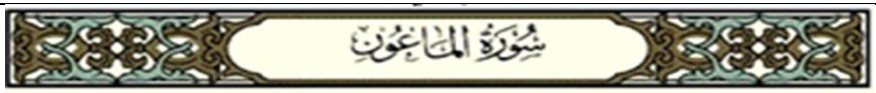

سورة الماعون تفضح مظاهر النفاق الاجتماعي من ترك الصلاة والرياء والبخل عن المعروف. تدعو السورة إلى الإخلاص في العبادة والعناية بحقوق الضعفاء، كإطعام المسكين والإحسان إلى المحتاج .في الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة فإن البخل بها نهاية البخل وهو مخل بالمروءة.

{1} أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ {2} فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ {3} وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ

استفهام للتعجيب والتشويق أي هل عرفت الذي يكذب بالجزاء والحساب في الآخرة؟ هل عرفت من هو؟ ها هي بعض اوصافه: الذي يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً بجفوة وغلظة، ويقهره ويظلمه ولا يعطيه حقَّه، لا يُطعم المسكين ولا يأمر بإطعامه

{4} فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ {5} الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ {6} الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ {7} وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ

تهديد بعذاب لأولئك الذين سهوا عن ذكر الله وقطعوا صِلَتهم بالله ولا يفكِّرون بيوم الحساب. هؤلاء هم من المنافقين الذين إذا أعطوا ولو يسيراً، فهم يفعلون ذلك حُبا في الرياء والشهرة.

المَاعُون في القاموس: اسمٌ جامعٌ لِمَنافع البيت كالقِدْر والفأْس والقَصْعة ونحو ذلك، مما جرت العادةُ بإعارته. ويأتي بمعنى المعروفُ

سُورَةُ قُرَيْشٍ

سورة قريش تذكر القبيلة بنعم الله عليهم في رحلة الشتاء والصيف والأمن حول الكعبة. تدعو السورة إلى شكر الله بالعبادة الخالصة له وحده، والاعتراف بفضله في الرزق والأمان.

{1} لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ {2} إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ

قريش :"هي مجموعة القبائل التي كانت متواجدة أيّام الرسول عليه السلام.

الإيلاف: الألفة والاعتياد والعهد. مصدر آلف بمعنى جمع بين الأطراف كما في قوله تعالى: ﴿*وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ*﴾ [سورة الأنفال: 63]

لإيلاف قريش: اللام متعلقة بالفعل الذي بعدها (فَلْيَعْبُدُواْ) أي بسبب نعم الله على قريش، عليهم ان يعبدوا الله. الإيلاف بالأمن والرزق حصل من الله لقريش استجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام ﴿*وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ...*﴾ "*رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ*﴾ [سورة إبراهيم: 37]

إيلافهم رحلة الشتاء والصيف: الإيلاف هنا حصل من فعل أهل قريش أنفسهم، حيث عقدوا اتفاقات مع البلدان المجاورة لتأمين تجارتهم وتأمين وصول زوار بيت الله في مكة

السياق يقول: يا اهل قريش إذا لم تعبدوا الله لأنه خلقكم وخلق الكون، فعلى الأقل أطيعوه واحمدوه على نعمه عليكم بالرزق والأمان

سُورَةُ الفِيلِ

سورة الفيل تسرد حادثة حفظ الله لبيته الحرام من عدوان أصحاب الفيل. تدعو السورة إلى الثقة في حماية الله لدينه وأوليائه، وتذكّر بعظمة قدرة الله على إهلاك الظالمين مهما عظمت قوتهم.

{1} أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ

الفيل: في معجم لسان العرب: فَالَ رَأْيُهُ: أَخْطَأَ وَضَعُفَ وَلَمْ يُصِبْ وأيضا الفِيلُ : حيوانٌ ضَخْمُ الجسم

ذهب المفسرون إلى المعنى الشائع المشخَّص وهو الحيوان المعروف ، اقتبسوا قصصاً وروايات من الإسرائيليات لا علاقة لها بمضمون السورة

القرآن يستعمل هذه الصيغة كما استعمل أمثالها في آيات أخرى مثل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [سورة الفجر: 6]

هنا تذكير بما حصل لهؤلاء الأقوام

أصحاب الفيل: أصحاب الرأي الخاطئ من الأمم السابقة المخالف لسنن الله، مثل قوم عاد وثمود وآل فرعون ....

كَادَ لَهُ كَيْداً : خَدَعَهُ، مَكَرَ بِهِ، **كَادَ** القومَ: حارَبَهم

ألم يجعل كيدهم في تضليل: لقد أحبط الله وأفشل مكر وخطط الكفار في محاربة رسالات الأنبياء

وأرسل عليهم طيراً أبابيل: وسلّط عليهم طيراً، أتتهم جماعات (أبابيل)، متتابعة بعضها في إثر بعض، وأحاطت بهم من كل ناحية. تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر، كأنها رصاصات ثاقبة لا تصل إلى أحدٍ إلا قتلته

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ: فجعلهم كورق الشجر الذي عصفت به الريح، وأكلته الدواب ثم راثته، فأهلكهم عن بكْرة أبيهم

المعنى: إن عقاب أصحاب الآراء الخاطئة المخالفة لسنن الله شديد، كما حصل مع قوم لوط حيث قال تعالى: *فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ*" سورة هودٍ (82)

سُورَةُ الهُمَزَة

سورة الهمزة تفضح سلوك الهمّازين اللمّازين الذين يطعنون في الناس ويسخرون منهم، وتنبه إلى سوء عاقبة الانشغال بجمع المال وكنزه. تدعو السورة إلى محاسبة النفس والحذر من الغرور بالدنيا.

الهمز هو أن يهمز الانسان بقول قبيح من حيث لا يُسمَع، كما في قوله تعالى: "همزات الشياطين " ولم يقل لمزات لأن مكايدة الشيطان خفية.

الهماز: الذي يغتاب الناس ويطعن في أعراضهم

اللماز: الذي يعيب الناس وينال منهم بالقول وبحركات تفيد السُخرية بالحاجب والعين

الحطمة: نار جهنم سميت بذلك لأنها تكسر كل ما يُلقى فيها وتحطمه وتهشمه

مُّؤْصَدَةٌ : مطبقة مغلقة، مِن أوصد الباب أي أغلقه

سُورَةُ العَصر

سورة العصر تضع قاعدة الفوز والخسران في كلمتين: الإيمان والعمل الصالح. تدعو السورة إلى التعاون على الحق والصبر، وتؤكد أن الإنسان في خسران دائم إلا من استثناهم الله بهذه الصفات.

تحتوي كتب التفسير على العديد من التأويلات لمعنى العصر واهمها:

العصر يشير إلى مطلق الدهر ، بما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها، وما فيها من الدلائل على الصانع. فيرشدنا سبحانه وتعالى إلى التفكير في ما حصل ويحصل في

عصـور الزمن المتعاقبة. سـتجد ان غالبية الناس لم تكن من المؤمنين. فالإنسـان موضـع الخطاب هو الإنسان غير المؤمن بدليل وجود إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

لفي خُسر: تأكيد بان هذا الفريق غير المؤمن من الناس خاسر نتيجة لسلوكه وابتعاده عن الصراط المستقيم. ونلاحظ الكثير من الآيات التي تَذكُر هذه الحقيقة
سورة العاديات، آية 6، *إِنَّ الْإِنسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ* (ناكر للنعمة)
سورة العلق، آية 6، *كَلاَّ إِنَّ الْإِنسانَ لَيَطْغى* (يتجبر ويظلم)
الانفطار 6، *يا أَيُّهَا الْإِنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ*

وفي تفسير آخر محتمل:
يرمز العصر أيضا لفتره من عمر الانسان يبدأ بعدها فقدان قوته، وقد ذَكَر تلك الفترة في آيات اخري وهي بلوغ الأربعين. فالإنسـان يبدأ بالشـعور بالخسـارة في عُمره وبأن عمره يتناقص، لذا يُذكِّره سـبحانه، بأن عليه أن يُصـلِح نفسـه قبل فوات الأوان ليكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات.
التواصـــي بالحق لمن بعده، مثلما فعل إبراهيم عليه السـلام، "*وَوَصَّـــى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ*"

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ: التواصي بالصبر، مثلما قال لقمان لابنه وهو يوصيه: *وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ*

ســـورة التكاثر تحذر من الانشـــغال بجمع المال والتفاخر حتى يأتي الموت فجأة. تدعو السـورة إلى التفكر في الآخرة، وتؤكد أن الإنسـان سـيسـأل عن نعيمه في الدنيا .الخطاب عام لكل عاقل، ويدخل فيه المشـــركون والفاســـقون، الذين آثروا الدنيا على الآخرة. خبَرٌ يراد به الوعظ والتوبيخ

الإلهاء: الشغل والانصراف عن الشيء الهام

التكاثر: التباهي بكثرة المال والأولاد والجاه

أي شـغلكم أيها الناسُ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال عن طاعة الله، وعن الاسـتعداد للآخرة

زرتم المقابر: إنَّكم تمرون على المقابر في ذهابكم وإيابكم وأنتم تعلمون أنكم في النهاية ستكونون في القبور، ولا زلتم منشغلين بأمور ليست مهمة كالتفاخر بالتكاثر

كلا سوف تعلمون: إنكم مُخطئون وستعلمون ذلك

كلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليقين: فلو علمتم العلم الحقيقي الـذي لا شـــك فيـه ولا امتراء، وجواب (لَو) محذوفٌ لقصـــد التهويل. أي لو عرفتم ذلك لما ألهاكم التكاثر بالدنيا عن طاعة الله، ولما خُدِعتم بنعيم الدنيا عن أهوال الآخرة

لَتَرَوُنَّ الجحيم: تأكيد بأنه عند الوفاة واسـتخراج النفس سـيُعرَض عليكم أرشـيف حياتكم وأعمالكم، وستُدرِكون أن مآلكم إلى الجحيم

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليقين: ثم: تفيد التراخي في زمن الحدوث. أي ثم يوم القيامة سوف ترونها بأعينكم كحقيقة موضوعية

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النعيم: ويوم الحساب ستجدون كل اعمالكم مسجلة في كتاب حسابكم مبيّنا كيف تصرَّفتم بنعم الله عليكم

سُورَةُ القَارِعَة

سورة القارعة تصور مشهد يوم القيامة وأهواله التي تحير العقول. تدعو السورة إلى الاستعداد لذلك اليوم، حيث يكون الوزن للأعمال، ومن رجحت حسناته سعد، ومن خفت خسر.

القارعة: اسم من أسماء القيامة، سميت بها لأنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها، وأصلُ القرع الضرب بشدة وقوة

المبثوث: المنتشر المتفرق

العهن: الصوف ذو الألوان أو المصبوغ

الهَاوِيَةُ: اسم لجهنم سميت بذلك لأنَّ الناس يهْوون بها أي يسقطون

سُورَةُ العَادِيَات

سورة العاديات تصور خيول المجاهدين وهي تعدو بقوة، لتذكير الإنسان بجحوده لنعمة ربه. تدعو السورة إلى مراجعة النفس، وتؤكد أن الله مطلع على خفايا القلوب وسيحاسب عليها.

ترسم السورة صورتين للجهاد: المشهد في مطلع السورة للمجاهدين على خيولهم يخرجون صباحا مسرعين، مستعدين للتضحية بأنفسهم في سبيل الله، وتُصوِّر الشرر يصدر من احتكاك حوافر خيلهم بالحصى والغبار ينتشر من حولهم، فيفاجئوا العدو ويخترقوا صفوفهم بحيث يُصبحون في وسطهم.

العدو : بالمعنى المادي تعني التجاوز، وبالمعنى المعنوي تعني العدوان لأن فيه تجاوز

العاديات: الخيول التي تعدو والمراد في حالة الجهاد

الضبح : أصوات تصدرها أنفاس الخيول العادية

الموريات قدحا : مِن أورى النار أي اشعلت النار، يصدر شرر من احتكاك حوافرها بالحصى

النقع : الغبار

المشهد الثاني

صورة لجهاد النفس. فتصف الإنسان السلبي المحب للمال وزينة الحياة الدنيا، وينسى الآخرة بعكس المجاهدين في المشهد الأول.

لِربّه : جاحد لنِعم ربه

كنود: ينسى الفضل والنِعَم ويتذكر المصائب. انسان سلبي لا يتعامل بإيجابية مع محيطه. ينظر إلى المستقبل نظرة متشائمة تؤدي إلى الاكتئاب، يخاف من التغيير ويحاربه.

وَإِنَّهُ على ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ: الانسان يُقِرُّ بحالته هذه حيث يرى نتائج أفعاله.

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخير لَشَدِيدٌ: هذا الإنسان يحب الحياة الدنيا وزينتها. تذكير للإنسان بيوم الحساب حين يستلم كل انسان كتاب حسناته وسيئاته الذي تحصله ملائكة الموت من نفس الإنسان وقت وفاته.

سورة الزلزلة تصف زلزال يوم القيامة العظيم حين تخرج الأرض أثقالها. تدعو السورة إلى استحضار مشهد الحساب، حيث يرى الإنسان نتائج كل عمل قام به، مهما كان صغيرًا.

إِذَا زُلْزِلَتِ الأرض زِلْزَالَهَا: إذا حُرِّكت الأرض تحريكاً عنيفاً، واضطربت اضطراباً شديداً، واهتزت بمن عليها اهتزازاً يقطع القلوب ويُفزع الألباب. تحصل هذه الزلزلة بأمر من الله سبحانه وتعالى

لِّيُرَوْاْ أَعْمَالَهُمْ: يومئذ يستلم كل إنسان كشف حسابه الذي يحتوي على كل صغيرة وكبيرة من أفعاله، من خير أو شر

سورة البينة تعرض حاجة أهل الكتاب والمشركين إلى البيان الواضح برسالة النبي (ص). تدعو السورة إلى الإخلاص في الدين لله، والعمل الصالح، وتبين أن الذين كفروا مصيرهم نار جهنم خالدين فيها.

توضح السورة موقف المشركين وأهل الكتب المحرَّفة بشكل خاص لأنهم عرفوا الحق وأخفوه فكفروا. وكانوا دوماً يطلبون براهين على صحة نبوة محمد. وعندما جاء الحق متمثلا برسالة محمد (ص) التي لم تتطلب منهم سوى الإيمان بوحدانية الله وعمل الصالحات، وبدلا من اتباع دين الملة المستقيمة - دين الإسلام، حرَّفوا وبدَّلوا، فأطاعوا أحبارهم ورهبانهم كما قال تعالى: "*اتخذوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله والمسيح ابن مَرْيَمَ*". وهنا يصف سبحانه مصير كل من المؤمنين والكفار.

مُنفَكِّينَ: منتهين زائلين

البينة: الحجة الواضحة، والدلالة القاطعة

مُّطَهَّرَةً: منزهة عن الباطل والشبهات،

قيّمة: مستقيمة عادلة

حنفاء: مائلين عن الباطل إلى الدين الحق، وأصل الحَنَف :الميلُ

البرية: الخلق. ومنه البارىء أي الخالق

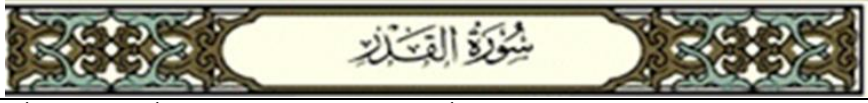

سـورة القدر تبين فضـل ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن، وتصـفها بأنها خير من ألف شهر. تدعو السورة إلى اغتنام هذه الليلة المباركة بالدعاء والعبادة رجاء مغفرة الذنوب

إنّا أنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القدر:

القَدَرُ :**مِقدار** الشَّيءِ وحالاته **المقدَّرة** له. كقوله تعالى: **"***الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ* ***فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا*** **"** سورة الفرقان/2(أنزل الله القرآن بواسطة جبريل -على شكل موجات صوت/صورة (آيات النبوة) جملةً واحدة من اللوح المحفوظ والإمام المبين إلى مركز الإدراك في دماغ النبي (ص). أما بقية الآيات المتعلقة بالرسالة والتشريع والأحداث التي حصلت في زمن النبي، فكان يتم انزالها مفرقة على مدى ثلاثة وعشرين سنة.

لَيْلَة القدر خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ: ليلة القدر في الشرف والفضل خيرٌ من ألف شهر. تمَّ فيها إشهار القرآن بعد ان كان في علم الله، ثم جعله الله في متناول سيدنا محمد ليشهره ويبلغه للناس كافة.

{4} تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ

في هذه الليلة التي كان الظلام يسودها منذ بدء الخلق، قَدَّر الله في عِلمه السنن والقوانين الناظمة للكون. ومنذ تلك الليلة كلَّف الله الملائكة بإدارة شؤون الكون حسب أوامره سبحانه، ومنها أوامر الله التي تمثَّلت بالقرآن.

سَلَامٌ هِيَ حتى مَطْلَعِ الفجر: هذه الأوامر وهذه السنن كلها مُقدَّرة لما فيه خير. فالقرآن هدى للناس يهدي إلى الحق والسلام من يوم نزوله في هذه الليلة إلى يوم القيامة. ويقوم المسلمون بإحياء تلك الليلة بتَذكر قدرة الله وحكته في خلق الكون وارسال الهداية للإنسان.

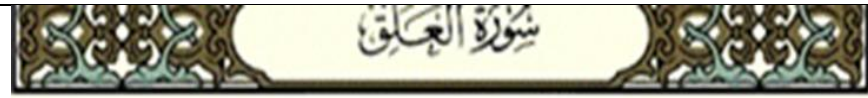

سورة العلق تفتتح بأول آيات الوحي، داعية إلى القراءة والمعرفة باسم الله الخالق. تحذر السورة من الطغيان الناتج عن الغنى، وتؤكد أن المصير إلى الله الذي يرى كل شيء. القسم الأول من السورة فيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من نعمه وكرمه تعالى أن علَّم الإنسان ما لم يعلم، فشرَّفه وكرَّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به آدم على الملائكة.

إقرأ: بمعنى تعَلَّم وليس اتلُ أو ردِّد من بعدي. كما في قوله **"***واتلُ ما أوحي اليك من ربّك*....**"**. فالقراءة هي العملية التعليمية.، فنقول: اقرأ الدرس بمعنى تعلَّم ما فيه.

خَلق: الخلق هو التصميم. التسوية: تنفيذ التصميم. كما في قوله تعالى **"***الذي خلق فسوّى***"**

علق: المفرد: علقة ، الجمع : علاقات، جمع الجمع: **علق**

خلق الانســـان من علق: الإنســـان مكوَّن من مجموعة من العلاقات (علق) المترابطة فيزيائية، كيماوية، بيولوجية، نفسية...الخ.

علَّم: حصـــل على المعرفة. كيف؟ يقول تعالى "*ولا يحيطون بشـــيء من علمه إلا بما شاء*..." أي يتعلم الإنسان بالاستعانة بالوسيلة التي شاءها الله وقدَّرها في الكون. فهو لم يُعطِ الإنسان المعرفة مرة واحدة، بل أعطاه الوسيلة للوصول إلى المعرفة

قَلَمَ: يَقْلِم، قَلْمًا، فهو قَالِم، والمفعول مَقْلوم، **قَلَم الظُّفْرَ**: قصَّ ما طال منه، قميصٌ مُقلَّم: مميَّز بخطوط وعلامات.
فالقلم هو وسيلة التعلم عن طريق فصل الأشياء بعضها عن بعض، وهذا **التقليم** هو ما نقول عنه اليوم التمييز "التعريف".

علَّم بالقلم: الله هيَّأ للمخلوقات وســـائل المعرفة بواســـطة التقليم. حواس الإنســـان تقوم بالتقليم، فالأذن تقلم الأصـــوات والعين تقلِّم الألوان. .....والبقرة لديها أداة تقليم خاصـــة فهي تميّز ابنها عن غيره، وللكلب أداة تقليمه بالشم أقوى من الإنسان.....
والملائكة لديها أداة تقليم تختلف عن الإنســـان، لذلك الله علَّم أدم بالقلم أي بالقدرة على التمييز بطريقة مختلفة عن الملائكة، فهي لم تستطع تمييز الأشياء مثل آدم لذلك قال تعالى على لسانها "*قالوا سبحانك لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا*....."

{6} كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى:
القســـم الثاني من الســـورة يتكلم عن الإنســـان الذي يجحد بنعمة الله، فيتجاوز الحد في الطغيان، واتباع هوى النفس، ويســتكبر على ربه عَزَّ وَجَلَّ من أجل أن رأى نفســه غنياً، وعليه اتخذ موقفا معاديا لهدي الله ومنع الناس من اتباع الهدى. ألم يعلم ذلك الشـــقي الذي يُعرِض عن الإيمان بأن الله مطَّلِع على أحواله، مراقب لأفعاله، وسيجازيه عليها! ويله ما أجهله وأغباه؟ ! ثم توعَّده وهدده. وختم السورة بإرشاد المسلم أن لا يأبه بمثل هذا الظالم وان يستمر في إيمانه وأداء الشعائر.

سُورَةُ التِّينِ

سورة التين تعرض حقيقة خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم إمكانية انحداره بسوء العمل. تدعو السورة إلى التمسك بالإيمان والعمل الصالح، وتؤكد أن الفوز الحقيقي هو لمن آمن وعمل صالحًا.

{1} وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ {2} وَطُورِ سِينِينَ {3} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ
يضـرب الله مثلا عن النعم التي أعطاها للإنسان وعن الأماكن التي كرَّمها على الأرض. فيذكُر شجرتي التين والزيتون، وهما أكثر وجوداً في منطقة القدس التي ترمز إلى ظهور عيســـى عليه الســـلام في هذه المنطقة، ويذكر طور ســـينين هو الجبل الذي نودي على موســـى - من جانبه، والْبَلَدِ الامِينِ: يَعْنِي مَكَّة التي فيها بيت الله الحرام وموطن النبي محمد عليه السلام. وفي هذا تكريم للأنبياء والأماكن التي تواجدوا فيها.

{4} لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ {5} ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ

يخبر تَعَالَى عن تكريمه للإنسان فقد خَلَقَ الانْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَة وَشَكْل، مُنْتَصِب الْقَامَة سَوِيّ الاعْضَاء، ووضع فيه ذلك الدماغ الذي يحوي بلايين الخلايا العصبية، وعلَّمه البيان وأعطاه حرية الاختيار. " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا". فإن كان من الجاحدين بنعمة الله، فلا يتبع أوامره ويجتنب نواهيه ولا يعمل الصالحات، فإنه يفقد منزلته عند الله ويكون في الدرك الأسفل من النار. أما الذين يبقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح، ويرتقون بها إلى الكمال المقدر لها، " فَلَهُمْ أَجْر غَيْر مَمْنُون " أَيْ غَيْر مَقْطُوع.

سُورَةُ الشَّرح

سورة الشرح تذكر النبي (ص) بنعم الله عليه بتفريج الكرب ورفع الذكر. تدعو السورة إلى الثقة بأن مع العسر يسراً، وتحفز المؤمن على مواصلة العمل والاجتهاد دون يأس.

فيها ظل العطف الندي. وفيها روح المناجاة الحبيب. وفيها استحضار مظاهر العناية واستعراض مواقع الرعاية. وفيها البشرى باليسر والفرج. وفيها التوجيه إلى سر اليسر وحبل الاتصال الوثيق

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ: قد شرحنا لك صدرك يا محمد بالهدى والإيمان، ونور القرآن كقوله تعالى (*فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ*] { الأنعام: 125

وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ: غفرنا لك آثام الجاهلية

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ: رفعنا شأنك، وأعلينا مقامك في الدنيا والآخرة

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ : فإذا انتهيت من أمور الدنيا، فاجتهد في طلب الآخرة
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَبْ أي اجعل همَّك ورغبتك فيما عند الله، لا إلى ما في هذه الدنيا الفانية.

سُورَةُ الضُّحَى

سورة الضحى تسري عن قلب النبي (ص) وتؤكد دوام رعاية الله له. تدعو السورة إلى التفاؤل برحمة الله، وشكر نعمه بإكرام اليتيم والسائل، والثقة بأن العاقبة للمؤمنين خير من بداياتهم.

سجى: سجى الليل: اشتد ظلامه

قلى: أبغض

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى: حينَ أَبْطَأَ جِبْرِيل عَلَى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبُّهُ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى " مَا وَدَّعَك رَبّك " أَيْ مَا تَرَكَك " وَمَا قَلَى " أَيْ وَمَا أَبْغَضَك.

وسوف يعطيك ربك في الآخرة من الثواب، والكرامة. وعد أن وعده بهذا الوعد الجليل، ذكَّره بنعمه عليه

وَوَجَدَكَ ضَآلاً فهدى: ووجدك تائهاً عن معرفة الشريعة والدين فهداك إليها كقوله تعالى: {مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكتاب وَلاَ الإيمان} [الشورى: ٥٢]

ووجدك فقيراً محتاجاً فأغناك عن الخلق، بما يسَّر لك من أسباب التجارة. .

ولمَّا عدَّد عليه هذه النعم الثلاث، وصَّاه بثلاث وصايا مقابلها: كن لليتيم كالأب الرحيم، فقد كنت يتيماً فآواك الله، والذي يسأل عن حاجة وفقر، فلا تزجره إذا سألك ولا تُغلظ له القول، بل أعطه أو ردَّه رداً جميلاً، وحدِّثْ الناس بفضل الله وإنعامه عليك، فإن التحدث بالنعمة شكر لها

سورة الليل

سورة الليل تعرض نماذج من سعي الإنسان المختلف بين عمل الصالحات والتمسك بالبخل والطغيان. تدعو السورة إلى اختيار طريق التقوى والسعي للآخرة، وتؤكد أن الله يهدي من يشاء إلى الخير والنجاة.

{1} وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى {2} وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى {3} وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى

تَمعَّن أيها الانسان في خلق الله ترى الثنائيات في الخلق: الليل يقابله النهار، اليسرى مقابلها العسرى، الجنة مقابل النار، والذكر مقابل الأنثى.

إِنَّ سَعْيَكُمْ لشتى : وعليه يؤكِّد أن أعمالكم تؤدي إلى نتيجتين فمنكم تقيّ ومنكم شقيّ.

فَسَنُيَسِّرُهُ لليسرى: فالذي اختار بنفسه طريق التقوى والصلاح، فليعلم أن الله قد وفَّر لجميع الناس أسباب ووسائل ذلك، وجعلها في متناوله. فمن يتَّبع هذا الطريق مصيره إلى الجنة

فَسَنُيَسِّرُهُ للعسرى: الذي اختار بنفسه طريق الضلال فليعلم أن الله قد وفَّر أسباب ووسائل ذلك وجعلها في متناول من يتَّبع هذا الطريق. وفي النهاية لا ينفعه ماله يوم القيامة ومصيره النار

إن عَلَيْنَا للهدى: الله بيّنَ للناس طريق الهدى من طريق الضلالة، ووضّح سبيل الرشد من سبيل الغي كقوله:

{*وَقُلِ الحق مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ*} [الكهف: ٢٩]

سورة الشمس

سورة الشمس تبرز الصراع الداخلي بين نوازع الخير والشر في النفس البشرية. تدعو السورة إلى تزكية النفس بطاعة الله، وتحذر من فسادها بالمعصية، مستشهدة بمصير ثمود الذين كذبوا نبيهم فعقروا الناقة.

{1} وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا {2} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا .....

انظروا إلى أيات الله الواضـــحة أمامكم، المتمثلة بالشـــمس وبنورها الســـاطع في وقت الضحى، وإلى القمر إذا جاء بعد الشمس، بنوره اللطيف الهادئ الذي يغمر الكون بالضياء والأنس والجمال. وإلى النهار الذي جعله الله لكم معاشا، ومجالا للعمل والحركة والنشاط. وإلى الليل إذا غشـــي الكون، فغطى ظلامه الكائنات، وحجب نور الشـــمس وأخفاه. وإلى الســـماء وكيف قدّر خلقها، وأحكم صـــنعها. وإلى الأرض الكروية كيف مهّد أجزاء من سطحها وجعلها قابلة للسكنى وللزراعة

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا

تأمَّلوا في خلق الله الذي أبدع في كل شـــيء خَلَقه، فقد *خلق فســوّى، وخلق الإنســان في أحســن تقويم*. ومن اهم ما خلق في الإنســان ذلك الدماغ الذي يحتوي على بلايين الخلايا العصـبية. والنفس تسـكن في جزء من هذه الخلايا التي تتواصـل بينها بواسـطة نبضـات كهروكيميائية كما اكتشـــف العلم حديثا. وهذه النفس تقوم بتخزين جميع اعمال الإنســـان وهي التي تتوفاها الملائكة بعد موت الجسـد لتخضـع للحسـاب يوم القيامة. وتكون على الفطرة المستقيمة منذ البداية كصفحة بيضاء.

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا

ومنذ الخلق زوَّدها بأوامر ونظام يُدبّر أمرها (الروح) ويوضِّـــح طريق الهدى وطريق الضـــلال. فالنفس أصـــلا على الفطرة السـليمة، وأعمال الإنسـان هي التي تطهّر النفس أو تُفسدها. ثم ضَرب مثلا بالأقوام التي فسدت نفوسها وما حل بهم من عقاب.

سورة البلد تذكر الإنسان بمشقة الحياة الدنيا وتضع معايير الفلاح الحقيقية. تدعو السورة إلى السعي في أعمال البر، كفك الرقاب وإطعام المساكين، وتبين أن العاقبة للمتقين.

{4} لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ

الســـورة تُبيّن طبيعة الإنســـان منذ الخلق: منحه الله حرية الاختيار، فعاش حياته تتجاذبه دوافع عمل الخير من جهة، ودوافع عمل الشر من جهة أخرى، فهو دائما في حيرة تؤدي إلى عدم الرضى والقناعة ومن ثم إلى الشقاء والتعب.

كَقَوْلِهِ تَعَالَى " *حَمَلَتْهُ أُمّه كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا* ".

"*إن الانسان لربه لكنود*"، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

(*إِنَّا عَرَضْـنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَـانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا*) كان جاهلا لقداته التي أودعها الله فيه، وجاهلا لتبعات الحرية التي منحها الله له.

{5} أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ

هل يَظُنّ اِبْن آدَم أَنْ لَنْ يُسْأَل عن اعماله وعَنْ هَذَا الْمَال مِنْ أَيْنَ اِكْتَسَبَهُ وَأَيْنَ أَنْفَقَهُ ؟ يقول هذا الغني المتكبر متباهيًا بما أنفَق في شـــهواته وملذَّاته: أنفقت مالاً كثيرًا، فبدلاً مِن أن ينفقها في الحلال، ويؤتي منها ذوي القربى والمساكين وابن السبيل - يبذِّرها تبذيرا

{11} فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ {12} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ
بعد أن يُذكِّره الله بنعمه عليه، يُرشده إلى الطريق المستقيم بأن يستخدم ما أعطيناه ليتجنب دخول جَهَنَّم. وذلك بالقيام بالأعمالِ الصـــالحةِ التي لا يقدر عليها إلا الأغنياء أصـــحاب الأموال.

{13} فَكُّ رَقَبَةٍ
إطلاق سراح أسير أو سجين معسر لا يقدر سداد دينه، او سداد رهن عن معسر وهذا لا يكون إلا بالأموال الطائلة

{14} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ{15} يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ {16} أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ
إطعام في يوم ذي مجاعة شـــديدة، يقلُّ فيها الطعام، ويرتفع ســـعر الطعام الموجود، فلا يستطيع شراءَه المساكين: لليتيم مِن ذوي قرابته، فيجتمع فيه فضل الصدقة وصلة الرَّحِم، أو مسكينًا ليس من أقاربه معدَمًا، لا مسكن له، قد لصِق التراب بثيابه وجسده من نومه على التراب.

سورة الفجر تعرض مشاهد من مصارع الطغاة عبر التاريخ وتبين سنن الله في الابتلاء والجزاء. تدعو السورة إلى الاعتبار بانهيار الأمم الظالمة، وتحذر من الغرور بنعم الدنيا والغفلة عن الآخرة.

قال المفسرون الأوائل: أَمَّا الْفَجْر فَمَعْرُوف وَهُوَ الصُّبْح، والْعَشْر هي العَشْر الأولى من ذي الحِجَّة، وَالْوَتْر يَوْم عَرَفَة وَالشَّفْع يَوْم النَّحْر. لكن، في بداية السورة أخبرنا سبحانه وتعالى بصورة رمزية عن بعض الغيبيات التي تتعلق بنشوء الكون والمخلوقات داعيا أهل العلم للتمعن والتفكر واستكشاف أسرار الكون حين تتوفر لديهم المعرفة، ثم انتقل ليخبرنا عن غيبيات تتعلق بالأمم السابقة. فلا رابط في السياق بين شعائر الصلاة والحج وبين الغيبيات.

{1} وَالْفَجْرِ {2} وَلَيَالٍ عَشْرٍ{3} وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ {4} وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
الفجر: انفجار المادة الأولى للكون كما اخبرنا تعالى "*أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا.....*"

وَلَيَالٍ عَشْرٍ: ثم ساد ظلام دامس استمر ملايين السنين ويقول تعالى "*ثم استوى إلى السماء وهي دخان.....*"

الشفع: (بروتون ونيوترون) **والوتر** (الإلكترون) فنتيجة لتفاعل هذه العناصر نشأ الضوء وتكونت الكواكب والنجوم، فانقشع الظلام الدائم وانتظمت سنن الله في تعاقب الليل والنهار

{5} هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ
أليست هذه البراهين والأدلة كافية لكل ذِي عَقْل للتمعُّن والتفكير؟
إنَّ قَصرَ فهم هذه الدلائل على الشعائر، أدى إلى إغلاق عقول المسلمين عن اكتشاف آيات الله في الكون.

سُورَةُ الغَاشِيَة

سـورة الغاشـية تصـف مشـاهد من يوم القيامة، بين وجوه خاشـعة معذبة وأخرى ناعمة راضـية. تدعو السـورة إلى التفكر في بديع صـنع الله في الكون، والتذكير بأن مهمة النبي (ص) البلاغ وليس الإكراه.

{2} وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ {3} عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ

وجوه ذليلة، دائمة الشقاء في النار

ضريع: نبت ذو شوك

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ: يبدو النَّعِيم في الجنة على وجوههم

الإبل: الحيوان المعروف. وتأتي أيضا بمعنى السُحُب المثقلة بالمطر

سُطِحَتْ: مُهِّدَتْ في بعض أجزاء سطحها الكروي (سُهول ووديان وجبال) لتكون صالحة للسكن والزراعة

سُورَةُ الأَعْلَى

سـورة الأعلى تمجد الله الخالق المدبر الذي خلق فسـوى، وقدر فهدى. تدعو السـورة إلى التسـبيح المسـتمر، والتزكية بالتقوى والعمل الصـالح، وتحذر من الغفلة عن الآخرة والانشغال بالدنيا الفانية.

{1} سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى

التسبيح: هو تنزيه الله عن صفات النقص وعن الحركة والتغَيُّر

{2} الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى {3} وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى

الخلق: التصميم. خلق المخلوقات جميعها، فأتقن تصميمها، وأبدع صنعها وسوّاها بحيث لم يأت متفاوتا، بل مستويا متناسبا على إحكام وإتقان.

قَدَّرَ: وضـع في كل شـيء خواصـه ومزاياه وكل الاحتمالات التي تتعلق به ليقوم الإنسـان باختيار أحداها

فَهَدَى: أودع الفطرة السليمة في الإنسان. ولو تأملت ما في النباتات من الخواص، وما في المعادن من المزايا والمنافع، واهتداء الإنسـان لاسـتخراج الأدوية والعقاقير النافعة من النباتات، واستخدام المعادن في الصناعات، لعلمت حكمة العلي القدير.

سُورَةُ الطَّارِق

سورة الطارق تذكر بالرقابة الإلهية الدقيقة على الإنسان، وتعرض حقيقة البعث والنشور. تدعو السورة إلى التأمل في خلق الإنسان من ماء مهين، والتنبه إلى أن كل شيء محفوظ ومحصًى عند الله.

{1} وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ .....

يرشدنا الله للنظر إلى عظمة مخلوقاته، كالسماء والكواكب النيرة، التي تظهر ليلا وتختفي نهارا

{4} إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ: بعد أن ذكَّرنا بحقائق الوجود الظاهرة لنا ، أخبرنا بحقيقة أخرى لا نراها، وهي أن كل نفس عليها حافظ ، يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر.

{11} وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ {12} وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ

ثم يُذكرنا بنعمه الظاهرة كالسماء ذات المطر، الذي يرجع على العباد حينا بعد حين، والأرض التي تتصدع وتنشق، فيخرج منها النبات والأشجار والأزهار

{13} إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ {14} وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ

ثم يؤكد لنا: إن هذا القرآن لقول فاصل بين الحق والباطل، وليس فيه شيء من اللهو والباطل والعبث. فكل كلمة لها معناها الخاص حسب السياق.

{15} إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا {16} وَأَكِيدُ كَيْدًا{17} فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا

إن هؤلاء المشركين ـــ كفار مكة ـــ يعملون المكايد والخطط لإطفاء نور الله، وإبطال شريعة محمد صلى الله عليه وسلم. وسوف يَرُدُّ الله على كيدهم بالإمهال ثم النكال، حيث يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. فَأَنْظِرْهُمْ قَلِيلًا وَلَا تَسْتَعْجِل لَهُمْ، وَسَتَرَى مَاذَا سَيَحِلُّ بِهِمْ مِنْ الْعَذَاب وَالْعُقُوبَة وَالْهَلَاك يوم الحساب.

سُورَةُ البُرُوجِ

سورة البروج تسرد قصة أصحاب الأخدود الذين ثبتوا على الإيمان رغم التعذيب. تدعو السورة إلى الثبات على العقيدة مهما كانت التضحيات، وتؤكد أن الله قوي منتقم للمؤمنين.

{1} وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ {2} وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ {3} وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ

يدعونا عزَّ وجل للتفكُّر بالسماء البديعة ذات المنازل العالية كالبروج، التي تنزلها الكواكب أثناء سيرها

{4} قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ {5} النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ {6} إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ{7} وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ

ثم يُعلمنا: كما أن الكون المشهود حق، كذلك عالَم الغيب حق. يُعلِمُنا سبحانه عن أولئك القوم الذين شقوا الأرض طولا وجعلوها أخاديد، وأضرموا فيها النار ليحرقوا بها المؤمنين، وكيف أنهم كانوا يجلسون حول النار يتشفون بإحراق المؤمنين فيها، ويشهدون ذلك الفعل الشنيع

{19} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ

إن الكفار لم يعتبروا بما حصل بالأقوام السابقة، فهم مستمرون في التكذيب. والله تعالى قادر عليهم، لا يفوتونه ولا يعجزونه. إن هذا القرآن الذي كذَّبوا به، كتاب عظيم شريف، أصله في اللوح المحفوظ في عِلم الله

سُورَةُ الانشِقَاقِ

سورة الانشقاق تصف مشاهد انهيار السماء والأرض عند قيام الساعة. تدعو السورة الإنسان إلى التأمل في مصيره بين النعيم والعذاب، وتؤكد أن كل إنسان سيلقى عمله محصًى أمامه لا مفر منه.

{1} إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ {2} وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ

تبدا السورة بذكر أهوال يوم القيامة.

{6} يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ

بعد هذه المقدمة، يأتي النداء الرباني: يا أيها الإنسان إنك تقطع رحلة حياتك على الأرض تعمل بجهد ومشقة، مسرِعا في خطواتك. تذَكَّر انك في النهاية ستموت وتبعث يوم القيامة للحساب على أعمالك.

الكدح: الجد والاجتهاد وجهد النفس في العمل

{14} إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ

يَحُورَ : يَرجِع

{16} فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ {17} وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ {18} وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ {19} لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ

الشفق: الحمرة التي تكون بعد مغيب الشمس

وَسَقَ: جمع وضم ولف

اتسق: اجتمع وتكامل وتم نوره

يخبرنا الله مستشهدا بحقائق موجودة مثل: حمرة الأفق بعد غروب الشمس وبالليل وما جمع وضم إليه، وما لف في ظلمته من الناس والدواب والأنعام، فكل يأوي إلى مكانه. وبالقمر إذا تكامل ضوءه ونوره، وصار بدرا ساطعا مضيئا.

يخبرنا بأنكم يا مشعر الناس لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ، أي ستلاقون أهوالا وشدائد وستواجهون أحوالا بعد أحوال، وهي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض، ومن ثم تواجهون الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها

{20} فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {21} وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ{22} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ {23} وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ

[فما لهم لا يؤمنون] استفهام يقصد به التوبيخ، أي فما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون بالبعث بعد الموت، بعد وضوح الدلائل وقيام البراهين على وقوعه ؟ وإذا سمعوا آيات القرآن، لم يخضعوا ويخشعوا ؟

ثم يجيب بأن طبيعة هؤلاء الكفار التكذيب والعناد والجحود، ولذلك لا يخشعون عند تلاوته .والله أعلم بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب وما يضمرون من عداوة الرسول(ص) والمؤمنين. فبشرهم على كفرهم وضلالهم بعذاب مؤلم موجع، ووضَع البشارة في موضع الإنذار والتهكم بالكفار.

{25} فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ

لكن الذين صـــدقوا الله ورســـوله، وجمعوا بين الإيمان وصـــالح الأعمال فلهم ثواب في الآخرة غير منقوص ولا مقطوع، بل هو دائم مستمر.

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

سورة المطففين تحذر من الغش في الكيل والميزان، وتعرض مشاهد من جزاء المطففين والمجرمين يوم القيامة. تدعو السورة إلى العدل والأمانة، وتبشر الأبرار بنعيم مقيم في الجنة.

{1} وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ {2} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ {3} وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ

المطففين: جمع مُطفّف وهو الذي ينقص في الكيل والوزن. يهددهم الله بالويل، ويعلن عليهم هذه الحرب ، هم طبقة الكبراء ذوي النفوذ ، الذين يملكون إكراه الناس على ما يريدون . فهم عندما يشترون يكتالون (على الناس) . . لا من الناس. . فكأن لهم سلطانا على الناس بسبب من الأسباب، يجعلهم يستوفون المكيال والميزان منهم استيفاء وقسرا، وعندما يبيعون فإنهم ينقصون في الميزان!

{7} كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ {8} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ {9} كِتَابٌ مَرْقُومٌ

إن كتاب أعمال الأشقياء الفجار، لفي مكان ضيق في أسفل سافلين. [ومآ أدراك ما سجين] استفهام للتعظيم والتهويل أي هل تعلم ما هو سجين ؟ [كتاب مرقوم] أي هو كتاب مكتوب كالرقم في الثوب، لا يُنسى ولا يُمحى، أُثبتت فيه أعمالهم الشريرة

{12} وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ

المُكَذِّب إمّا مُعْتَدٍ فِي أَفْعَاله مِنْ تَعَاطِي الْحَرَام وَالْمُجَاوَزَة فِي تَنَاوُل الْمُبَاح، أو الْأَثِيم فِي أَقْوَاله إنْ حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وما يكذب بيوم الحساب والجزاء ألا كل متجاوز الحد في الكفر والضلال، مبالغ في العصيان والطغيان، كثير الآثام

{14} كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

رَانَ : غطَّى وغشَّى كالصدأ يغشى السيف، وأصله الغلبة يقال: رانت الخمر على عقل شاربها أي غلبته. غطى على قلوبهم ما كانوا يكسبونه من الإثم والمعصية. لقد حجبت قلوبهم المعاصي والآثام، حجبتها عن الإحساس بربها في الدنيا والآخرة

سُورَةُ الانفِطَارِ

سورة الانفطار تعرض تصدع الكون في مشاهد مهيبة إيذاناً بالقيامة. تدعو السورة إلى التأمل في مراقبة الله للإنسان، وأنه مهما غفل عن ربه، فإن عليه رقيباً يسجل أعماله.

{1} إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ.....

انفطرت: انشقت، والفطرُ: الشقُّ

{5} عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ

في يوم القيامة تعلم كل نفس من كتاب حسابها ما أسلفت من خير أو شر، وما قدمت من صالح أو طالح

{6} يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ

أي شيء خدعك برك الحليم الكريم، حتى عصيته وتجرأت على مخالفة أمره، مع إحسانه إليك وعطفه عليك؟ وهذا توبيخ وعتاب كأنه قال :كيف قابلت إحسان ربك بالعصيان، ورأفته بك بالتمرد والطغيان؟

{9} كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ

الدين: الجزاء

كلا كلمة ردع وزجر عما هم فيه، ودخول في لون من القول جديد. لون البيان والتقرير والتوكيد. وهو غير العتاب والتذكير والتصوير. . ثم يكشف عن علة الغرور والتقصير - وهي التكذيب - بيوم الحساب - ويقرر حقيقة الحساب، واختلاف الجزاء

{10} وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ

يكفي أن يشعر الإنسان أنه غير متروك سدى. وأن كل ما يفعله مُسَجَّل عليه، ليرتعش ويستيقظ ويتأدب! وهذا هو المقصود!

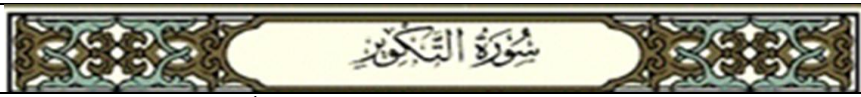

سورة التكوير تصور انقلاب نظام الكون عند قيام الساعة بأسلوب تصويري مرعب. تدعو السورة إلى تصديق الوحي واليقين بنبوة محمد (ص)، وتحذر من الغفلة عن عواقب يوم القيامة. هذه السورة ذات مقطعين: تُعالج في الأولى حقيقة القيامة، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل كامل ، والثانية حقيقة الوحي ، وما يتعلق بها من صفة المَلاك الذي يحمل الوحي ، وصِفَة النبي الذي يتلقاه ، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحي معه ، ومع المشيئة الكبرى التي فطرتهم ونزَّلت لهم الوحي

{1} إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ

انطفاء شعلتها، وانكماش ألسنتها الملتهبة التي تمتد من جوانبها كلها إلى ألوف الأميال حولها في الفضاء

{2} وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ

انكدار النجوم قد يكون معناه انتثارها من هذا النظام الذي يربطها ، وانطفاء شعلتها وإظلام ضوئها. والله أعلم

{3} وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ

تشير إلى حدث يصيب الجبال، فيذهب بثباتها ورسوخها وتماسكها واستقرارها

{4} وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ

العشار هي النوق الحبالى في شهرها العاشر، وهي أجود وأثمن ما يملكه العربي. ففي هذا اليوم الذي تقع فيه هذه الأهوال، تُهمل هذه العشار فلا تصبح لها قيمة، ولا يهتم بشأنها أحد .

{5} وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ

فهذه الوحوش النافرة قد هالها الرعب والهول فحُشِـــرت وانزوت تتجمع من الهول، لا تأوي إلى جحورها أو بيوتها كما هي عادتها، ولا تنطلق وراء فرائســها كما هو شــأنها . فالهول والرعب لا يدعان لهذه الوحوش بقية من طباعها وخصــائصــها! فكيف بالناس في ذلك الهول العصيب ؟ !

{6} وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ

{وَإِذَا البحار سُجِّرَتْ} أي : امتلأت وفاض ماؤها واختلط عذبها بملحها، وصارت بحرا واحداً ، مأخوذ من قولهم : سِجِر الحوض ، إذا ملأه حتى فاض من جانبيه .

ويصح أن يكون معنى " سجرت ": من قولهم: سجر فلان التنور، إذا ملأه بالحطب المعد للحرق. وقد يكون معناه التهابها وانفجارها كما قال في موضع آخر: (وإذا البحار فجرت) . . فتفجير عناصرها وانفصال الأيدروجين عن الأكسجين فيها. أو تفجير ذراتها على نحو ما يقع في تفجير الذرة، وهو أشد هولا . أو على أي نحو آخر. وحين يقع هذا فإن نيرانا هائلة لا يتصور مداها تنطلق من البحار. والله أعلم.

{7} وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ

تزويج النفوس يحتمل أن يكون هو جمع الأنفس بأجســادها بعد إعادة إنشــائها يوم القيامة، ويحتمل أن يكون ضم كل جماعة من الأنفس المتجانسة في مجموعة، كما قال في موضع آخر : (وكنتم أزواجا ثلاثة)أي صــنوفا ثلاثة هم المقربون وأصــحاب الميمنة وأصــحاب المشأمة .

{10} وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

أُعْطِيَ كُلّ إِنْسَان صَحِيفة أعماله بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ

{14} عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ

هَذَا هُوَ الْجَوَاب. أَيْ إِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْأُمُور حِينَئِذٍ تَعْلَم كُلّ نَفْس مَا عَمِلَتْ وَأُحْضِـــر ذَلِكَ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى "*يَوْم تَجِد كُلّ نَفْس مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْر مُحْضَـــرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُـــوء تَوَدّ لَوْ أَنَّ بَيْنهَا وَبَيْنه أَمَدًا بَعِيدًا*

{15} فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ {16} الْجَوَارِي الْكُنَّسِ.....

يا أيها الناس، شـــاهدوا حقيقة خلق الله من النجوم المضـــيئة التي تختفي بالنهار، وتظهر بالليل. [الجوار الكنس] أي التي تجري وتسير مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها، كما تستتر الظباء في كناسها ـ أي مغاراتها ـ

{19} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {20} ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ {21} مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ

بعد أن بين لنا حقيقة الكون ممثلة بالنجوم والليل والصُـبْح، يخبرنا بحقيقة أخرى وهي أَنَّ هذا القرآن الكريم، هو كلام الله المنزل بواســـطة ملك عزيز على الله هو جبريل شـــديد القوة، صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة سامية عند الله جلا وعلا

[مطاع ثم أمين] أي مطاع هناك في الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة الأبرار، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به على الأنبياء

{22} وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ {23} وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ

وليس محمد الذي صـــاحبتموه يا معشـــر قريش، وعرفتم صـــدقه ونزاهته ورجاحة عقله بمجنون كما زعمتم، نفى عنه تعالى الجنون، ونفى انكار الكفار لرؤية الرســـول جبريل ونفى أن يكون القرآن من عند محمد (ص) نفسه

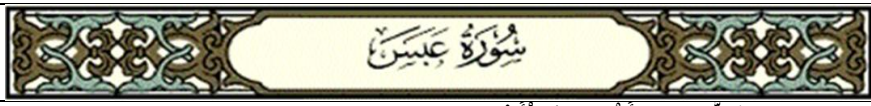

{1} عَبَسَ وَتَوَلَّى {2} أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى .....

ســورة عبس تربي الدعاة على حســن التعامل مع الناس، وتبين أن الاســتجابة للهداية لا تتوقف على مكانة الناس الدنيوية. تدعو الســورة إلى تقدير نعمة القرآن، والتأمل في خلق الإنسـان وأطوار معيشـته. ابتدأ النص بصـيغة الحكاية عن أحد آخر غائب غير المخاطب سـواء كان النبي (ص) أو غيره من الدعاة. وفي هذا الأسـلوب إيحاء بأن الأمر موضـوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب - ســبحانه - أن يواجه به نبيه وحبيبه. عطفا عليه، ورحمة به، وإكراما! ثم يسـتدير التعبير إلى العتاب في صـيغة الخطاب. فيبدأ هادئا شـيئا ما : وما يدريك لعله يزكى ? أو يذكر فتنفعه الذكرى ?. . ما يدريك أن يتحقق هذا الخير الكبير: أن يتطهر هذا الرجل الأعمى الفقير - الذي جاءك راغبا فيما عندك من الخير - وأن يتيقظ قلبه فيتذكر فتنفعه الذكرى.

{5} أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى {6} فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى {7} وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى

ثم تعلو نبرة العتاب وتشـــتد لهجته؛ وينتقل إلى التعجيب من ذلك الفعل محل العتاب: أما من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك وعما عندك من الهدى، والخير، والنور والطهارة. . أما هذا فأنت تُخصـــص له الوقت وتحفل بأمره، وتجهد لهدايته، وهو عنك معرض! وما يضـيرك أن يظل في رجسـه ودنسـه ? فأنت لا تُسـأل عن ذنبه. وأنت لا تقوم بأمره. وأما مَن جاءَ يَقْصِدك لِيَهْتَدِيَ بِمَا تَقُول لَهُ فأنت تَتَشَاغَل عَنْه. وَمِنْ هَاهُنَا أَمَرَ اللَّه تَعَالَى رَسُوله صَـــلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ والدعاة للإســـلام أَنْ لَا يَخُصّ بِالْإِنْذَارِ أَحَدًا، بَلْ يُسَـــاوِي فِيهِ بَيْن الشَّرِيف وَالضَّعِيف، وَالْفَقِير وَالْغَنِيّ وَالرِّجَال، وَالنِّسَاء، وَالصِّغَار وَالْكِبَار.

{11} كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ {12} فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ

ثم ترتفع نبرة العتاب حتى لتبلغ حد الردع والزجر "كلا! " لا يجوز ذلك أبدا، ثم يبين حقيقة هذه الدعوة وكرامتها وعظمتها ورفعتها، واسـتغناءها عن كل أحد . وعن كل سـند وعنايتها فقط بمن يريدها لذاتها

{17} قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ

عجباً من أمر هذا الإنســـان، الذي يُعرِض عن الهدى، ويســـتغني عن الإيمان، فكأنما قتل نفسه بحرمانها من الهداية. . يعجب من أمره وكفره، وهو لا يذكر مصدر وجوده، وأصل نشأته

{24} فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ

وبعد أن ذكر خلق الإنســـان، ذكَّره برزقه، ليعتبر بما أغدق الله عليه من أنواع النعم، فيشكر ربه ويطيعه

عبس: كَلح وجهه وقطّب

سَفَرَةٍ: الملائكة
قَضْباً: القضبُ: كل ما يقطع من البقول فينبت أصلهُ
أَبّاً: الأبُّ: المرعى وكل ما أنبتت الأرض مما تأكله البهائم كالكلأ والعشب
الصاخَّة: الصيحة التي تصمُّ الآذان لشدتها
مُسْفِرَةٌ: مشرقة مضيئة
قَتَرَةٌ: سواد وظلمة

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

سورة النازعات تعرض مشاهد من أهوال يوم القيامة بأسلوب قوي مهيب. تدعو السورة إلى الاعتبار بمصير الطغاة كفرعون، وتؤكد أن البعث والجزاء أمران لا شك فيهما مهما طال الأمد.
وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا: إنها الملائكة نازعات للأرواح نزعا شديدا من المشركين
وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا: ناشطات منطلقات في حركاتها
وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا: سابحات في العوالم العليا، ومنها الملائكة التي تنزل بأمر الله ووحيه من السماء كالذي يسبح في الماء، مسرعين لتنفيذ أمر الله
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا: سابقات للإيمان وللطاعة لأمر ربها
فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا: الملائكة التي تدبر شئون الكون بأمره تعالى، في الرياح، والأمطار، والأرزاق، والأعمار، وغير ذلك من شئون الدنيا،
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ: أي يوم ينفخ في الصور النفخة الأولى التي يرتجف ويتزلزل لها كل شيء وتتبدل الأرض والسماوات
تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ: النفخة الثانية وهي نفخة القيام من الأجداث وإحلال الأنفس في الأجسام الجديدة
وَاجِفَةٌ: خائفة ومضطربة
أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ: أبصار أصحابها ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال
{**الحافرة**} الرجوع إلى الحالة التي كان عليها يقال: رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء. يقول الكافرون استهزاء هل سنعود أحياء كما كنا قبل الموت؟
{**الساهرة**} وجه الأرض، والعربُ تسمي وجه الأرض والفلاة ساهرة لأنه يُسهر عليها.
{25} فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى فأهلكه الله عقوبةً له على مقالته الأخيرة {أَنَاْ رَبُّكُمُ الأعلى} والأولى هي قوله {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرِي} [القصص: ٣٨]

سورة النبأ تطرح بأسلوب استفهامي قضايا البعث والنشور، وتعرض دلائل الخلق المتقن. تدعو السورة إلى الإيمان بيوم الفصل الذي يجمع فيه الخلق جميعًا للحساب، وتعرض مصير الفريقين: المتقين والفجار.

{1} عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ.....

جاء اللفظ بصيغة الاستفهام للتفخيم والتهويل وتعجيب السامعين من أمر المشركين الذين يتساءلون عن الخبر العظيم الهام وهو أمر البعث، الذي اختلفوا فيه ما بين شاك في وقوعه، ومكذب منكر لحصوله

{4} كَلَّا سَيَعْلَمُونَ {5} ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ

سيعلمون أولاً حقيقة الحال عندما تتوفى الملائكة أنفسهم ويُعرض عليهم سِجل أعمالهم. ثم سيعلمون لاحقاً، حيث يرون البعث أمرا واقعا، ويرون عاقبة استهزائهم

الكَعْبُ: كلّ ما ارتفع وعلا، كَوَاعِب أيْ اقوياء في سن الشباب

التِّرْب: المماثل في السِّن

{33} وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا

ذكر الكواعب في هذه الآية يقابله قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ سورة الإنسان: [19]. والواضح أن هؤلاء الشابات والولدان يخدمون المتقين في الجنة ويسهرون على راحتهم وليس لذلك علاقة بالتمتع الجنسي كما يظن البعض.

سورة المرسلات تذكر بأهوال يوم القيامة وأهوال العذاب للمكذبين. تدعو السورة إلى التأمل في دلائل القدرة الإلهية، وتحذر من المصير الحتمي الذي ينتظر من كذب الرسل وكفر بالآخرة.

{1} **وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا**: الرِّيَاح إِذَا هَبَّتْ متتابعة شَيْئًا فَشَيْئًا

فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا: الرِّيَاح الشديدة المُهلِكة إِذَا هَبَّتْ وأحدثت صوتاً

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا: الرِّيَاح الَّتِي تَنْشُر السَّحَاب فِي آفَاق السَّمَاء

{4} فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا: الْمَلَائِكَة تَنْزِل بِأَمْرِ اللَّه عَلَى الرُّسُل تَفْرُق بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل وَالْحَلَال وَالْحَرَام.

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا: الْمَلَائِكَة تَنْزِل بِأَمْرِ اللَّه عَلَى الرُّسُل وَتُلْقِي إِلَيْهِمْ وَحْيًا.

{7} إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ

إن الله الذي يُدَبِّر الكون يؤكِّد لكم أن ما وُعِدتم به من قِيَام السَّاعَة وَالنَّفْخ فِي الصُّور وَبَعْث الْأَجْسَاد وَجَمْع الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيد وَاحِد، وَمُجَازَاة كُلّ عَامِل بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْر وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ. إِنَّ هَذَا كُلّه لَوَاقِع لَا مَحَالَة

{8} فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ.....
صور من أحداث يوم القيامة

{15} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ:
أَيْ وَيْل لِمَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَات الدَّالَّة عَلَى عَظَمَة خَالِقهَا، ثُمَّ بَعْد هَذَا يَسْتَمِرّ عَلَى تَكْذِيبه وَكُفْره

{30} انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ
يُقَال لَهُمْ يَوْم الْقِيَامَة سيروا إلى عذاب جهنم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا.
سمى العذاب ودخان النار ظلا تهكما واستهزاء بالمعذبين، فالمؤمنون في ظلال وعيون، والمجرمون في سموم وحميم

{32} إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ {33} كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ
جِمَالَةٌ: الحبال الغليظة. ورد استعمالها بهذا المعنى في قوله تعالى في سورة الأعراف: "*حتى يدخل الجمل في سم الخياط*"
إنَّ جهنمَ تَقذِفُ من النارِ بِشَرَرٍ عظيم، كلُّ شرارةٍ منه كالبناءِ العالي العظيم وكأنه قصر. وكأنَّ شُعَب شَرَرَ جهنمِ المتطايرِ منها يشبه حِبالا ثخينة يميل لونُها إلى الصُّفْرة

{48} وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ
وإذا قيلَ لهؤلاءِ المشركين: آمنوا باللهِ واخشَعوا له، لا يَخشعونَ، بَل يُصرُّون على استكبارِهم.

سورة الإنسان تعرض مراحل خلق الإنسان وتبين اختباره في هذه الحياة. تدعو السورة إلى السعي إلى الجنة بالإيمان والعمل الصالح، وتصف نعيم المتقين الذين يوفون بالنذور ويطعمون الطعام ابتغاء وجه الله.

{1} هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا
هذا الاستفهام في مطلع السورة إنما هو للتقرير؛ ولكن وروده في هذه الصيغة كأنما ليسأل الإنسان نفسه : ألا يعرف أنه أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. خُلِق في المرحلة الأولى من الخلق (حين من الدهر) من الطين. فعليه ان لا يتكبَّر ويتجبَّر.

{2} إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا
المشج: هو الناتج عن اختلاط شيئين والجمع أمشاج.
وفي حين أخر من الدهر أصبح التناسل بهدي من الله عن طريق العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى، حيث يختلط ماء الرجل بماء الأنثى فيلقح الحيوان المنوي للذكر بويضة الأنثى. ثم جعله سميعا بصيرا. أي زوده بوسائل الإدراك، ليستطيع التلقي والاستجابة . وليدرك الأشياء والقيم ويحكم عليها ويختار. ويجتاز الابتلاء وفق ما يختار

{3} إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

حيث زوَّد الله الإنسان بالمعرفة وسُبل الهداية عن طريق الأنبياء والرسل، فهو بالتالي محاسب عليها. فهو في فترة امتحان يقضيها على الأرض، لا في فترة لعب ولهو وإهمال، فإما أن يكون شاكرا أو كافرا بنعم الله عليه.

مُسْتَطِيراً: منتشراً غاية الانتشار

قَمْطَرِيراً: شديداً

دَانِيَةً: قريبة

ذُلِّلَتْ : سخرت وقربت

سَلْسَبِيلاً: السلسبيل: الشراب اللذيذ الذي هو غاية في السلالة، والذي يسهل في الحلق لعذوبته وصفائه

سُنْدُسٍ: الرقيق من ثياب الحرير

إِسْتَبْرَقٌ: ثياب الحرير الغليظة ويسمى الديباج

{28} نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا

قَالَ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْكُفَّار وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ فِي حُبّ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَال عَلَيْهَا، وَتَرْك الدَّار الْآخِرَة وَرَاء ظُهُورهمْ. إنا خلقناهم في أحسن صورة، وبقدرتنا أن نُهلكهم ونخلق آخرين بدلا منهم.

الأسر: الشَدُّ والربط، ثم أُطلِق على الخلق فيقال: شدَّ أسره أي أحسن خلقه وأحكم تكوينه

{30} وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

مشيئة الله تعني خلق الأسباب وكافة الاحتمالات. وهي الأقدار.

ومشيئة الإنسان هي الحرّية في اتّخاذ القرارات الواعية في اختيار أحد الأسباب التي قَدَّرها الله (القضاء). وهي تقاطع القضاء والقدر معاً في حياة الإنسان. فالقضاء هو إمكانية النفي والإثبات، والقدر هو الأشياء الموضوعية مع وجود علاقة بينهما هي المعرفة. وهناك ارتباط بين المشيئة الإلهية والمشيئة الإنسانية لأنّ الله كامل المعرفة والإنسان معرفته نسبية

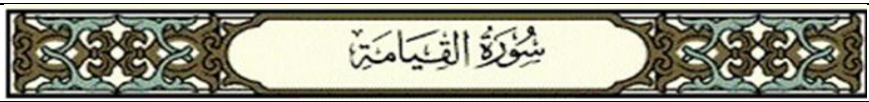

سورة القيامة تركز على مشاهد البعث والنشور، وتبرز عجز الإنسان عن الفرار من الموت والحساب. تدعو السورة إلى الإيمان بالآخرة، وتحذر من الانغماس في الدنيا ونسيان الموقف العظيم أمام الله.

{1} لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ {2} وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ

يدعونا سبحانه وتعالى إلى التفكر في الأحداث العظيمة التي تحصل يوم القيامة والتي بالنسبة لنا من الغيبيات، الدالة على عظمة الخالق وقدرته، ويدعونا الى التفكر في شيء عظيم في أنفسنا حيث يرشدنا إلى صفة النفس المؤمنة التقية بالفطرة، التي تحاسب صاحبها فتَحُضُّه على فعل الخيرات وتلومه على ترك الطاعات وفعل المعاصي.

{4} بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ

قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نجعل أَطْرَاف أَصَابِعه مُسْتَوِيَة. يُخبرنا سبحانه وتعالى أنه جعل منذ الخلق بصمة أطراف الأصابع مختلفة من شخص لآخر، وهذا ما اكتشفه العلم حديثاً.

{16} لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ

حيث نزل القرآن دفعة واحدة ليلة القدر وتم تخزينه في ذاكرة الرسول، كان الرسول (ص)-حين يقرأ عليه جبريل الآية -يرى تكملتها في ذاكرته، ويحاول لفظها قبل أن ينطقها جبريل. هنا يُرشده: إذا قَرأه جبريل علنا، أَنْصِتْ إلى قِرَاءتِه واتبعه ولا تستعجل. أن علينا جمع الوحي وأن تقرأه، وفوق ذلك أن تبينه للناس بلسانك أي عن ظهر قلبك لا بكتابة تقرأها. فالبيان هنا بيان ألفاظه وليس بيان معانيه

باسرة: كالحة مِن تيقن العذاب

فاقرة: داهية عظيمة

وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ: والظن: العلم المقارب لليقين، وضمير { أنه } ضمير شأن ، أي وأيقن أنه الأمر العظيم، وهو فراق الحياة

التَفَّ: لفُ ساقَي المحْتضر بعد موته إذ تُلَفُّ الأكفان على ساقيْه ويُقرن بينهما في ثوب الكفن فكُلُّ ساق منهما ملتفة بصحبةَ الساق الأخرى. وتأتي الساق أيضا للدلالة على الشدة والمصيبة.

المساق : بمعنى الإحضار والإيصال إلى حيث يلقى جزاء ربه .

سُورَةُ المُدَّثِّر

سورة المدثر توجه أولى أوامر التكليف للنبي (ص) بالإنذار والدعوة إلى الله. تدعو السورة إلى تطهير القلب والثياب، والتحذير من الغفلة، وتعرض مآل المكذبين الذين أعرضوا عن الدعوة.

النَاقُور: النقر في كلام العرب الصوت، سمي ناقوراً لأنه يخرج منه صوت عظيم رهيب،

{18} إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {19} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ .....

يرسم تلك الصورة المبدعة المثيرة للسخرية والرجل يكد ذهنه! ويعصر أعصابه! ويقبض جبينه ! وتكلح ملامحه وقسماته. كل ذلك ليجد عيبا يعيب به هذا القرآن، وليجد قولا يقوله فيه . لقطة وهو يفكر ويدبر ومعها دعوة هي قضاء(فقتل !) واستنكار كله استهزاء

{22} ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ

{عَبَسَ} قطب بين عينيه **{بَسَرَ}** كلح وجهه وتغير لونه فإن أبدى عن أسنانه في عبوسه قيل كلح، فإن اهتم في الأمر وفكر فيه قيل: بسر، فإن غضب مع ذلك قيل: بسل **{أَسْفَرَ}** أضاء وانكشف. **{الكبر}** الدواهي وعظائم المصائب والعقوبات

قَسْوَرَةٍ: أسد، من القسر وهو القهر، سمي بذلك لأنه يقهر السباع

{30} عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ

من الملائكة، عِدَّتهمْ أَنَّهُمْ تِسْعَة عَشَر اِخْتِبَارًا لِلنَّاسِ، " لِيَسْتَيْقِن الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَاب " أَيْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الرَّسُول على حَقّ، فَإِنَّهُ نَطَقَ بِمُطَابَقَةِ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ الْكُتُب السَّمَاوِيَّة

الْمُنَزَّلَة عَلَى الْأَنْبِيَاء قَبْله. وما يعلم عدد جنود ربك - ومنهم الملائكة- إلا الله وحده، ولِئَلَّا يَتَوَهَّم مُتَوَهِّم أَنَّهُمْ تِسْعَة عَشَر فَقَطْ.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

سورة المزمل تأمر النبي (ص) بقيام الليل والتزود بالصبر والتحمل لأعباء الدعوة. تدعو السورة إلى تلاوة القرآن بتدبر، والاستعانة بالصبر والصلاة لتحمل مشاق الطريق إلى الله.

{1} يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ

الْمُزَّمِّلُ: أصله المتزمل وهو الذي تلفف وتغطى، وخطابه، بهذا الوصف [يا أيها المزمل] فيه تأنيس وملاطفة له عليه السلام. كان العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك معاتبته، سمّوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها

{5} إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

الثقل الموصوف به القول، ثقل لصعوبة حفظه لاشتماله على معان ليست من معتاد ما يجول في مدارك قومه، لاشتماله على معان وافرة يحتاج العلم بها لدقة النظر. فهو يحوى من المعارف والعلوم ما لا يفي العقل بالإحاطة به. فالمعنى:
قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك. قم للجهد، والنصب، والكد والتعب . قم فقد مضى وقت النوم والراحة.. قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد

{7} إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا

السبحُ هنا عبارة عن الحركة والتصرف في الأعمال.

{8} وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا

التبتل: الانقطاع. والمراد بالانقطاع المأمور به انقطاع خاص وهو الانقطاع عن الأعمال التي تمنعه من قيام الليل ومهام النهار في نشر الدعوة ومحاجّة المشركين.

الأنكال: القيود

سُورَةُ الجِنِّ

سورة الجن تعرض موقف الجن من سماع القرآن، وكيف آمن بعضهم وكفر آخرون. تؤكد السورة أن الهداية بيد الله وحده، وتدعو إلى إخلاص العبادة لله، وتحذر من الشرك والخضوع للجن والإنس.
إن كلمة "الجن" ومشتقاته تتفق جميعا - من حيث اللغة - في معنى واحد هو الستر والخفاء.
الجن اصطلاحًا: عالَم من العوالم الغيبية التي نصدق بوجودها، ونؤمن بأن هذا العالم يستحيل علينا تعريفه بعيدًا عن الوحي، وأي محاولة لتعريف هذا العالم خارج دائرة الوحي تعتبر ضربًا من العبث لا دليل تقوم عليه

{1} قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ.....

وهذا الافتتاح يدل على أن معرفة النبي [صلى الله عليه وسلم] بأمر استماع الجن له ، وما كان منهم بعد أن سمعوا القرآن منه، كانت بوحي من الله سبحانه إليه ، وإخبارا عن أمر وقع ولم يعلم به الرسول [صلى الله عليه وسلم] ولكن الله أطلعه عليه

عَجَبًا: غير مألوف ، يثير الدهش في القلوب

{3} وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا.....

الجِدّ وهو القدر والمقام. وهو العظمة والسلطان. المعنى هو التعبير عن الشعور باستعلاء الله - سبحانه - وبعظمته وجلاله عن أن يتخذ صاحبة - أي زوجة - وولدا بنين أو بنات!

{4} وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا

سَفِيهُنَا: كبيرنا وزعيمنا

شَطَطًا: ظُلْمًا كَبِيرًا وبَاطِلًا وَزُورًا

الْقَاسِطُ: هُوَ الْجَائِر عَنْ الْحَقّ وجمعه قاسطون ، بِخِلَافِ **الْمُقْسِط** فَإِنَّهُ الْعَادِل. يقولُ أهلُ الجِنّ أنَّ مِنّا الخاضعون لله بالطاعة، ومِنّا الجائرونَ الظالمونَ الذينَ حادوا عن طريقِ الحق

يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا: توحي بالمشقة حيث أن الذي يصعد في المرتفع يجد مشقة في التصعيد كلما صعد. وقد درج القرآن على الرمز للمشقة بالتصعيد

{19} وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا

لَمَّا رَأَوْهُ يُصَلِّي وَأَصْحَابه يَرْكَعُونَ بِرُكُوعِهِ وَيَسْجُدُونَ بِسُجُودِهِ عَجِبُوا مِنْ طَوَاعِيَة أَصْحَابه لَهُ. ولَمَّا قَامَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول لَا إِلَه إِلَّا اللَّه وَيَدْعُو النَّاس إِلَى رَبّهمْ، اجتمَعَت الْإِنْس وَالْجِنّ عَلَى هَذَا الْأَمْر وتزاحموا عليه لِيُطْفِئُوهُ، فَأَبَى اللَّه إِلَّا أَنْ يَنْصُرهُ وَيُمْضِيه وَيُظْهِرهُ عَلَى مَنْ عاداه

مُلْتَحَدًا : نَصِيراً أو مَلْجَأً

{26} عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا{27} إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا{28} لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا

لا يُظْهِرُ اللهُ على غيبِه أحداً مِنْ خَلْقِه، إلّا مَنْ اختارَهُ اللهُ لرسالتِه وارتضاه، فإنَّه يُطلعُهم على بعضِ الغيب، ويُرسلُ مِنْ أمامِ الرسولِ ومِنْ خَلفِه ملائكَةٌ يَحفظونَهُ لكي يتمكن من أداء الرسالة كاملة دون زيادة أو نقصان، فتكون العِصمَة للرسالة.

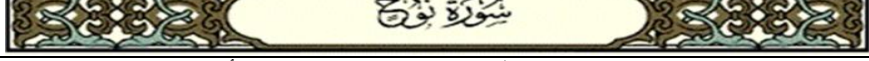

سورة نوح تروي قصة دعوة نبي الله نوح عليه السلام لقومه بأساليب متعددة، وصبره الطويل. تدعو السورة إلى الإيمان قبل أن يحل العذاب، وتعرض مظاهر قدرة الله في الخلق والإنذار بالعاقبة.

{3} أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ

أســاس دعوة جميع الأنبياء: إنّي رســولُ اللهِ إليكُم فاعبُدوه وحدَه وخافوا عِقابه، وأطيعون فيما آمُرُكم به وأنهاكُم عنه.

{27} إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا

عندما يولد الإنســان يكون على الفطرة السـليمة التي أودعها الله فيه. وتتشـكل معارفه من خلال ما يكتسِبه من البيئة التي نشأ فيها. فقوله **وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** يعني **أنهم** سوف يُرَبّون الأجيال اللاحقة على الكُفر والأخلاق الغير حميدة

تَبَارًا : هلاكا

سُورَةُ المَعَارِجِ

ســورة المعارج تعرض مشــاهد من يوم القيامة وأهواله، وتبرز صــفات المؤمنين الذين ينجون من العذاب. تدعو الســورة إلى الصــبر الجميل، وتبين أن الإنســان بطبعه عجول جزوع إلا من زكّى نفسه بالإيمان والعمل الصالح.

{1} سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ {2} لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ {3} مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ

كانت حقيقة الآخرة من الحقَائق العســيرة الإدراك عند مشــركي العرب؛ ولقد لقيت منهم معارضـة نفسية عميقة ، وكانوا يتلقونها بغاية العجب والدهشة والاستغراب ؛ وينكرونها أشـد الإنكار . النص هنا يبين أنهم تحدّوا الرسـول [صـلى الله عليه وسـلم] أن يأتيهم بهذا اليوم الموعود. وجاء الجواب: تأكيد بأن هذا العذاب لا راد له إذا أراد الله وقوعه، وهو نازل بهم لا محالة، سواء طلبوه أو لم يطلبوه، وإذا نزل العذاب، فلن يُرفع أو يُدفع.

مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ: أي هو واقع من الله (ذي المعـارج) . . وهو تعبير عن الرفعـة والتعالي ، كما قال في سورة أخرى: (رفيع الدرجات ذو العرش) . .

{4} تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ

لبيان مدى رفعته ســبحانه، فإن الملائكة وعلى رأســها جبريل وهي المخلوقات النورانية التي تنقل أوامر الله، تحتاج إلى مدة زمنية تعادل نسبياً خمسين الف سنة مقابل كل يوم من أيام الأرض. وقد بين علم الفلك نسبية الزمن وسرعة الصوت والضوء.

{8} يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ {9} وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

المقصود باليوم هو يوم القيامة.

كَالْمُهْلِ: المعادن المُذابة، **الْعِهْنِ**: الصوف المنتفش.

القرآن يقرر في مواضـع مختلفة أن أحداثا كونية كبرى ستقع في هذا اليوم، تُغيّر أوضـاع الأجرام الكونية، وصــفاتها، ونســبها وروابطها. ومن هذه الأحداث أن تكون الســماء كالمعادن المذابة. وهذه النصوص جديرة بأن يتأملها المشتغلون بالعلوم الطبيعية والفلكية. فمن المرجح عندهم أن الأجرام السماوية مؤلفة من معادن منصهرة إلى الدرجة الغازية.

{19} إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {20} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {21} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا

هلوع: على وزن فعول. مبالغة للاتصاف بالهلَع

والهلع: صفة غير محمودة ، فوصف الإنسان هنا بها لوْم عليه في تقصيره عن التخلق بدفع آثارها

الجزع: أثر من آثار الهلع. والجزع عكس الصبر. فإذا لحق به أذى مثل المرض والفقر أصابه الهلع والخوف ولم يَصبِر

المنوع: الكثير المنع ، أي شديد المنع لبذل شيء مما عنده من الخير

{36} فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ {37} عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ

مُهْطِعِينَ : مسرعين

عِزِينَ: وَاحِدهَا عِزَة أَيْ مُتَفَرّقِينَ يميناً وشمالاً

{43} يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ

يستعمل القرآن الكريم مصطلح القبر والمقابر عند نفخة الصور الأولى دالة على المعنى المادي لأماكن دفن الموتى في الأرض في الحياة الدنيا.

أما مصطلح **الأجداث** فيرد بعد نفخة الصور الثانية يوم القيامة، حيث تتبدل الأرض غير الأرض والسماء غير السماء، وحيث يخلق الله لكل انسان جسداً جديداً - مختلف عن الجسد الدنيوي- فتنزل فيه النفس من مكان وجودها في عالم الغيب بعد أن تتوفاها الملائكة.

هؤلاء الخارجون من الأجداث يسرعون الخطى كأنما هم ذاهبون إلى نصب يعبدونه. . وفي هذا التهكم تناسق مع حالهم في الدنيا. لقد كانوا يسارعون إلى الأنصاب في الأعياد ويتجمعون حولها. فها هم أولاء يسارعون اليوم، ولكن شتان بين يوم ويوم !

سُورَةُ الحَاقَّة

سورة الحاقة تصور أهوال يوم القيامة وأحوال المكذبين الذين كذبوا بالبعث. تدعو السورة إلى تصديق الوحي والعمل بمقتضاه، وتحذر من المصير المخيف لمن أعرض عن آيات الله وكذب بالرسالة.

الْحَاقَّةُ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْم الْقِيَامَة لِأَنَّ فِيهَا يَتَحَقَّق الْوَعْد وَالْوَعِيد

الطَّاغِيَةِ: الصيحة المدمرة، التي جاوزت الحد في الشدة

الْمُؤْتَفِكَات: وَهُمْ الْأُمَم الْمُكَذِّبُونَ بِالرُّسُلِ. **بِالْخَاطِئَةِ "** وَهِيَ التَّكْذِيب بِمَا أَنْزَلَ اللَّه.

{17} وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ

العرش: هو أوامر الله ونواهيه لقوله تعالى: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} (البروج 15-16)، فقد ربطت الآية بين العرش والفعل الإلهي من تحريم وأمر ونهي. ولا يحمل العرش معنىً مكانياً إطلاقاً. كما أن ثمانية من الملائكة مكلفون بتنفيذ أوامر الله في يوم القيامة. والله أعلم.

الاستواء على العرش : تعني أنه صاحب الأمر والنهي والسلطة والسيطرة على كل المخلوقات

غِسْلِين: صديدِ أهل النار

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ: اليمين ترمز إلى القوة وشدة البطش

الْوَتِينَ: الْعِرْق المُعَلّق فِيهِ الْقَلْب

سُورَةُ القَلَمِ

سورة القلم تدافع عن شخصية النبي (ص) ضد اتهامات المكذبين، وتبرز أهمية الصبر والثبات. تدعو السورة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة، وتحذر من الغرور بنعم الدنيا والانخداع بزخارفها.

{1} ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ

يبدأ النص كما سبق أن بدأ سورة العلق بقوله(اقرأ) منوها بقيمة التعلُّم بواسطة القدرة على التمييز والتقليم التي منحها الله للإنسان منذ آدم عليه السلام. منوها بأهمية الكتابة معظما لشأنها

{9} وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ

تمنَّوا وأحبوا لو تلاينهم، وتوافقهم على بعض ما هم عليه، فيلينون لك

مَهِينٍ: كاذب

هَمَّازٍ: يكثر من استغابة الناس

مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ: الَّذِي يَمْشِي بَيْن النَّاس وَيُفسد بَيْنهمْ وَيَنْقُل الْحَدِيث لِفَسَادِ ذَات الْبَيْن.

مُعْتَدٍ: يَتَجَاوَز الْحَدّ الْمَشْرُوع فِي تَنَاوُل مَا أَحَلَّ اللَّه لَهُ

أَثِيمٍ: يقوم بفعل الْمُحَرَّمَات

عُتُلٍّ: هُوَ الْفَظّ الْغَلِيظ الشَّدِيد الْقَوِيّ

زَنِيمٍ: هُوَ الْمَشْهُور بِالشَّرِّ

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ: سَنُبَيِّنُ أَمْره بَيَانًا وَاضِحًا حَتَّى يَعْرِفُهُ الناسُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ، كَمَا لَا تَخْفَى العلامة التي توضع عَلَى خَرَاطِيم الحيوانات

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ: أصحاب الْبُسْتَان الْمُشْتَمِل عَلَى أَنْوَاع الثِّمَار وَالْفَوَاكِه

لَيَصْرِمُنَّهَا: يقطعوا ثَمَرهَا لَيْلًا لِئَلَّا يَعْلَم بِهِمْ فَقِير وَلَا سَائِل، فلَا يَتَصَدَّقُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ.

وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ: فذهبوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنهمْ بِحَيْثُ لَا يُسْمِعُونَ أَحَدًا كَلَامهمْ، ويَقُول بَعْضهمْ لِبَعْضٍ: إننا أقوياء وقادرين

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ : الكشف عن الساق في اللغة العربية المأثورة – تعبير عن الشدة والكرب يوم القيامة

: لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ: بِمَعْنَى يَحْسُدُونَك لِبُغْضِهِمْ إِيَّاكَ

سُورَةُ المُلكِ

سورة الملك تبرز عظمة خلق الله وقدرته على الإحياء والإماتة. تدعو السورة إلى التأمل في ملكوت السماوات والأرض، وتحذر من الغفلة عن الغاية من الخلق، وتؤكد أن النجاة هي في الإيمان والعمل الصالح.

تناولت هذه الســـور أهدافا رئيســـية ثلاثة وهي (إثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة.. وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين.. ثم بيان عاقبة المكذبين الجاحدين للبعث والنشور).

فُطُورٍ: شقوق وخروق أوعيب أو نقص

حَسِيرٌ: تعب وإعياء

تَمَيَّزُ: تتقطع وينفصل بعضها من بعض

مَنَاكِبِهَا: أطرافها

لَّجُّواْ: تمادوا وأصروا

تَمُورُ: ترتج وتضطرب

زُلْفَةً: قريبا

سورة التحريم تعالج بعض المواقف الخاصة في بيت النبوة، وتدعو إلى التوبة النصوح. تؤكد السورة أن رضا الله فوق كل شيء، وتحذر من مخالفة أوامره، مع ضرب أمثلة بزوجات أنبياء سابقين.

{1} يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يُروى عن عائشة أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يَشْرَب عَسَلًا عِنْد زَيْنَب بِنْت جَحْش وَيَمْكُث عِنْدهَا، فَتَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَـــة عَلَى أَيَّتنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْت مَغَافِير، إِنِّي أَجِد مِنْك رِيح مَغَافِير؟ قَالَ" لَا وَلَكِنِّي كُنْت أَشْـــرَب عَسَـــلًا عِنْد زَيْنَب بِنْت جَحْش، وَقَدْ **حرمته** على نفسي وحلفتُ ألا أعود إليه، فَلَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا." فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ هذه الآية، مبيناً أن الله وحده هو الذي يُحرّم.

تَحِلَّة : تحليل اليمين بالكفارة. وهي: إطعامُ عشرَة مساكين، أو كِسوتِهم، أو تحريرِ رقبة، فمَنْ لم يجِد فصيامُ ثلاثةِ أيام.

صَـــغَتْ: مالت، أي بعد التوبة مالت إلى الخير وحق المعاشـــرة مع الزوج ، ومنه ســـمي سماع الكلام إصغاء لأن المستمع يُميل سمعه إلى من يكلمه

نَّصُوحا: خالصة صادقة

حْصَنَتْ: صانت نفسها عن مقاربة الفاحشة

فَخَانَتَاهُمَا: لَمْ يُوَافِقَاهمَا عَلَى الْإِيمَان وَلَا صَـــدَقَاهُمَا فِي الرِّسَـــالَة، وكانتا تنقلان أخبارهم لأعدائهم

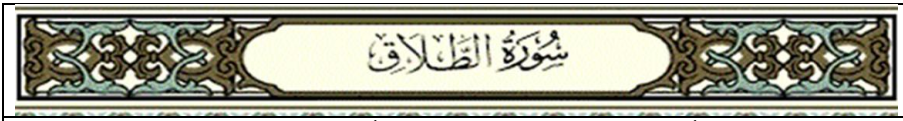

سورة الطلاق تضع أحكام الطلاق وتنظم العلاقات الأسرية في إطار العدل والتقوى.
تدعو السورة إلى الالتزام بأوامر الله عند الخلافات الزوجية، وتؤكد أن من يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب.

العِدَّة: المدة التي تحتبس فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها

أَحْصُواْ: اضبطوا بطريق العَدَد

وُجْدِكُمْ: مما هو موجود عندكم حسب طاقتكم ووسعكم

ارتبتم : شككتُم

كَأَيِّن: كثير

عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا: تكبرت وتجبرت وأعرضت

نُكْراً: منكراً شنيعاً وفظيعاً

خُسْراً: خساراً وهلاكاً

وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ: فَإِنْ أَرْضَعَتْ المطلّقة اِسْتَحَقَّتْ أَجْرَاً. ويجب أن يتم التفاهم على ذلك بالمعروف

وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى: إن حصل اختلاف على أجر الرضاعة فَلْيَسْتَرْضِعْ لَهُ غَيْرِهَا فَلَوْ رَضِيَتْ الْأُمّ بِمَا أُسْتُؤْجِرَتْ بِهِ الْأَجْنَبِيَّة فَهِيَ أَحَقّ بِوَلَدِهَا.

سورة التغابن تعرض حقيقة يوم القيامة باعتباره يوم التغابن الحقيقي بين أهل الجنة وأهل النار. تدعو السورة إلى الإيمان والعمل الصالح، وتحذر من الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله.

التغابن: هو يوم القيامة الذي يظهر فيه غبن الكافر وخسارته بتركه الإيمان، وذلك أن المؤمنين اختاروا الثواب في الجنة بدل مباهج الدنيا، واختار الكفار مباهج الدنيا بترك الآخرة

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ: من حيث التصميم والتخطيط والتشكيل

{11} مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
الإذن: أصله إجازة الفعل لمن يفعله.
الله قَدَّر أسباب الحوادث، الله في نظام هذا العالم يربط المسببات بأسبابها مع علمه بما تفضي إليه تلك الأسباب. والإنسان هو الذي يختار أحد الأسباب. أطلَق على ذلك التقدير والتكوين لفظ الإذن. أي المشيئة.

{12} وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

ويتابع دعوتهم إلى الإيمان فيدعوهم إلى طاعة الله باتباع ما ورد في تنزيله الحكيم، وطاعة الرسول فيما تلاه عليهم من التنزيل الحكيم. وهنا يقرر لهم أن الرسول مبلغ . فإذا بلغ فقد أدى الأمانة، ونهض بالواجب، وأقام الحجة. وبقي ما ينتظرهم هم من نتائج المعصية والتولي، مما ذكروا به منذ قليل.

14} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ

كان المسلمون بمكة ممتزجين مع المشركين بوشائج النسب والصهر والولاء، فلما ناصبهم المشركون العداء لمفارقتهم دينهم وأضمروا لهم الحقد وأصبحوا فريقين، أيقظت هذه الآية المؤمنين أن يَحذروا أهل قرابتهم الذين يُعادونهم.

العفو: ترك المعاقبة على الذنب بعد الاستعداد لها. ولو مع توبيخ .

الصفح: الإعراض عن المذنب، أي ترك عقابه على ذنبه دون التوبيخ .

الغفر: ستر الذنب وعدم إشاعته

يا معشر المؤمنين إن بعض الزوجات والأولاد أعداء لكم، يصدونكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعة الله، فاحذروا أن تستجيبوا لهم وتطيعوهم

سورة المنافقون تفضح صفات المنافقين وأخلاقهم في التعامل مع الله ورسوله. تدعو السورة إلى الإخلاص في الإيمان والعمل، وتحذر من الفتنة بالمال والأولاد التي قد تصرف عن طاعة الله.

{2} اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

جُنَّة : وقاية وسُترة يحفظون بها أنفسهم وأموالهم

وهي توحي بأن المنافقين كانوا يحلفون الأيمان كلما انكشف أمرهم، أو عرف عنهم كيد أو تدبير ، أو نقلت عنهم مقالة سوء في المسلمين. كانوا يحلفون ليتقوا ما يترتب على افتضاح أمر من أمورهم، فيجعلون أيمانهم وقاية وجُنة يحتمون وراءها، ليواصلوا كيدهم ودسهم وإغواءهم للمخدوعين فيهم .

{7} هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا

هي خطة المنافقين كما تحكيها هذه الآية لينفَضَّ أصحاب رسول الله [صلى الله عليه وسلم] عنه تحت وطأة الضيق والجوع!

سورة الجمعة تبين فضل يوم الجمعة وأهمية الاجتماع لعبادة الله وذكره. تدعو السورة إلى التوازن بين طلب الرزق وأداء الواجبات الدينية، وتحذر من الانشغال بالدنيا على حساب الآخرة.

{2} هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ.

الْأُمِّيِّينَ: هُمْ الْعَرَب الذين لم يكن لهم كتاب سماوي مثل اليهود والنصارى، فهم أمّيون لا يعرفون ما في هذه الكُتُب. فقول أمّي يستلزم توضيح أمّي بالنسبة لأي موضوع. فقول هذا أمّي بعلم الطِّب حدد الموضوع، ولكن ربما يكون عالِما في مواضيع أخرى.

{5} مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا

يَقُول تَعَالَى ذَامًّا لِلْيَهُودِ الَّذِينَ أُعْطُوا التَّوْرَاة وَحُمِّلُوهَا لِلْعَمَلِ بِهَا، حَفِظُوهُ لَفْظًا وَلَمْ يَتَفَهَّمُوهُ وَلَا عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ، مِثْلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ الْحِمَار إِذَا حَمَلَ كُتُبًا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا

سُورَةُ الصَّفِّ

سورة الصف تحث المؤمنين على وحدة الصف في نصرة دين الله والجهاد في سبيله. تدعو السورة إلى الصدق في الالتزام بالعهود، وتبشر بنصرة الله ورسوله، وتضرب المثل بأتباع موسى وعيسى عليهم السلام.

{1} سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

سبَّح: نَزَّه.

جَمِيع مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض متغير وهو بهذه الحالة يُنزّه الله عن التغير

{8} يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

أَيْ يُحَاوِلُونَ أَنْ يَرُدُّوا الْحَقّ بِالْبَاطِلِ وَمَثَلهمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيد أَنْ يُطْفِئ شُعَاع الشَّمْس بِفِيهِ، وَكَمَا أَنَّ هَذَا مُسْتَحِيل، كَذَلِكَ القضاء على تعاليم الله مُسْتَحِيل. وَلِهَذَا قَالَ اللَّه تَعَالَى وَاَللَّه مُتِمّ نُوره وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

سورة الممتحنة توضح ضوابط التعامل مع غير المسلمين خاصة في حالتي السلم والعداوة. تدعو السورة إلى الولاء لله ورسوله والمؤمنين، مع العدل والإحسان مع من لم يعادوا الإسلام وأهله.

{1} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ..

تُذَكِّر المؤمنين بأنه لا محل للمودة بينهم وبين المشركين. ثم يحذرهم تحذيرا خفيا مما تكن قلوبهم ، وما يُسِرون به إلى أعدائهم وأعداء الله من المودة. وفيها تبصير للمؤمنين بحقيقة أعدائهم وما يضمرون لهم من الشر والكيد. ثم يهددهم تهديدا مخيفا

{2} إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً .....وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ

هؤلاء الذين توالوهم، إذا سنحت لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل، ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدي وبالألسنة وبكل وسيلة وكل سبيل. والأدهى من هذا كله والأشد أنهم يريدون أن يُرجعوكم إلى الكُفر

{7} عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً

في معرض التخفيف على نفوس بعض المهاجرين، وتغذية قلوبهم المتعبة بمشقة المقاطعة والحرب للأهل والعشـــير، يأتي هذا الرجاء الذي لا يغلب عليه اليأس. لقد وقع بعد هذا بوقت قصير قبل أن فُتِحت مكة، وأسلمت قريش، ووقف الجميع تحت لواء واحد، وطويت الثارات وعاد الجميع إخوة مؤتلفي القلوب.

{8} لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

وإلى أن يتحقق وعد الله الذي دل عليه لفظ الرجاء، رَخَّصَ الله لهم في مودة من لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم. ورفع عنهم الحرج في أن يبروهم ، وأن يتحروا العدل في معاملاتهم معهم فلا يبخسونهم من حقوقهم شيئا

{9} إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

هذا أســاس شــريعة الإســلام الدولية، التي تجعل حالة الســلم بينه وبين الناس جميعا هي الحالة الثابتة ، لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربي وضرورة رده

{13} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...

يَنْهَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ مُوَالَاة الْكَافِرِينَ فِي آخِر هَذِهِ السُّورَة كَمَا نَهَى عَنْهَا فِي أَوَّلهَا

سُورَةُ الحَشْرِ

سورة الحشر تعرض مشهداً من إجلاء بني النضير وتبين أن النصر بيد الله وحده. تدعو السورة إلى التأمل في أسماء الله وصفاته، وتحذر من التشبه بالمنافقين واليهود الذين تخلوا عن وعودهم وخسروا الدنيا والآخرة.

الحشر: الجمع، وسمي يوم القيامة يوم الحشر لأنه يوم اجتماع الناس للحساب والجزاء

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ: في خروج بني قريظة. وَكَانَ قَدْ سَمَحَ لَهُمْ بأخذِ مَا حَمَلَتْ إبِلهمْ. فَكَانُوا يُخَرِّبُونَ مَا فِي بُيُوتهمْ مِنْ الْمَنْقُولَات الَّتِي لا يُمْكِن أَنْ تُحْمَل مَعَهُمْ كي لا يســتفيد منها المسلمون.

شَاقُّواْ: عادوا وخالفوا

لِّينَةٍ: بكسر اللام النخلة القريبة من الأرض، الكريمة الطيبة، سميت لينة لجودة ثمرها

أَوْجَفْتُمْ: الوجيف: سرعة السير. هنا تعني ما تم النصر فيه بسرعة وبدون قتال

دُولَةً بين الأغنياء: بضــم الدال، الشــيء الذي يتداول من الأموال، وينتقل من يد إلى يد. أي كي لا يتقاسمه الأغنياء بينهم ولا يتركوا نصيبا للفقراء

خَصَاصَةٌ: فقر واحتياج

غِلاً: حِقداً وضغينة

{21} لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

يَقُول تَعَالَى مُعَظِّمًا لِأَمْرِ الْقُرْآن وَمُبَيِّنًا عُلُوّ قَدْره، أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَخْشَع لَهُ الْقُلُوب وَتَتَصَدَّع عِنْد سَمَاعه، لِمَا فِيهِ مِنْ الْوَعْد الْحَقّ وَالْوَعِيد الْأَكِيد. فالْجَبَل فِي غِلْظَته وَقَسَاوَته لَوْ فَهِمَ هَذَا الْقُرْآن وَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ، لَخَشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْفه مِنَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ. فَكَيْفَ يَلِيق بِكُمْ يَا

أَيُّهَا الْبَشَـر أَنْ لَا تَلِينَ قُلُوبكُمْ وَتَخْشَـع وَتَتَصَـدَّع مِنْ خَشْـيَة الله، وَقَدْ فَهِمْتُمْ عَنْ الله أَمْره وَتَدَبَّرْتُمْ كِتَابه.؟

سورة المجادلة تنظم شؤون الأسرة والمجتمع، وتعرض أحكام المجادلة والنجوى. تؤكد السورة أن الله مطلع على كل شيء، وتدعو إلى نصرة الله ورسوله، وتبين أن مآل الذين يحادون الله الخسران والهوان.

تبدأ السورة بصورة عجيبة من صور هذه الفترة الفريدة في تاريخ البشرية. فترة اتصال السماء بالأرض في صورة مباشرة محسوسة، ومشاركتها في الحياة اليومية لجماعة من الناس مشاركة ظاهرة. فنشهد السماء تتدخل في شأن يومي لأسرة صغيرة فقيرة مغمورة، لتقرر حكم الله في قضيتها، وقد سمع - سبحانه - للمرأة وهي تحاور رسول الله فيها، ولم تكد تسمعها عائشة وهي قريبة منها! وهي صورة تملأ القلب بوجود الله، وقربه، وعطفه ورعايته .

أما بقية السورة بعد هذا فتنصرف إلى الحديث عن المنافقين الذين يتولون اليهود؛ ويتآمرون معهم ، ويدارون تآمرهم بالكذب والحلف للرسول وللمؤمنين . وتصورهم في الآخرة كذلك حلافين كذابين؛ يتقون بالحلف والكذب ما يواجههم من عذاب الله، كما كانوا يتقون بهما في الدنيا

{1} قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

هو مطلع ذو إيقاع عجيب. . إنكما لم تكونا وحدكما.. لقد كان الله معكما. وكان يسمع لكما. لقد سمع قول المرأة. سمعها تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله . وعلم القصة كلها. وهو يعلم تحاوركما وما كان فيه. . إن الله سميع بصير. يسمع ويرى. هذا شأنه وهذه صورة منه في الحادث الذي كان الله ثالثكما فيه . .

{2} الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ.....

هو علاج للقضية من أساسها. إن هذا الظهار قائم على غير أصل. فالزوجة ليست أما حتى تكون محرمة كالأم. فالأم هي التي ولدت. ولا يمكن أن تستحيل الزوجة أما بكلمة تقال. إنها كلمة منكرة ينكرها الواقع. وكلمة مزورة ينكرها الحق. والأمور في الحياة يجب أن تقوم على الحق والواقع، في وضوح وتحديد ، فلا تختلط ذلك الاختلاط ، ولا تضطرب هذا الاضطراب

{7} أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ .....

9. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

يبدو أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد بحاسة التنظيم الإسلامي، كانوا يتجمعون عندما تحزب الأمور ، ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيدا عن قيادتهم . الأمر

الذي لا تقره طبيعة الجماعة الإسلامية، وروح التنظيم الإسلامي، التي تقتضي عرض كل رأي وكل فكرة وكل اقتراح على القيادة ابتداء، وعدم التجمعات الجانبية في الجماعة. كما يبدو أن بعض هذه التجمعات كان يدور فيها ما قد يؤدي إلى البلبلة، وما يؤذي الجماعة المسلمة - ولو لم يكن قصد الإيذاء قائما في نفوس المتناجين - ولكن مجرد إثارتهم للمسائل الجارية وإبداء الآراء فيها على غير علم، قد يؤدي إلى الإيذاء، وإلى عدم الطاعة .

{7} أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ

سورة الحديد تدعو إلى الإيمان بالله ورسوله، والتوازن بين الروح والمادة. تبرز السورة أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة زائلة، وتحث على الإنفاق في سبيل الله قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة.

ظاهر من سياق السورة أنها كانت تعالج كذلك حالة واقعة في الجماعة الإسلامية عند نزول هذه السورة في المجتمع المدني في فترة تمتد من العام الرابع الهجري إلى ما بعد فتح مكة . فإلى جانب السابقين من المهاجرين والأنصار ، الذين ضربوا أروع مثال عرفته البشرية ، في تحقيق حقيقة الإيمان في نفوسهم ، وفي البذل والتضحية بأرواحهم وأموالهم ، كانت هناك - في الجماعة الإسلامية - فئة أخرى ليست في هذا المستوى الإيماني الخالص الرفيع - وبخاصة بعد الفتح عندما ظهر الإسلام ، ودخل فيه الناس أفواجا ، وكان من بينهم من لم يدركوا بعد حقيقة الإيمان الكبيرة ، ولم يعيشوا بها ولها كما عاشت تلك الفئة السابقة الخالصة المخلصة لله . كذلك كانت هنالك طائفة أخرى - غير هؤلاء وأولئك - هي طائفة المنافقين ، مختلطة غير متميزة . وبخاصة حين ظهرت غلبة الإسلام ، واضطر المنافقون إلى التخفي والانزواء ؛ مع بقاء قلوبهم مشوبة غير خالصة ولا مخلصة يتربصون الفرص وتجرفهم الفتن.

{4} .....ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ.....

صار كل شيء تحت أمره وسيطرته

{12} يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

يستشعرون نور الهداية في قلوبهم. إنه نور الإيمان الذي أخرجهم من الظلمات في الحياة الدنيا يقودهم في الحياة الآخرة إلى الْبِشَارَة بِجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتهَا الْأَنْهَار

{13} .... انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ

يقول المنافقون للمؤمنين: دعونا نسير معكم عسى أن نهتدي بنوركم. فيُقال لهم: ارجعوا فليس اليوم يُلتَمس النور! كان الأحرى أن تبتغوا نور الإيمان وأنتم في الحياة الدنيا، كنتم

أيها المنافقون تختلطون مع المؤمنين في الحياة الدنيا، . فهذا يوم الفصـــل يُفرَقُ فيه بينكم عَبَّر عنه النص بضرب سور بينهم

{21} .....وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

الجنةُ ستعرض عليكم يوم القيامة، وسترونها كما ترون السماء والأرض وأنتم في الحياة الدنيا

{25} ..... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ .....

الحديد موجود في الطبيعة على شكل فلزات. أعطى الله قُدرات معرفية للناس فاهتدوا إلى الحديد ومنافعه واستخراجه. فالإنزال هو عملية الإدراك فقط "أي المعرفة فقط".

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

ســورة الواقعة تعرض مشــهد البعث وتفصــيل أحوال الناس في الآخرة إلى ثلاث فرق. تدعو السورة إلى الاستعداد ليوم الحساب، وتؤكد أن القرآن تنـــــزيل كريم يجب تدبره والعمل به قبل فوات الأوان.

{1} إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ {2} لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ {3} خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ.....

فالواقعة (يوم القيامة) بمعناها وبجرس اللفظ ذاته - بما فيه من مد ثم ســكون - تُلقي في الحس كأنما هي ثقل ضخم ينقض من عَلٍ ثم يستقر، لغير ما زحزحة بعد ذلك ولا زوال. وإنها لتخفض أقدارا كانت رفيعة في الأرض، وترفع أقدارا كانت خفيضة في دار الفناء ، حيث تختل الاعتبارات والقيم؛ ثم تستقيم في ميزان الله

{4} إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا {5} وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا...

رُجَّتِ: زلزلت وحرّكت تحريكاً شديداً

بُسَّتِ: فُتّت حتى صارت كالدقيق المبسوس

{15} عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ

منسوجة محكمة النسج ومشبكة بالمعادن الثمينة

{19} لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ

لا يلحقهم الصُداع في رءوسهم منها ولا يسكرون فتذهب عقولهم

فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ: السدر شجر النبق الشائك . ولكنه هنا مخضود، اي شوكه منزوع

وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ: الطلح: شجر الموز {مَّنضُودٍ} متراكب بضعه فوق بعض

عُرُباً: ومنها عروب وهي المتحببة إلى زوجها

{22} وَحُورٌ عِينٌ {23} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ

هؤلاء الحور الواسعات العيون مثل اللؤلؤ المصون، الذي لم يتعرض للمس والنظر

أترابا: متقاربات السن والشباب

فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ: عندهم الهواء شواظ ساخن ينفذ إلى المسام ويشوي الأجسام

وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ: ظل الدخان اللافح الخانق

لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ: والماء متناه في الحرارة لا يُبَرِّد ولا يروي

وَكَانُوا يُصِـــرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ: وكانوا يُصِـــرّون على الْكُفْر بِاَللَّهِ وَجَعْل الْأَوْثَان وَالْأَنْدَاد أَرْبَابًا مِنْ دُون اللَّه.

الْمُزْنِ: السحاب

أُجَاجًا: مالِحا

تُورُونَ: توقدون

لِلْمُقْوِينَ: للمسافرين

أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ: أفبهذا القرآن أنتم مكذبون **!**

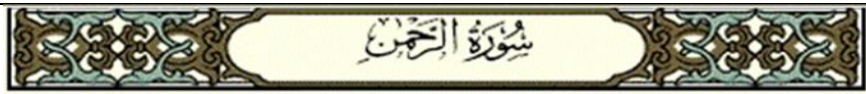

سورة الرحمن تبرز نعم الله الكثيرة على الإنس والجن بأسلوب مؤثر يوقظ القلوب. تدعو السورة إلى شكر نعم الله، والخضوع لعظمته، وتؤكد أن كل شيء فانٍ، ويبقى وجه الله ذو الجلال والإكرام.

هذه السورة المكية ذات نسق خاص ملحوظ . إنها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير ، وأعلام بآلاء الله الباهرة الظاهرة ، في جميل صنعه ، وإبداع خلقه ؛ وفي فيض نعمائه ؛ وفي تدبيره للوجود وما فيه ؛ وتوجه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم . . وهي إشهاد عام للوجود كله على الثقلين : الإنس والجن المخاطبين بالسورة على السواء ، في ساحة الوجود ، على مشهد من كل موجود ، مع تحديهما إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله ، تحديا يتكرر عقب بيان كل نعمة من نعمه التي يعددها ويفصلها ، ويجعل الكون كله معرضا لها ، وساحة الآخرة كذلك .

{1} الرَّحْمَنُ {2} عَلَّمَ الْقُرْآنَ {3} خَلَقَ الْإِنْسَانَ {4} عَلَّمَهُ الْبَيَانَ

عَلَّمَ الْقُرْآنَ: هذه النعمة الكبرى التي تتجلى فيها رحمة الرحمن بالإنسان (القرآن) الترجمة الصادقة الكاملة لنواميس هذا الوجود. ومنهج السماء للأرض. الذي يصل أهلها بناموس الوجود؛ ويقيم عقيدتهم وتصوراتهم وموازينهم وقيمهم ونظمهم وأحوالهم على الأساس الثابت الذي يقوم عليه الوجود . فيمنحهم اليسر والطمأنينة والتفاهم والتجاوب مع الناموس

{3} خَلَقَ الْإِنْسَانَ {4} عَلَّمَهُ الْبَيَانَ: إننا نرى الإنسان ينطق ويعبر ويبين، ويتفاهم، ويتجاوب مع الآخرين. فننسى بطول الألفة عظمة هذه الهبة، وضخامة هذه الخارقة، فيردنا القرآن إليها، ويوقظنا لتدبرها، في مواضع شتى. إن تكوين جهاز النطق وحده عجيبة لا ينقضي منها العجب. اللسان، والشفتان، والفك، والأسنان. والحنجرة، والقصبة الهوائية، والشعب، والرئتان . . إنها كلها تشترك في عملية التصويت الآلية وهي حلقة في سلسلة البيان. وهي على ضخامتها لا تمثل إلا الجانب الميكانيكي الآلي في هذه العملية المعقدة، المتعلقة بعد ذلك بالسمع والمخ والأعصاب . ثم بالعقل. وقد توصلت العلوم المعاصرة إلى كشف الكثير عن هذه العمليات.

{5} الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {6} وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ

هنا تتجلى دقة التقدير، في تنسيق التكوين والحركة، بما يملأ القلب روعة ودهشة، وشعورا بضخامة هذه الإشارة، وما في طياتها من حقائق بعيدة الآماد عميقة الأغوار .
يَجْرِيَانِ مُتَعَاقِبَيْنِ بِحِسَابٍ مُقَنَّنٍ لَا يَخْتَلِف وَلَا يَضْطَرِب. والنجمُ الذي في السماءِ وأشجارٌ الأرض، كلها تُنزِّه رَبَّها عن التغير والهلاك الذي هو صفة المخلوقات، وتمجده فهو الواحد الأحد الدائم، وتنقادُ لما سَخرَّها له مِن مصالح عبادِه ومنافِعهم.

{19} مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ {20} بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ

البرزخ هو المنطقة الفاصلة بين شيئين. فماء النهر العذب عندما يصُبُّ في البحر المالح تتكون منطقة بينهما تفصل الجانبين. طرف هذه المنطقة من جانب النهر يبقى فيه شيء من العذوبة، والطرف الآخر من جانب البحر يبقى فيه شيء من الملوحة. فيكون البرزخ حلقة الوصل بين الطرفين. ويَرِدُ مصطلح البرزخ أيصال في سورة أخرى بمعنى الفاصل بين الحياة الدنيا والآخرة.

{29} يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ {31} سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ

يَسْأَلُهُ مَنْ في السمواتِ والأرض حاجاتهم، فلا غِنى لأحَدٍ مِنهُم عَنه سُبحانه. ومن هذا الشأن شأن العباد في الأرض من إنس وجن . كلُّ يومٍ هو في شأن تدبير شؤون الكون: يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُعطي ويَمْنع. ومن ثم فهو يواجههما بهذه النعمة مواجهة التسجيل والإشهاد(:فبأي آلاءِ ربكما تكذبان.) ؟

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ: إنه أمر. إنه هول. إنه فوق كل تصور واحتمال **!**

والله - سبحانه - ليس مشغولا فيفرغ. وإنما هو تقريب الأمر للتصور البشري. وإيقاع الوعيد في صورة مذهلة مزلزلة، تسحق الكيان بمجرد تصورها سحقا. فهذا الوجود كله نشأ بكلمة. كلمة واحدة. كن فيكون. وتدميره أو سحقه لا يحتاج إلا واحدة كلمح البصر. فكيف يكون حال الثقلين ، والله يفرغ لهما وحدهما ، ليتولاهما بالانتقام**!** ؟

وسنولي أمركم أيها الإنس والجن اهتماما خاصا حيت أعطيناكم حرية الاختيار من دون المخلوقات، فَنُعاقِبُ أهلَ المعاصي، ونُثيبُ أهلَ الطاعة.

ثم يمضي في الإيقاع المرعب المزلزل، يتحداهما أن ينفذا من أقطار السماوات والأرض

{37} فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ

من هنا إلى نهاية السورة تبدأ مشاهد اليوم الآخر. مشهد الانقلاب الكوني يوم القيامة. وما يعقبه من مشاهد الحساب. ومشاهد العذاب والثواب.

{56} فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ

الكلام هنا لا علاقة له بالنساء، بل يتعلق بأشجار الجنتين. ففروعهما وثمارهما قاصرات الطرف أي قريبة من المتكئين على الفرش يسهل تناولها. وهذه الأشجار أُنشئت خصّيصا لأهل الجنة، لم يمسسها أو يَعرفها قبلهم إنس ولا جان

مُدْهَامَّتَانِ: خَضْرَاوَانِ مِنْ الرِّيِّ نَاعِمَتَانِ

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ **حِسَانٌ:** في هاتين الجنتين الكثير من الخيرات الطيبة

{72} حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ

أشجار كالعنب فروعها وأوراقها متشابكة تُشَكِّل عريشة كالخيمة. وهذه العرائش أنشئت خصّيصا لأهل الجنة، لم يمسسها أو يَعرفها قبلهم إنس ولا جان

{76} مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ

الرفرف : نوع من البسط، وهو اسم جمع رَفرفة ، وهي ما يوضع على الفراش لِيُتَّكأ عليه ، فوصفها في الآية بأنها { خضر } وصف كاشف لاستحضار اللون الأخضر لأنه يسرّ الناظر . وكانت الثياب الخضر عزيزة وهي لباس الملوك والكبراء

عَبْقَرِيٍّ: كل ما تجاوز العادة في الإتقان والحسن، حتى كأنه ليس من الأصناف المعروفة في أرض البشر

سورة القمر تعرض مشاهد من هلاك الأمم السابقة بسبب تكذيبهم للرسل، وتكرر التحذير بقوله: ﴿فهل من مدكر﴾. تدعو السورة إلى الاتعاظ بسنن الله الماضية، والإيمان بأن الساعة قريبة ولا مفر من الحساب.

هذه السورة من مطلعها إلى ختامها حملة رعيبة مفزعة عنيفة على قلوب المكذبين بالنذر، بقدر ما هي طمأنينة عميقة وثيقة للقلوب المؤمنة المصدقة. وهي مقسمة إلى حلقات متتابعة، كل حلقة منها مشهد من مشاهد التعذيب للمكذبين، يأخذ السياق في ختامها بالحس البشري فيضغطه ويهزه ويقول له) : فكيف كان عذابي ونذر . (? ثم يرسله بعد الضغط والهز ويقول له (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ?

{1} اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ

موعظة ووعيد للمشركين بأن ساعة القيامة اقتربت، وحين قدومها ينشق القمر كما تُبدَّل الأرض غير الأرض. ولو راوا آية واضحة كانشقاق القمر وتبعثر النجوم فلن يؤمنوا وليقولوا هذا سِحر.

{4} وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ الْأَخْبَار عَنْ قَصَص الْأُمَم الْمُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ الْعِقَاب وَالنَّكَال وَالْعَذَاب مِمَّا يُتْلَى عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْقُرْآن " مَا فِيهِ مُزْدَجَر " أَيْ مَا فِيهِ وَاعِظ لَهُمْ عَنْ الشِّرْك وَالتَّمَادِي عَلَى التَّكْذِيب.

{7} خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ

الْأَجْدَاثِ: المكان (في علم الله) الذي تُحفظ فيه الأنفس بعد الوفاة. ذَلِيلَةً أَبْصَارُهُمْ، تخرج النفوس لتحل في أجسادها الجديدة، كَأَنَّهُمْ فِي اِنْتِشَارهمْ وَسُرْعَة سَيْرهمْ إِلَى مَوْقِف الْحِسَاب إِجَابَةً لِلدَّاعِي، جَرَاد مُنْتَشِر فِي الْآفَاق.

{13} وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ. اللَّوْحُ:

لوح: كلُّ صَفِيحة عريضة من صفائح الخشب.

الدُّسُر: جمعُ دِسار، وهي الأربطة التي تُشَدُّ بها الألواح، ويُجمع بعضها إلى بعض، وقيل الدسار : خيط من ليف يشد به ألواح السفينة

{20} تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ

الأعجاز جمع عَجُز: وهو أسفل الشيء

مُنْقَعِرٍ: قعَرَ البئرَ إذا انتهى إلى عمقها

شـــبه الناس المطروحون على الأرض بأصـــول النخيل المقطوعة، التي تقلع من منابتها لموتها، إذ تزول فروعها وورقها فلا تبقى إلا الجذوع الأصلية، فلذلك سميت أعجازاً

كَذَابٌ أَشِرٌ : كثير الكذب

كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ: الزَّرْع وَالنَّبَات اليابس

حَاصِبًا: حجارة

فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ: أَنْذَرَهُمْ بَأْس اللَّه وَعَذَابه فَمَا اِلْتَفَتُوا إِلَى ذَلِكَ وَلَا أَصْغَوْا إِلَيْهِ

أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ: أَمْ مَعَكُمْ مِنْ اللَّه بَرَاءَة أَنْ لَا يَنَالَكُمْ عَذَاب

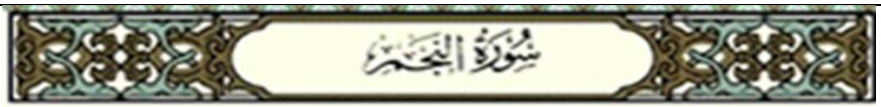

سورة النجم تبرز عظمة الوحي وصدق رسالة النبي (ص)، وتعرض مشاهد من رحلته العظيمة في المعراج. تدعو السورة إلى الخضوع لله وحده، وتنذر المكذبين بأن التكذيب بالوحي سيؤدي إلى الهلاك.

موضـــوع الســـورة الذي تعالجه هو موضـــوع الســـور المكية على الإطلاق : العقيدة بموضـوعاتها الرئيسـية : الوحي والوحدانية والآخرة . والسـورة تتناول الموضـوع من زاوية معينة تتجه إلى بيان صـــدق الوحي بهذه العقيدة ووثاقته ، ووهن عقيدة الشـــرك وتهافت أساسها الوهمي الموهون!

{1} وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى {2} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى

كلام موجه من الله تعالى إلى المشركين الطاعنين في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لإثباتِ أن القرآن وحي من الله منزل من السماء. فشـابَه حالُ نزوله بحالة نزول نجم من أعلى الأفق إلى أسفله وهو من تمثيل المعقول بالمحسوس، أو الإشارة إلى مشابهة حالة نزول جبريل من السماوات، بحالة نزول النجم من أعلى مكانه إلى أسفله،

الضلال: عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى المقصود.

الغواية: فساد الرأي وتعلقه بالباطل.

{3} وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى {4} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى

ينطق: تعني أن الكلام ليس صادرا عن ذات المتكلم، وإنما يُعبر عن شخص آخر، كقولنا الناطق باســم الدولة. إنَّ الكلام الذي يَنطِق به الرســول (ص)هو القرآن الموحى إليه بواسطة جبريل، ولو كان الكلام من عنده لاستخدم كلمة يتلفظ. لأنهم قالوا فيه : {إن هذا إلا إفك افتراه } [الفرقان : 4] وقالوا : { أساطير الأولين اكتتبها} [الفرقان : 5]. ففي

هذه الآية تأكيد بأن هذا القرآن الذي ينطق به النبي نيابة عن جبريل هو كلام موحى من الله.

{6} ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى {7} وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى

المِرَّة، بكسر الميم وتشديد الراء المفتوحة، تطلق على قوة الذات وتطلق على متانة العقل وأصالته. استواء جبريل هو مبدأ التهيُّؤ لقبول الرسالة في الأفق الأعلى- من عند الله

{9} فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى {10} فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى

قاب: مقدار، القوس في لغة الحجاز بمقدار ذراع

فكان أقرب ما يكون من النبي (ص) حين أوحى له، على بعد ما بين القوسين أو أدنى - وهو تعبير عن منتهى القرب

{11} مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى {12} أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى

الفؤاد: عملية تنقية المعلومات القادمة عن طريق الحواس إلى مُقدِّمة الدماغ.

رَأَىٰ مرسومة بهذا الشكل حسب استعمال القرآن لها تدل على أن هذه الرؤية الأولى كانت **عقلية** وليست بصرية، كقوله تعالى *(قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ)* وقوله: *"وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّيَ أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ.....)*

ورؤية الفؤاد أصدق وأثبت، لأنها تنفي خداع النظر. وعليه استيقن فؤاده أنه المَلَك، حامل الوحي، رسول ربه إليه ، ليعلمه ويكلفه تبليغ ما يعلم ، فلا داعي لِجدالكم.

﴿١٣﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾

رَءَا مرسومة في مصحف عثمان بهذا الشكل حسب استعمال القرآن لها تدل على أن الرؤية بصرية بالعين هذه المرة عندما كان قريباً منه، مما أكَّد للفؤاد الرؤيا الأولى العقلية.

سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ :الله أعلم بمكانها وصفاتها

{17} مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى

تأكيد بأن الرؤية في المرة الثانية كانت بصرية. فلم يكن زغللة عين ، ولا تجاوز رؤية. إنما هي المشاهدة الواضحة المحققة، التي لا تحتمل شكا ولا ظنا

{18} لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى

لقد رأى محمدٌ (ص) عقليا في تلك الليلةَ الكثير مِن آياتِ رَبّه الكُبرى الدالّةِ على قُدرَةِ اللهِ وعَظمَتِه.

قِسْمَةٌ ضِيزَى: قِسمة جائرة

أَكْدَى: توقف عن العطاء

سُورَةُ الطُّورِ

سورة الطور تصور مشاهد من عذاب الكافرين ونعيم المتقين في يوم القيامة. تدعو السورة إلى التأمل في الكون، والثبات على الحق رغم تهكم المكذبين، وتؤكد أن العذاب واقع لا محالة.

هذه السورة تمثل حملة عميقة التأثير فى القلب البشري . ومطاردة عنيفة للهواجس والشكوك والشبهات والأباطيل التي تساوره وتتدسس إليه وتختبئ هنا وهناك في حناياه . ودحض لكل حجة وكل عذر قد يتخذه للحيدة عن الحق والزيغ عن الإيمان . . حملة لا يصمد لها قلب يتلقاها ، وهي تلاحقه حتى تلجئه إلى الإذعان والاستسلام.

{1} وَالطُّورِ {2} وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ {3} فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ {4} وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ {5} وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ {6} وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ

الطور: الجبل فيه شجر. والأرجح أن المقصود به هو الطور المعروف في القرآن، المذكور في قصة موسى - عليه السلام - والذي نزلت فوقه الألواح. الكتاب هو التوراة الأصلية

السطر: الكتابة الطويلة لأنها تجعل سطوراً،

فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ: الرَّق (بفتح الراء بعدها قاف مشددة) الصحيفة تُتّخذ من جلد مرقق أبيض ليكتب عليه

المنشور: المبسوط غير المطوي. وكان اليهود يكتبون التوراة في رقوق ملصق بعضها ببعض أو مخيط بعضها ببعض، فتصير قطعة واحدة ويطوونها طيّاً اسطوانياً لتحفظ، فإذا أرادوا قراءتها نشروا مطويها، وليس المراد بكتاب مسطور القرآن لأن القرآن لم يكن يومئذٍ مكتوباً سطوراً ولا هو مكتوباً في رَق

البيت المعمور: الكعبة وهذا الأنسب بعطفه على الطور، ووصفه ب {المعمور } لأنه لا يخلو من طائف به ، وعمران الكعبة هو عمرانها بالطائفين قال تعالى : { إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر } [التوبة : 18]

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ: فسروه بالسماء لقوله تعالى : { وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً } [الأنبياء : 32] وقوله : {والسماء رفعها } [الرحمن : 7] فالرفع حقيقي وعظمتها أنها مصدر الوحي كله التوراة والقرآن

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ: {المَسجور } : قيل المملوءُ، مشتقاً من السَّجر، وهو الملء والإمداد. وصفه بالمسجور للإيماء إلى الحالة التي كان بها هلاك فرعون بعد أن فَرق الله البحر لموسى وبني إسرائيل ثم أسجره، أي أفاضه على فرعون وملئه.

{9} يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا {10} وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا

المَور بفتح الميم وسكون الواو: التحرك باضطراب ، ومَور السماء هو اضطراب أجسامها من الكواكب واختلال نظامها، وذلك عند انقراض عالم الحياة الدنيا

وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ

جملة {وزوجناهم} عطف على {متكئين } فهي في موضع الحال. والباء للمصاحبة، أي جعلنا حُوراً عِيناً معهم. زوجنا: في هذه الآية ليس بمعنى النكاح وإلا لجاء النص بصيغة كما في قوله تعالى: {زوجناكها} [الأحزاب: 37]

وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ: وما نَقصناهُم شيئًا من ثوابِ أعمالِهم.

{23} يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ

التنازع أطلق على التداول والتعاطي. يَتَعَاطَوْنَ فِيهَا كَأْسًا مِنْ الْخَمْر، لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا بِكَلَامٍ لَاغٍ وهَذَيَان وفُحْش كَمَا يَتَكَلَّم بِهِ شاربوا الخَمْر مِنْ أَهْل الدُّنْيَا.

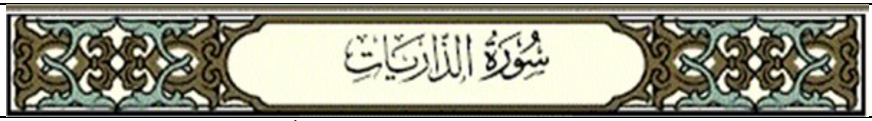

سـورة الذاريات تعرض دلائل قدرة الله في الكون، وتبين أن الغاية من خلق الجن والإنس هي عبادة الله. تدعو الســـورة إلى الإيمان بوعد الله، وتحذر من مصـــير المكذبين الذين أهلكتهم سنن الله الماضية.

هذه السـورة ذات جو خاص . فهي تبدأ بذكر قوى أربعة . . من أمر الله ، يوقع في الحس لأول وهلة أنه أمام أمور ذات سر .تستهدف أمرا واضـحا في سياقها كله . . ربط القلب البشـري بالسـماء ؛ وتعليقه بغيب الله المكنون ؛ وتخليصـه من أوهاق الأرض ، وإطلاقه من كل عائق يحول بينه وبين التجرد لعبادة الله. ولما كان الانشـــغال بالرزق وما يخبئه القدر عنه هو أكثف تلك العوائق وأشـــدها فقد عني في هذه الســـورة بإطلاق الحس من إساره ، وتطمين النفس من جهته ، وتعليق القلب بالسماء في شأنه.

{1} وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا

الرياح بما تنشره من غبار وحبوب لقاح وسحب وغيرها مما يعلم الإنسان وما يجهل

{2} فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا

الوِقْر بكسر الواو: الشيء الثقيل

فَالْحَامِلَاتِ: هي الرياح حين تجمع السـحاب وقد ثَقُل بالماء ، شُـبِّه جمعها إياه بالحَمل لأن شأن الشيء الثقيل أن يحمله الحامل. كقوله: { *وينشئ السحاب الثِّقال* } [الرعد : 12]

{3} فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا

السـفن الجاريات في يسـر على سـطح الماء بقدرته وبما أودع الماء وأودع السـفن وأودع الكون كله من خصائص تسمح بهذا الجريان اليسير

{4} فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا

الملائكة تحمل أوامر الله وتوزعها وفق مشـيئته، فتفصـل في الشـؤون المختصـة بها ، وتُقَسِّم الأمور في الكون بحسبها .

{5} إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ {6} وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ

طبيعة هذه الخلائق توحي بأن الأمر ليس عبثا ولا مصادفة ولا جزافا. وهكذا تصبح تلك الخلائق آيات وبراهين ذات دلالة إيحائية قوية. فلا بد أن يتحقق ما وعد الله به الناس في الصورة التي يريدها، وفي الوقت الذي يريده

الدِّينَ: الجزاء

ومعنى {لواقع } واقع في المســـتقبل بقرينة جعله مرتباً في الذكر على ما يوعدون وإنما يكون حصول الموعود به في الزمن المستقبل، وفي ذكر الجزاء زيادة على الكناية به عن إثبات البعث تعريض بالوعيد على إنكار البعث .

{7} وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ {8} إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ {9} يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ

الْحُبُكِ: كلُّ شـيءٍ أحكمتَه وأحسنتَ عملَه فقد حبكته. فيجوز أن يكون المراد بحُبك السماء نُجوْمُها لأنها تشبه الطرائق الموشاة في الثوب المحبوك المتقن.

والقول المختلف: المتناقض الذي يخالف بعضه بعضاً فيقتضي بعضه إبطال بعض الذي هم فيه هو جميع أقوالهم والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك أقوالهم في دين الإشراك فإنها مختلفة مضطربة متناقضة فقالوا القرآنُ: سِحْرٌ وشعر، وقالوا {أساطير الأولين اكتتبها} [الفرقان : 5]
{إنكم لفي قول مختلف} الكناية عن لازم الاختلاف وهو التردد في الاعتقاد، ويلزمُه بطلان قولهم
{ يؤفك } : يُصرَفُ. وأكثر ما يستعمل في الصرف عن أمر حسن
{ يؤفك عنه } يصرف بسببه عن الدين وعن الإيمان بالبعث والجزاء

الْخَرَّاصُونَ: جمع خرَّاص وهو الكذَّاب

غَمْرَةٍ: ما ستر الشيء وغطّاه

{29} فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
لما سمعت البشرى، بُغِتَت وفوجئت، فندت منها صيحة الدهشة، وعلى عادة النساء ضربت خديها بكفيها وقالت: عجوز عقيم . تنبئ عن دهشتها لهذه البشرى وهي عجوز. وقد كانت من الأصل عقيما

مُسَوَّمَةً: معلّمة.

فَرَاغٍ: انسَلَّ بسرعة

{47} وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ
يَقُول تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى خَلْق الْعَالَم الْعُلْوِيّ وَالسُّفْلِيّ" وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا " أَيْ جَعَلْنَاهَا سَقْفًا مَحْفُوظًا رَفِيعًا " بِأَيْدٍ " أَيْ بِقُوَّةٍ، " وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ". وقد اكتشف العلم هذه الحقيقة حديثاً عن توسع الكون

{53} أَتَوَاصَوْا بِهِ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ
هل اتَّفقَ الأولون والآخرون على التكذيب بالرسل حين قالوا ذلك جميعًا؟ حقّاً إنهم قوم طغاة تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان!

سورة ق تركز على إثبات البعث والنشور، وتعرض مشاهد مؤثرة من يوم القيامة. تدعو السورة إلى تدبر آيات الخلق، وتذكر الإنسان برقابة الله عليه، وبأن كل كلمة وأفعال الإنسان محفوظة ومكتوبة.

أمر مَّرِيجٍ: اختلط عليهم الأمر

فُرُوجٍ: شقوق وصدوع جمع فرج وهو الشقُّ

نَّضِيدٌ: متراكب بعضه فوق بعض

رَقِيبٌ: أرشيف النفس حافظ وشاهد على أعمال الإنسان

عَتِيدٌ: كامل حاضر ومهيأ

{17} إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّـمَالِ قَعِيدٌ {18} مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

إشارة إلى الخلايا العصبية في القسم الأيمن والقسم الأيسر من الدماغ حيث تسجل أفعال الناس، فتصبح نفسه أرشيف حياته الذي تنزعه الملائكة عند الوفاة لحين وقت الحساب يوم القيامة.

{21} وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا مَلَك يَسُوقهُ إِلَى الْمَحْشَر ومعه كتابه يَشْهَد عَلَيْهِ بِأَعْمَالِهِ.

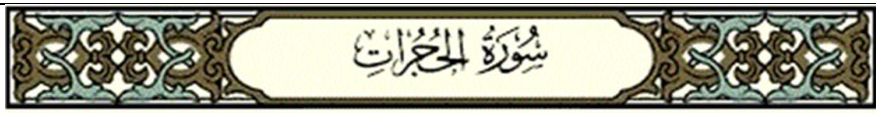

سورة الحجرات ترسي قواعد الأدب الإسلامي في التعامل مع النبي (ص) ومع المجتمع كله. تدعو السورة إلى التثبت من الأخبار، وإصلاح ذات البين، واجتناب الظن السيئ والغيبة، وتؤكد أن أكرم الناس عند الله أتقاهم.

هذه السورة التي لا تتجاوز ثماني عشرة آية تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة ، ومن حقائق الوجود والإنسانية و تحدد معالم الإيمان . تضع معالم كاملة ، لعالم رفيع كريم نظيف سليم ؛ له أدب مع الله ومع رسول الله. وهو عالم له منهجه في التثبت من الأقوال والأفعال، والتأكد من مصدرها قبل الحكم عليها. له نظمه وإجراءاته العملية في مواجهة ما يقع فيه من خلاف وفتن وقلاقل واندفاعات. وهو عالم نظيف المشاعر ، مكفول الحرمات ، مصون الغيبة والحضرة ، لا يؤخذ فيه أحد بظنة ، ولا تتبع فيه العورات ، ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم وحريتهم فيه لأدنى مساس. وهو عالم له فكرته الكاملة عن وحدة الإنسانية المختلفة الأجناس المتعددة الشعوب ؛ وله ميزانه الواحد الذي يقوم به الجميع . إنه ميزان الله المبرأ من شوائب الهوى والاضطراب

{1} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

لا تستعجلوا الأمور، ولا تقولوا في أمر قبل قول الله فيه على لسان رسوله، ولا تقضوا في أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله وقول رسوله.

يَغُضُّونَ: غضَّ صوته خفضه وخافت به

فَاسِقٌ: الخارج من حدود الشرع

عَنِتُّمْ : وقعتم في العَنت وهو المشقة والهلاك

{14} قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ....

عَرَبَ – يَعربُ – عَرباً أو عروبة، والنسبة عربي. صِفة تدل على صفاء الأصل ونقائه. فنقول: حصان عربي، سمن عربي

أَعرَبَ – يُعرِبُ – إعراباً، والنسبة أعرابي. بدخول الألف المهموزة ينعكس المعنى

(أعراب): صـــفة منهج للتعامل في الحياة وهي تدل على الغلظة في التفكير والفهم وعدم التفاعل مع المجتمع، وهي تشمل كل من كان هذا سوكه في كل زمان ومكان. بعض البدو تنطبق عليهم هذه الصفة وليس كلهم.

المسلم لغة: "سَلَمَ"، فعل ثلاثي. أنت سلمت الآن فتمنع الضـرَر عن نفسك. بينما أسلم، بدخول اللف المهموزة أصـبح السـلوك متعديا. يعني أيضـاً مطلوب منك أنك كما يجب عليك أن تسعى لمنع الضرر عن نفسك، ان تمنعه أيضاً عن غيرك.

وفي الاسـتعمال القرآني: المسـلم هو من يعتقد بالله الواحد الأحد، بيوم الحسـاب، ويعمل صالحا.

المؤمن لغة: في دراسة اللسانيات العربية أن الإيمان مشتق من الأصل "أمَنَ". فالإيمان يتعلق بالأمن عكس الخوف. كما ورد في كثير من الآيات. فدرجة الإيمان أعلى من درجة الإسلام. فلسان الحال: "أنا ليس فقط سأكف شري عنك، أنا سأساهم معك، سنتعاضد، نضع أيدينا في أيدي بعضنا فنبني مجتمعنا وفق سنن الله وشريعته، ونحن أمنين مطمئنين فيما بيننا وسلكونا يشهد على ذلك. الآن يبقى شعورك الداخلي: "أنا والله فعلاً مؤمن بأن الله هو المنظم لكل هذه السنن". فهل أشعر بالأمن تجاهه أو لا أشعر؟ هذا حسابه بينك وبين الله. المهم في نهاية المطاف في حياة البشر النتيجة والسوك والأثر. لا ما تعتقده في داخلك وتخيلك.

وفي الاستعمال القرآني: المؤمن هو المسلم الذي يؤمن أيضا بالرسول (ص) وبالملائكة والرسل السابقين ويتبع أوامر الله ويجتنب نواهيه ولا يؤذي خلق الله من البشر أو ما في الأرض والسموات، ويستعين على ذلك بأداء شعائر الصلاة والصوم والزكاة.

وبهذا الشرح نفهم قوله تعالى في أية الأعراب هذه.

سورة الفتح تتحدث عن نصر الله لعباده المؤمنين، وتصف صلح الحديبية بأنه فتح مبين رغم ظاهره. تبين السورة أهمية الثقة بوعد الله، وتعرض صفات المؤمنين الذين يستحقون نصر الله وفضله.

هذه السورة مدنية ، نزلت في السنة السادسة من الهجرة ، عقب صلح الحديبية ؛ وهي تتناول هذا الحادث الخطير وملابساته .لقد أري رسول الله في منامه أنه يدخل الكعبة هو والمسلمون. وكان المشركون قد منعوهم منذ الهجرة من دخول مكة ، حتى في الأشهر الحرم التي يعظمها العرب كلهم في الجاهلية .خرج في ذي القعدة معتمرا لا يريد حربا بمن معه من المهاجرين والأنصـــار ، ومن لحق به من العرب ؛ وســـاق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له ،وكانوا أربع عشرة مائة . أرسل الرسول عثمان بن عفان ليبلغ قريشا أن هدفهم هو زيارة البيت. ثم انتشرت شائعة بأن أهل قريش قتلوا عثمان وأنهم في طريقهم

لحرب المسلمين.وهنا قرر المسلمون أن لا يفروا وبايعوا الرسول على ذلك في بيعة الرضوان. وبعد ذلك حصل صلح الحديبية

تُعَزِّرُوهُ: تنصروه وتمنعوا الأذى عنه

البورُ: الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه

حَرَجٌ: إثم أو ذنب

الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ: المنافقين والفاسدين في سلوكهم سواء في البادية أو المدينة

يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ

يغفر الذنوب: بمعنى يستُر على الذنوب لا تعني مَحو الذنوب وإنما لا يُفضَح فاعلها من المسلمين أمام الخلق يوم القيامة، بعكس الكافر الذي قال عنه "سنسِمه على الخرطوم" فتكون ذنوبه مكشوفة.

يغفر لمن اختار أن يؤمن، ويعذب من اختار أن يكفر لقوله تعالى: *وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ* ..." الكهف 29

وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا: كانت الأضاحي مخصصة ومعزولة لوحدها ومنه الاعتكاف

وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ .....

الكلام عن المؤمنين الذين بقوا في مكة ولم يُهاجروا. ولولا رجالٌ مؤمنون مُستضعَفون ونِساءٌ مؤمِناتٌ بينَ أظْهُرِ هؤلاءِ الكافرينَ، يكتُمونَ إيمانَهم خِشْيَةً على أنفُسِهم لم تَعرفوهُم فتقتُلوهم

المعرَّة: العيب والمشقة اللاصقة بالإنسان من العُرّ وهو الجرب

لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

لو تميَّزوا وكانوا مفصولين عن المشركين لَعذَّبنا الآخرين من الكفار

الْحَمِيَّةَ: الأنفة والاستكبار والغضب الشديد

شطْأَه : ساق النبات

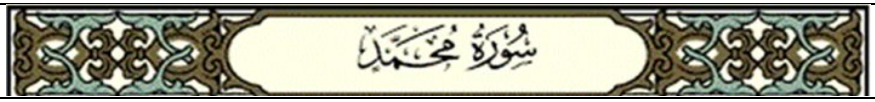

سورة محمد توضح حقيقة الصراع بين الإيمان والكفر، وتبين ثمار الجهاد والصبر. تدعو السورة إلى نصرة دين الله بالعمل والتضحية، وتؤكد أن الجنة جزاء المؤمنين بينما مصير الكافرين إلى الهلاك.

{4} فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا

اللقاء: يعني المقابلة، يقال : يوم اللقاء ، فلا يفهم منه إلا لقاء الحرب. فليس المعنى: إذا لقيتم الكافرين في الطريق. (إذا لقيتم) تعني إذا حصل مجابهة في معركة مع الذين كفروا وجاءوا يريدون قتالكم فلا مفر من القتال وهو كُره لكم.

فَضَرْبَ الرِّقَابِ: كلمة (ضرب) تدل على إيقاع شيء على شيء يترك فيه أثراً بالغاً،

وكلمة (**الرقاب**) جمع رقبة وجذر الكلمة (رقب) وتدل على ما يُنصب بقوة لحمل غيره. سياق الأمر بالضرب يتعلق بالحرب والمعركة، وليس بالحياة العامة الطبيعية،

عُنُق: تطلق على الوصلة أو الامتداد بين شيئين من خلال تجمع معين. ومثل ذلك قوله {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} الأنفال1

وهذا يعني ضرب مراكز قوى الجيش من الآلة والعتاد أو البشر القادة، وشل حركتهم وفاعليتهم، وليس المطلوب إزهاق حياتهم، فذلك ليس مطلباً دينياً، وحصوله في واقع المعركة هو عرضياً وظرفياً. فإذا فقدوا القدرة على القتال وجنحوا للسلم فاجنح لها.

الإثخان: الغلبة لأنها تترك المغلوب كالشيء المثخن وهو الثقيل الصُلب الذي لا يخف للحركة. و**الشَدّ**: قوة الربط ، وقوة الإمساك، و**الوثاق**: الشيء الذي يوثق به. والمشهد هنا يمثِّل حالة الأسر. وقوله {بعْدُ} أي بعد الاثخان أي بعد شلّ قدرة العدو على القتال.

المنّ : الإنعام. والمراد به: إطلاق الأسير. و**الفداء** بكسر الفاء هو تخليص الأسير من الأسر بعوض من مال أو مبادلة بأسرى من المسلمين في يدي العدّو. وقدَّم المن على الفداء ترجيحاً له لأنه أعون على امتلاك ضمير الممنون عليه

حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا: أي حتى يكفّ المشركون عن القتال وينهزموا، فتأمنوا من قدرتهم مواصلة الحرب عليكم

{6} وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ

وصفها لهم القرآن في الكثير من الآيات بتشبيهات يعرفونها في الدنيا، فهم يعرفونها بصفاتها، وهداهم إلى طريقها في الآخرة فلا يترددون في أنهم داخلوها، وذلك من تعجيل الفرح بها .

إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ : أي تنصروا دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن الله غني عن النصر في تنفيذ إرادته كما قال : { ولو يشاء الله لانتصر منهم }

سَوَّلَ لَهُمْ : التسويل : تسهيل الأمر الذي يستشعر منه صعوبة أو ضرر، وتزيين ما ليس بحسن

وَأَمْلَى لَهُمْ: الإملاء: المدّ والتمديد في الزمان، فالشيطان سَوّل لهم وأنا أُملِي لهم فيكون الكلام وعيداً ، أي أنا أؤخرهم قليلاً ثم أعاقبهم.

الأضغان: الحقد والعداوة

{17} وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ

الله قَدَّر أسباب وسبل الهداية وسبل الضلال. فالذين اختاروا سُبُل الهداية يشعرون بالطمأنينة في نفوسهم فيستمروا في متابعة السير على الطرق السليمة فيزداد هداهم. كالذي يحصل بعد جهد في الدنيا على وظيفة جيدة تكون حافزا له لبذل الجهد للوصول إلى درجة أعلى

{20} وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ

يقول المؤمنون المخلصون شوقا إلى الجهاد، وحرصا على ثوابه : هلا أنزلت سورة فيها الأمر بالجهاد؟ فإذا أنزلت سورة صريحة، ظاهرة الدلالة على الأمر بالقتال، رأيت

المنافقين الذين في قلوبهم شـــك ونفاق ينظرون إليك يا محمد تشـــخص أبصـــارهم جبنا وهلعا، كما ينظر من أصابته الغشية من حلول الموت

{27} فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ

عندما تأتي الملائكة لنزع نفس الكافر، يرى المحتضـــر ســـجل أعماله المُخَزَّن في خلايا الدماغ العصـــبية، فيعرف أن مصـــيره إلى النار، فيحاول مقاومة عملية انتزاع نفســـه، فتتصرف معه الملائكة بقسوة عبَّر عنها النص بضرب الوجوه والأدبار.

سورة الأحقاف تبرز عاقبة المكذبين وخاصة قوم عاد الذين أهلكهم الله رغم قوتهم. تدعو السورة إلى الاستفادة من دروس التاريخ، وتؤكد أن النصر للإيمان وإن تأخر، وأن التولي عن الحق لا يجلب إلا الخسران.

هذه السورة المكية تعالج قضية العقيدة . . قضية الإيمان بوحدانية الله وربوبيته المطلقة لهذا الوجود ومن فيه وما فيه . والإيمان بالوحي والرسالة وأن محمدا]صلى الله عليه وسلم [رسول سبقته الرسل ، أوحي إليه بالقرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب . والإيمان بالبعث وما وراءه من حساب وجزاء على ما كان في الحياة الدنيا من عمل وكسب ومن إحسان وإساءة .

{1} حم {2} تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {3} مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ

تبدأ السورة بالصوتين: حا ميم . كما بدأت السور الست قبلها. وهنا نلمس العلاقة بين أصوات الحروف العربية والكتاب المصوغ من جنس هذه الأصوات على غير مثال من كلام البشر، وشهادة هذه الظاهرة بأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. كما يلمس العلاقة بين كتاب الله المتلو المنزل من عنده، وكتاب الله المنظور المصـــنوع بيده. كتاب هذا الكون الذي تراه العيون الذي خلقه الله بالحق أي بالتقدير الدقيق، وأجل مسمى تتحقق فيه حكمة الله من خلقه، ويتم فيه ما قدره له من غاية. فالكتاب المنزل المتلو (القرآن) يقرر أن الله واحد لا يتعدد، وأنه رب كل شيء ، بما أنه خالق كل شيء، ومدبر كل شيء ، ومقدر كل شيء. وكتاب الكون الحي ينطق بهذه الحقيقة ذاتها؛ فنظامه وتنسيقه وتناسقه كلها تشهد بوحدانية الصانع المقدر المدبر، الذي يصنع على علم.

والذين كفروا عما أنذروا معرضون:

هذا هو العجب المستنكر في ظل تلك الإشارة إلى الكتاب المنزل والكتاب المنظور. فكيف يُعرض الذين كفروا عما أنذروا به من آيات القرآن، التي تذكرهم بأن القرآن حق كما أن خلق السماوات والأرض حق، فكلاهما من صُنع الخالق نفسه.

{10} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إ

تقريري للتوبيخ. موجه إلى المشركين من أهل مكة الذين كانوا يسألون اليهود. أفلا تروا أنفسكم ظالمين وفي ضلال إن تبين أن القرآن وحي من الله وقد كفرتم بذلك، عِلماً أن بعض اليهود الذين سألتموهم شهد على أحَقّية الوحي فآمن.

سورة الجاثية تعرض دلائل التوحيد وآثار رحمة الله في الكون، مع التحذير من اتباع الأهواء. تؤكد السورة أن الحق نزل من عند الله، وتصف حال الأمم يوم القيامة حين تجثو كل أمة أمام ربها تنتظر حسابها العادل.
من خلال آيات السورة وتصويرها للقوم الذين واجهوا الدعوة في مكة، نرى فريقاً من الناس مصرا على الضلالة، ونرى جماعة من الناس، ربما كانوا من أهل الكتاب الذين لا يقيمون وزناً لحقيقة الإيمان الخالصة، ولا يحسون بالفارق الأصيل بينهم وهم يعملون السيئات وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات .ونرى فريقا ينكر أمر الآخرة، ويشك كل الشك في قضية البعث والحساب،
واجه القرآن هؤلاء الناس بصفاتهم تلك وتصرفاتهم، كذلك واجههم بآيات الله في الآفاق وفي أنفسهم، وحذرهم حساب يوم القيامة، واجههم بها مرة أخرى في صورة نعم من أنعم الله عليهم يغفلون عن تذكرها وتدبرها: كذلك لم يدع أي لبس أو شك في عدالة الجزاء وفردية التبعة

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ أي على أمم زمانهم. وكل ذلك إخبار عما مضى من شأن بني إسرائيل في عنفوان أمرهم، لا عَمَّا آل إليه أمرهم بعد أن اختلفوا واضمحل ملكهم

بَصَائِرُ لِلنَّاسِ : {بصائر } : جمع بصيرة وهي إدراك العقل الأمور على حقائقها ، شبهت ببصر العين ، وفرق بينهما بصيغة فعلية للمبالغة. وجُعلت البصائر للناس لأنه بيان للناس عامة، وجُعِل الهدى والرحمة لقوم يوقنون لأنه لا يهتدي ببيانه إلا الموقن بحقيقته ولا يُرحَم به إلا من اتبعه بحقيقته.

وما يهلكنا إلا الدهر: قالوا ليس بعد هذا العالم عالم آخر، فالحياة هي حياة هذا العالم لا غير. فإذا مات من كان حيّاً خَلَفَه من يوجد بعده. والمعنى: أحياؤنا يصيرون إلى الموت بتأثير الزمان

وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً: الخطاب في {ترى } لكل من يصلح له الخطاب بالقرآن فلا يقصد مخاطب معين.
والأمة: الجماعة من الناس الذين تجمعهم معتقدات خاصة بهم او مِلة مذهبية.
جاثية: تُصوِّر حالة الخضوع.

سورة الدخان تصور بأسلوب مؤثر مشاهد من عذاب المكذبين في الدنيا والآخرة. تدعو السورة إلى الاعتبار بآيات الله الظاهرة، وتحذر من الإصرار على الكفر الذي يؤدي إلى الهلاك والعذاب الأليم.

تبدأ السورة بالحديث عن القرآن وتنزيله في ليلة مباركة فيها يفرق كل أمر حكيم ، رحمة من الله بالعباد وإنذاراً لهم وتحذيراً . ثم تعريف للناس بربهم : رب السماوات والأرض وما بينهما ، وإثبات لوحدانيته وهو المحيي والمميت رب الأولين والآخرين .

ثم يتناول شأن القوم الذين هم في شك يلعبون ، ويعاجلهم بالتهديد المرعب جزاء الشك واللعب ، ويذكرهم بأن هذا العذاب لم يأت بعد ، وهو الآن عنهم مكشوف ، فلينتهزوا الفرصة. ثم ينتقل بهم إلى مصرع فرعون وملئه، و يعرض مشهداً عنيفاً للعذاب وإلى جواره مشهد النعيم

{4} فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ

الفَرق: الفصل والقضاء. وقد فرق بهذا القرآن في كل أمر ، وفصل فيها كل شأن ، وتميز الحق الخالد والباطل الزاهق.

{كل } مستعملة في معنى الكثرة، وهو استعمال في كلام الله تعالى وكلام العرب ، وقد تقدم في قوله تعالى في سورة النمل (23) { وأوتيت من كل شيءٍ } أي من كل شيء معروف في ذلك الزمان

الرهْوُ: الفجوة الواسعة .

البلاء: الاختبار يكون بالخير والشر. فالأول اختبار لمقابلة النعمة بالشكر أو غيره، والثاني اختبار لمقدار الصبر ،

{37} أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ

كان العرب يسمعون بعظَمة مُلك تُبَّع وقومه أهل اليمن، وكثير من العرب شاهدوا آثار قوتهم وعظمتهم في مراحل أسفارهم وتحادثوا بما أصابهم من الهلاك بسيل العرم

سورة الزخرف تعرض افتتان الناس بالزخارف الدنيوية، وتبين زيف الاعتماد على المال والجاه. تدعو السورة إلى الإيمان بالقرآن والاستعلاء على زخارف الدنيا، وتؤكد أن العاقبة للمتقين الذين لا تغرهم زينة الحياة الفانية.

تعرض هذه السورة جانباً مما كانت الدعوة الإسلامية تلاقيه من مصاعب وعقبات ؛ ومن جدال واعتراضات . وتعرض معها كيف كان القرآن الكريم يعالجها في النفوس ؛ وكيف يقرر في ثنايا علاجها حقائقه وقيمه في مكان الخرافات والوثنيات والقيم الجاهلية الزائفة

، التي كانت قائمة في النفوس إذ ذاك ، ولا يزال جانب منها قائماً في النفوس في كل زمان ومكان
كانت الوثنية الجاهلية تقول : إن في هذه الأنعام التي سخرها الله للعباد ، نصيباً لله ، ونصيباً لآلهتهم المدعاة. وكانت تقول : إن الملائكة بنات الله ؛ مع أنهم هم يكرهون مولد البنات لهم، إلى ما هناك من أكاذيب أخرى.

{3} إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
استعمال كلمة جعلناه يدل أن القرآن كان موجوداً أصلا في علم الله في اللوح المحفوظ بصيغة الله أعلم بها، ثم تم الجعل بتحويل صياغته بلسان عربي مبّرته الصفاء والنقاء.

أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ
الضرب بمعنى القطع والصرف، والذكر: التذكير، والمراد به القرآن، والصَّفح : الإعراض بِصَفْح الوجه وهو جانبُه وهو أشد أنواع الإعراض عن الكلام، لأنه يجْمع بين تركَ استماعه وتركَ النظر إلى المتكلم. والإسراف: الإفراط والإكثار، وأغلب إطلاقه على الإكثار من الأفعال الضارة
بيّن لهم أن استمرار إعراضِهم لا يكون سبباً في قطع الإرشاد عنهم، لأن الله رحيم بهم مريد لصلاحهم لا يصده إسرافهم في الإنكار عن زيادة التقدم إليهم بالمواعظ والهَدي

{12} وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا
الزوجية هي قاعدة الكون كله لا قاعدة الحياة وحدها، إذا اعتبرنا أن قاعدة الكون هي الذرة المؤلفة من الكترون سالب وبروتون موجب، كما تشير البحوث الطبيعية حتى الآن .فالزوجية في الحياة ظاهرة، فهناك الليل والنهار والذكر والأنثى.....الخ
والله هو الذي خلق الأزواج كلها من الإنسان وغير الإنسان

{17} وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
ليس من اللياقة والأدب أن ينسبوا إلى الله من يستاؤون هم إذا بشروا به ، حتى ليسوَدَّ وجه أحدهم من السوء؟ !

{18} أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ
ليس من اللياقة والأدب أن يخُصّوا الله بمن ينشأ في الحلية والدعة والنعومة (بالإناث) ، فلا يقدر على جدال ولا قتال؛ بينما هم - في بيئتهم - يحتفلون بالفرسان من الرجال ! ؟
إنه يأخذهم في هذا بمنطقهم، ويخجلهم من انتقاء ما يكرهون ونسبته إلى الله

{22} بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ
أي نتَّبع طريقة ومنهج آبائنا، بمعنى الثبات واتباع وتقليد من سبقونا دون تفكير

{28} وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
قال إبراهيم هذه الكلمة التي تقوم بها الحياة. كلمة التوحيد التي يشهد بها الوجود. أي جعلها هي وما يرادفها قولاً باقياً في ذريته على مرّ الزمان فلا يخلو عقب إبراهيم من موحدين. استعمال "في" يُفيد التبعيض.

{32} أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ.....
طبيعة هذه الحياة البشرية قائمة على أساس التفاوت في مواهب الأفراد والتفاوت فيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عمل؛ والتفاوت في مدى اتقان هذا العمل. هذا التفاوت في

الأدوار يؤدي إلى التفاوت في الرزق. أما نسبة التفاوت في الرزق فقد تختلف من مجتمع إلى مجتمع، فلا يتساوى أجر العامل وأجر المهندس، ولا أجر الجندي وأجر القائد

{33} وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ و.....

هذه الآيات تبيّن هوان متاع الدنيا (الزخرف والذهب والمال) عند الله. وأنها مبذولة لشر خلق الله وأبغضهم عند الله. فهي لا تدل على قربى منه ولا تنبئ عن رضى، ولا تشي باختيار !

فلَوْلاَ أن يَصير النّاس كلّهم كفاراً، لخصصنا الكافرين بالمال والرفاهية، وتركنا المسلمين لِمَا ادَّخرنا لهم من خيرات الآخرة

{36} وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ

تمثيل لحالهم في إظهارهم عدم فهم القرآن واعراضهم عنه كقولهم: { قلوبنا في أكِنَّةٍ مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرٌ } [فصلت: 5] بحال من يتعامى عن الشيء الظاهر للبصر .

القيض: مشتق من اسم جامد وهو قَيْض البَيضَة، أي القِشر المحيط بما في داخل البيضة، لأن القيْض يلازم البيضة فلا يفارقها حتى يخرج منها الفرخ.

فهذا الانسان أعرض عن القرآن نتيجة لوسوسة الشيطان الذي استحوَذ عليه فصار قرينه الذي لا يُفارقه.

{41} فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ.....

ذُكر في هذه الجملة أمران: الانتقام منهم لا محالة ، وكونُ ذلك واقعاً في حياة الرّسول صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته. فالانتقام منهم من شأننا وليس من شأنك، لأنه من أجْل إعراضهم عن أمرنا ودِيننا.

{54} فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

استخف فرعون عقول الحاضرين في مجلسه، فأسرعوا إلى التصديق بما قاله بعد أن صدّقوا موسى في نفوسهم لمّا رأوا آياته

{55} فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ

فلما عصونا عصيان العبدِ ربّه المنعِم عليه بكفران النعمة، والله يستحيل عليه أن يتصف بالأسف، كما يستحيل عليه أن يتصف بالغضب على الحقيقة.

{58} وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ

يحتمل أن يكون قولهم جرى في أثناء المجادلة في شأن عيسى وخاصة ما ورد في سورة الأنبياء "*إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون*". فقالوا ما معناه: إنك تزعم أن عيسى نبي وقد عبدَتْه النصارى وحسب الآية سيكون معهم في النار ، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون وآلهتُنا في النار

{61} وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا.....

ضمير المذكر الغائب في قوله: { وإنه لعلم للساعة} مراد به القرآن. لأن القرآن هو ختام الوحي فلم يبق بعد مجيء القرآن إلا انتظار انتهاء العالم. والقرآن سبب العلم بوقوع الساعة، إذ فيه الدلائل المتنوعة على إمكان البعث ووقوعه.

فلا تمترن بها: لأن القرآن لم يُبقِ لأحدٍ شَكّ في أن البعث واقع

{70} ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ

الخطاب للذين أمنوا وكانوا مسلمين.، يُقَالُ لَهُمْ أُدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ ونُظَرَاؤُكُمْ من المؤمنين، وسوف تسرون سروراً يشيع في أعطافكم وقسماتكم فيبدو عليكم الحبور. فأزواجكم هنا لا تعني زوجاتكم، فقد يكون الرجل مؤمنا وزوجته كافرة، كما هو الحال مع نوح ولوط عليهم السلام.

{75} لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ

الإبلاس: اليأس والذل. لا يفتر العذاب عن الكافرين لحظة، ولا تلوح لهم فيه بارقة من أمل في الخلاص، فهم فيه يائسون قانطون

{77} وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ

(مالك) المنادى اسم الملَك الموكّل بجهنم. خاطبوه ليرفع دعوتهم إلى الله تعالى شفاعة: يسألون الله أن يزيل عنهم الحياة فيميتهم ليستريحوا من إحساس العذاب. فأجيبوا بأنهم ماكثون، جواباً جامعاً قاطعاً

{84} وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

تأكيد لِقصر صفة الإلهية في السماء وفي الأرض على الله تعالى لا يشاركه في ذلك غيره، حيث كان المشركون يعترفون بوجود خالق للكون في السماء وأن لهم آلهة أخرى في الأرض.

89} فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

يُخاطب الله الرسول الذي قال "*يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ*" فيُجيبه. ما دمت فوضتَ الأمر إلينا فستتَولى الانتصاف منهم. فاصفح عنهم، أي أعرض عنهم ولا تحزن لهم وقل لهم إن جادلوك: {سلامٌ} ، أي لا مجادلة بعد ذلك، وكون {سلام} مصدر جاء بدلاً من فعله. فأصله النصب، وعُدِّلَ إلى رفعه لقصد الدلالة على الثبات.

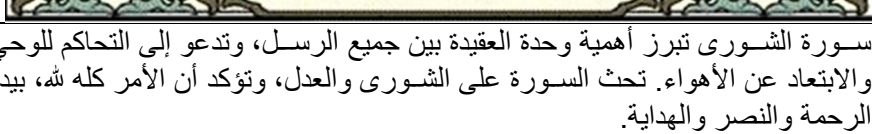

سورة الشورى تبرز أهمية وحدة العقيدة بين جميع الرسل، وتدعو إلى التحاكم للوحي والابتعاد عن الأهواء. تحث السورة على الشورى والعدل، وتؤكد أن الأمر كله لله، بيده الرحمة والنصر والهداية.

هذه السورة تعالج قضية العقيدة كسائر السور المكية ؛ ولكنها تركز بصفة خاصة على حقيقة الوحي والرسالة تعرضها من جوانب متعددة. وتُقرر بأن الله هو الموحي بجميع الرسالات لجميع الرسل ، وأن الرسالة الأخيرة هي امتداد لأمر مقرر مطرد من قديم.

وتستطرد هذه الإشارة إلى تقرير أن التفرق لم يقع عن جهل من أتباع أولئك الرسل الكرام ولكن عن علم بغيا وظلما وحسدا

كما أنها تتحدث عن حقيقة القيامة والإيمان بها ؛ ويأتي ذكر الآخرة ومشاهدها في مواضع متعددة منها . وكذلك تتناول عرض صفات المؤمنين وأخلاقهم التي يمتازون بها . كما تلم بقضية الرزق : بسطه وقبضه باستعراض بعض آيات الله في بسط الرزق وقبضه وفي تنزيل الغيث برحمته وفي صفة الإنسان في السراء والضراء .

{11} فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا
هو الذي أجرى حياتكم وفق قاعدة الخلق (الزوجية) التي اختارها للأحياء جميعا، فهنالك وحدة في التكوين تشهد بوحدانية الأسلوب والمشيئة وتقديرها المقصود. . إنه هو الذي جعلكم - أنتم والأنعام - تتكاثرون وفق هذا المنهج وهذا الأسلوب

يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ
والذرءُ: بث الخلق وتكثيره، ففيه معنى توالي الطبقات على مرّ الزمان إذ لا منفعة للنّاس من أزواج الأنعام باعتبارها أزواجاً سوى ما يحصل من نسلها

المقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح. شبهت الخيرات بالكنوز، وأثبت لها ما هو من مرادفات المشبَّه به وهو المفاتيح، والمعنى: أنه وحده المتصرف بما ينفع النّاس من الخيرات.

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
بسط الرزق: توْسِعَته، وقدره: كناية عن قلّته،
مشيئة الله تعني تقادير الله منذ الخلق لأسباب الرزق لجميع المخلوقات ووضع جميع الاحتمالات التي يمكن للإنسان أن يختار منها

يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ
معنى محاجتهم في الله محاجتهم في دين الله، أي إدخالهم على النّاس الشك في صِحّة دين الإسلام .

حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ
يقال: دَحَضت رِجلُه أي زلت. يحاجون المستجيبين لله من بعد ما استجابوا لدعوته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الفصل لَقُضِيَ بينهم
كلمة الفصل هي : ما قدّره الله وأرادهُ من إمهالهم، والفصل: الفاصل، أي الذي لا تردد فيه. والمقصود تحقيق إمهالهم إلى أجل مسمى لا يفلتهم من المؤاخذة بما ظَلموا. والمراد بالظالمين المشركين {*إن الشرك لظلم عظيم*} [لقمان : 13] .

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ
فالله يعلم أن عباده، هؤلاء البشر ، لا يطيقون الغنى إلا بقدر، وأنه لو بسط لهم في الرزق - من نوع ما يبسط في الآخرة - لبغوا وطغوا. إنهم صغار لا يملكون التوازن. ضعاف لا يحتملون إلا إلى حد. والله بعباده خبير بصير. ومن ثم جعل رزقهم في هذه الأرض مقدراً محدوداً، بقدر ما يطيقون

يُوبِقْهُنَّ: يحطمهن أو يغرقهن

وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ
يشعرهم بأن ما يملكون من أعراض هذه الحياة الدنيا، عرضة كله للذهاب. فلا ثبات ولا استقرار لشيء إلا الصلة الوثيقة بالله

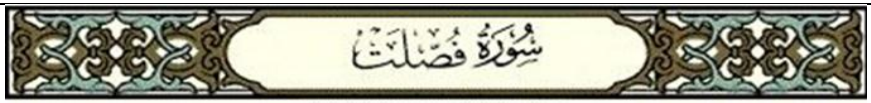

سورة فصلت تؤكد وضوح دعوة القرآن وآياته البينة، وتبين حال الأمم التي كذبت فهلكت. تدعو السورة إلى تدبر آيات الله في الآفاق والأنفس، وتعرض مصير المجرمين والمؤمنين يوم القيامة بوضوح مؤثر.
تعالج هذه السورة قضية العقيدة بحقائقها الأساسية. . الألوهية الواحدة . والحياة الآخرة . والوحي بالرسالة . يضاف إليها طريقة الدعوة إلى الله وخُلُق الداعية. تبدأ بالآيات التي تتحدث عن تنزيل الكتاب وطبيعته وموقف المشركين منه . وتليها قصة خلق السماء والأرض، فقصة عاد وثمود. ثم يتحدث عن آيات الله من الليل والنهار والشمس والقمر والملائكة العابدة ، والأرض الخاشعة ، والحياة التي تهتز فيها وتربو بعد الموات . ويلي هذا الحديث عن الذين يلحدون في آيات الله وفي كتابه ، وهنا يجيء ذلك الحديث عن القرآن، ويشار إلى كتاب موسى واختلاف قومه فيه، ويوكِّل أمرهم إلى الله بعد الأجل المضروب . وهنا يرد حديث عن الساعة واختصاص علم الله بها.

{5} وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
المراد بالقلوب: العقول، حكي بمصطلح كلامهم قولهم إذ يطلقون القلب على العقل.
والأكنة: جمع كنان مثل: غطاء وأغطية
وشُبهت القلوب بالأشياء المغطّاة على طريقة الاستعارة المكنية. ووجه الشبه حيلولة وصول الدعوة إلى عقولهم كما يحول الغطاء والغلاف دون تناول ما تحته

الحجاب: الساتر للمرئيّ من حائط أو ثوب

المعنى أنهم لا يعبأوون بنذارته فإن كان له أذى فليؤذهم به وهذا كقول فرعون : «ذَرَوني أَقتُل موسى ولْيَدْعُ ربه »

فاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى
استحبوا: بمعنى فَضَّلوا
العمى : الضلال في الرأي
هديناهم هداية إرشاد برسولنا إليهم وتأييده بآية الناقة التي أخرجها لهم من الأرض

{19} وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ
أعداء الله : أعداء دينه ورسوله.
الوزْع : كفّ بعضهم عن بعض ومنعهم من الفوضى لأن الحشر يستلزم كثرة عدد المحشورين وكثرةُ العدد تستلزم الاختلاط وتداخل بعضهم في بعض، فلا غنى لهم عن الوزع لتصفيفهم ورَدِّ بعضهم عن بعض

{25} وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
قَيَّض: أتاح وهيَّأ شيئاً للعمل في شيء.
القرناء: جَمْعُ : قرين ، وهو الصاحب الملازم ، والقرناء هنا : هم الملازمون لهم في الضلالة : إمَّا في الظاهر مثلُ دعاة الكفر ، وإما في باطن النفُوس مثلُ شياطين الوسواس.

{ مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِم} المشاهد من أمور الدنيا ، أي زينوا لهم ما يعملونه في الدنيا من الفساد، **{ ما خلفهم }** الأمور المغيبة عن الحِس من صفات الله ، وأمور الآخرة من البعث والجزاء

سورة غافر تركز على أن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب وآمن، وتعرض نماذج من صراع الحق والباطل. تدعو السورة إلى الثقة بوعد الله، وتثبت أن المآل للمتقين، وتحث على الثبات أمام كيد الكافرين والمكذبين.
هذه السورة تعالج قضية الحق والباطل . قضية الإيمان والكفر . قضية الدعوة والتكذيب وأخيراً قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق ، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين . . وفي ثنايا هذه القضية تلم بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين ونصر الله إياهم ، واستغفار الملائكة لهم ، واستجابة الله لدعائهم ، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم .

{3} غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ
المراد {بغافر } و { قابل } أنه موصوف بمدلوليهما. إذ ليس المراد أنه سيغفر وسيقبل.
غفر: بمعنى سَتَر
وهو شديد العقاب يشير إلى التخويف بعذاب الآخرة.
الطوْل: يطلق على سعة الفضل وسعة المال، ويطلق على مطلق القدرة.

{4} {مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ}
غَرّك، إذا جعلك تظن السيّء حسناً. ويكون التغرير بالقول أو بتحسين صورة القبيح،
والتقلب: اختلاف الأحوال، وهو كناية عن تناول محبوب ومرغوب. و {البلاد} الأرض، وأريد بها هنا الدنيا كناية عن الحياة
لا يوهمنك تناولهم مختلف النعماء واللذات في حياتهم، أننا غير مؤاخذيهم على جدالِهم في آياتنا

{7} الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ .....
العرش يرمز إلى صاحب السلطة والأمر والنهي.
يحملون العرش إشارة إلى الملائكة الموكل لهم تنفيذ أوامر الله

{10} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ
والمقت: أشد الكره
المشركون تناديهم الملائكة تبليغاً عن رب العزة. مقتهم أنفسهم حينئذٍ أنهم فعلوا لأنفسهم ما يُشبه المقت إذ حرموها من فضيلة الإيمان ومحاسن شرائعه، ورضُوا لأنفسهم دين الكفر بعد أن أوقظوا على ما فيه من ضلال ومَغِبَّة سوءٍ، وهذا كما يقال : فلان عدو نفسه التي هي طاهرة بالفطرة.

{11} قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ

والآن - وقد سقط عنهم غشاء الخداع والضلال - يعرفون أن المتجَه لله وحده فيتجهون بهذا النداء. أحييتنا أول مرة فنفخت الروح في الموات فإذا هو حياة، وإذا نحن أحياء . ثم أحييتنا الأخرى بعد موتنا، فجئنا إليك . وإنك لقادر على إخراجنا مما نحن فيه . وقد اعترفنا بذنوبنا. (فهل إلى خروج من سبيل؟) .

{15} رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ

فهو - سبحانه - وحده صاحب الرفعة والمقام العالي، وهو صاحب الأمر المسيطر المستعلي. وهو الذي يلقي أمره على من يختاره من عباده. وهذا كناية عن الوحي بالرسالة ويبين ثانيا أنه يتنزل على المختارين من العباد .

{18} وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ

الآزفة. القريبة والعاجلة. . وهي القيامة. واللفظ يصورها كأنها مقتربة زاحفة . والأنفاس من ثم مكروبة لاهثة،

القلوب لدى الحناجر: أن القلوب يشتدّ اضطراب حركتها من فرط الجزع مما يشاهِده أهلها من بوارق الأهوال، حتى يشعر الإنسان أن القلوبُ تتجاوز مواضعها صاعدة إلى الحناجر

{19} يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ

وهم بارزون في هذا اليوم لا يخفى على الله منهم شيء ، والعين الخائنة تجتهد في إخفاء خيانتها. ولكنها لا تخفى على الله. والسر المستور في الأذهان مكشوف لعلم الله

{30} وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ

{ يَوْمِ الأَحْزَاب} مراد به ، الجنس لا (يومٌ). فالتقدير: مثل الأمم السابقة التي حلَّ بها العذاب مثل مصير قوم نوح. **والأحزاب**: هي الأمم لأن كل أمة حِزبٌ تجمعهم أحوال واحدة وتناصر بينهم فلذلك تسمى الأمة حزباً، وتقدم عند قوله تعالى: *{كل حزب بما لديهم فرحون }* في سورة [المؤمنين : 53

{43} لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ

انتفاء أن يكون الدعاء إليه بالعبادة أو الالتجاء نافعاً لا نفي وقوع الدعوة لأن وقوعها مشاهَد. حقًّا أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به لا يستحق الدعوة إليه، ولا يُلجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة لعجزه ونقصه

الإسراف هنا هو تعريض بالذين يُخاطبهم إذْ هُم مسرفون على كل تقدير فهم مسرفون في إفراط كفرهم بالرب الذي دعا إليه موسى، ومسرفون فيما يستتبعه ذلك من المعاصي والجرائم

{46} النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ

النص يُلهِم أن عرضهم على النار غدواً وعشياً، هو في الفترة من بعد الموت إلى قيام الساعة . ويحصل هذا عند توفي الملائكة للنفس حيث تعرض عليه نتيجة أعماله المسجلة في النفس في خلايا الدماغ. فإذا كان من المكذبين كآل فرعون، فإن صورة النار تبقى في

النفس إلى يوم القيامة يراها كل صباح ومساء. وبعد الحساب يكون مصير صاحبها إلى النار الحقيقية.

دَاخِرِينَ: صاغرين حقيرين

أَفَكَ الرَّجلُ: كذَب وافترى ، تَأَفَّكَ : اصطنع الكذب. ائْتَفَكَ القومُ: اضطربوا وانقلبت أَحوالهم من الخير إلى الشّر

أَنَّى يُصْرَفُونَ: أي كيف سيكون مصيرهم!

و**الحميم**: أشد الحرّ

السجر : ملْءُ التنور بالوقود لتقوية النار فيه، ويأتي أيضا بمعنى فيضان الماء

وهو استعارة تبعية بتشبيههم بالتنور في استقرار النار بباطنهم كما قال تعالى : {*يصهر به ما في بطونهم والجلود*} [الحج : 20] .

يَوْمَ ٱلتَّنَادِ : يوم الحساب والحشر

سورة الزمر تدعو إلى الإخلاص الكامل لله في الدين، وتبرز مصير الفريقين: أهل التوحيد وأهل الشرك. تدعو السورة إلى المسارعة بالتوبة والرجوع إلى الله قبل حلول الأجل، مع التأكيد أن رحمة الله أوسع من الذنوب كلها.

هذه السورة المكية تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد. وتتردد في مقاطعها على فترات متقاربة فيها إما نصاً . وإما مفهوماً عن طريق ضرب الأمثال. ثم تتلاحق فيها مشاهد القيامة أو الإشارة إليها في مقاطع من كثيرة . وهناك إشارات سريعة إلى خلق السماوات والأرض ولمسات من واقع حياة البشر.

{5} ...يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ

استعمال كلمة يكور في النص الموحى قبل أكثر من ألف سنة كان دعوة للعلماء للبحث في حركة الليل والنهار. فاكتشفوا أن الأرض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس؛ فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهاراً. ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور. وكلما تحركت، بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار. وهذا السطح مكور، فالنهار كان عليه مكوراً والليل يتبعه مكوراً كذلك.

{6} خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وهي نفس واحدة. ذات طبيعة واحدة . وذات خصائص واحدة. وهي الخلية الواحدة التي قَدَّر الله لها أن تنقسم تلقائيا عند بداية خلق الكائنات الحية.

وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ

الإنزال: نقل الجسم من علوّ إلى سُفل، ويطلق أيضاً على تذليل الأمر الصعب. فإطلاق الإنزال هنا بمعنى **إلهام** البشر تذليل وتدجين الأنعام والاستفادة منها. على نحو قوله تعالى : {وأنزلنا *الحديد*} [الحديد : 25] أي سخرناه للناس فألهمناهم إلى معرفة

خصائصه، يتخذونه سيوفاً ودروعاً ورماحاً وعتاداً مع شدته وصلابته . والمراد بالأنعام أنواع الإبل والغنم والبقر والمعز .

يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ

ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين. وظلمة الرحم الذي يستقر فيه هذا الكيس . وظلمة البطن الذي تستقر فيه الرحم

{16} لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ

شبهت طبقات النار بالظِلَّة في العلوّ والغشيان مع التهكم، لأنهم يتمنون ما يحجب عنهم حرّ النار. فعبر عن طبقات النار بالظّلل إشارة إلى أنهم لا واقي لهم من حر النار على نحو تأكيد الشيء بما يشبه ضده ،

{29} ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا .....

فِيهِ شُرَكَاءُ : نعت ل { رَّجُلاً } أي عبد مملوك من عدة شركاء. التشاكس: شدة الاختلاف، وشدّة الاختلاف في الرجل تعني الاختلاف في استخدامه وتوجيهه.

ضرب الله المثل للعبد الموحد بالله، والعبد الذي يتخذ شركاء مع الله. فضَرَب المثال على حالة في الحياة الدنيا. فالعبد الذي يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضاً فيه، ولكل منهم عليه تكليف؛ وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق؛ ولا يملك أن يُرضي أهواءهم المتنازعة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه! وفي المقابل عبد يملكه سيد واحد، وهو يعلم ما يطلبه منه، ويكلفه به، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح

{42} اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

النفس يتوفاها الله والجسم يموت. شَبَّه الله تعالى الوفاة وكأنها منام أو حلم (ليس من الضرورة أثناء النوم) ، وعندما يفيق الإنسان من المنام يرجع الى الحياة اذا لم يكن أجل الموت قد حل. أما إذا حل أجل الموت، تَعرض له الملائكة صورة عن سجل أعماله في حياته، فانه للحظات يرى صورة في مخيلته قد تكون مريحة أو مزعجة وتبقى هذه الصورة عنده إلى يوم القيامة. وهذا الفهم يفسر الآية: النَّارُ **يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ *الْعَذَابِ***

{53} قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

هَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة دَعْوَة لِجَمِيعِ العباد (مسلمين وغير مسلمين)، العصاة منهم إِلَى التَّوْبَة وَالْإِنَابَة، وَإِخْبَار بِأَنَّ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَغْفِر (يَستُر) الذُّنُوب جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا

{67} وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

القبضـــة تدل على تمام التمكن من المقبوض، وأن المقبوض لا تصـــرّف له ولا تحرّك . وهذا إيماء إلى تعطيل حركة الأرض وذلك بزوال نظام الجاذبية وانقراض أسـباب الحياة التي كانت تمد الموجودات الحية على سطح الأرض من حيوان ونبات. وطَيّ **السماوات**: اســتعارة مكنية لتشــويش تنســيقها واختلال أبعاد أجرامها، كقوله تعالى : {*يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب...)*. واليمين: وصـف لليد ولا يدَ حِسّية هنا، وإنما هي كناية عن القدرة لأن العمل باليد اليمين أقوى.

{75} وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ .....

أي بعد الحســـاب والقضـــاء تكون الملائكة في أتم الاســـتعداد لتنفيذ الأوامر والأحكام الصادرة منه سبحانه صاحب الأمر والنهي.

سُورَةُ صٓ

ســورة ص تناقش قضــية العناد مع الحق من خلال قصــص أنبياء الله، وتثبت أن الحق ظاهر رغم معارضة الكبراء. تدعو السورة إلى الصبر والثبات، وتعرض مشاهد من يوم القيامة وأهواله لتذكير الغافلين.

هذه الســورة مكية ، تعالج قضــية التوحيد ، وقضــية الوحي إلى محمد(ص) وقضــية الحساب في الآخرة. في مطلعها تمثل الدهشة والاستغراب والمفاجأة التي تلقى بها كبار المشـــركين في مكة دعوة النبي لهم إلى توحيد الله ؛ وإخبارهم بقصـــة الوحي واختياره رسـولاً من عند الله. كما تمثل اسـتهزاءهم واسـتنكارهم لما أوعدهم به جزاء تكذيبهم من عذاب ليقول لهم : إن رحمة الله لا يمسكها شـيء إذا أراد الله أن يفتحها على من يشـاء ، وفي هذا السياق جاءت قصة داود وقصة سليمان . وتختم السورة بقول النبي لهم : إن ما يدعوهم إليه لا يأتي به من عنده ، ولا يطلب عليه أجراً

وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ

الذكر: التذكير، أي أن في القرآن تذكير للناس بما هم عنه غافلون. ويرد الذِكر أيضـــا بمعنى الصورة الصوتية التي نزل بها الوحي.

{16} وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ

القط هو القسـط من الشـيء، ويطلق على ما يكتب فيه عطاء أو عقاب، والأكثر أنه ورقة العطاء.

وقالوا: ربنا عجّل لنا نصـــيبنا من العذاب في الدينا قبل يوم القيامة، وكان هذا اســـتهزاءً منهم.

{17} اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ

اذكر هنا هو التذكرُ. عَبْدَنَا: وصفُ تشريف، والأَيْد: القوة والشدة، والأوّاب: الكثير الأوْب ، أي الرجوع. والمراد: الرجوع إلى ما أمر الله به والوقوف عند حدوده وتدارك ما فرط فيه. والتائب يطلق عليه الأوّاب،

{23} إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ{24} قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ

جملة { إنَّ هذا أخِي) تدل أن الخصومة في معاملات القرابة

أكفلنيها: أي اجعلها في ملكي وكفالتي

عَزّني: غلبني في مخاطبته ، أي أظهر في الكلام عزّة عليّ وتطاولاً.

والمعنى: أنه سأله أن يعطيه نعجته (شيئاً يملكه) ، ولمّا رأى منه تمنّعاً اشتدّ عليه بالكلام وهدّده ، فأظهر الخصم المشتكي أنه يحافظ على أواصر القرابة، فشكاه إلى الملك ليصدّه عن معاملة أخيه معاملة الجفاء والتطاول ليأخذ ما يملكه عن غير طيب نفس. ولدى سماع شكوى المشتكي، حكم داود بأن سؤال الأخ أخاه نعجته ظلم لأن السائل في غنى عنها والمسؤول ليس له غيرها

وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ

وأيقن داود أننا فتنَّاه بهذه الخصومة، حيث تعجَّل بإصدار الحكم قبل أن يستمع إلى حُجَّة الطرف الآخر. فاستغفر ربه وسجد تقربًا لله، ورجع إليه وتاب.

{31} إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ {32} فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ {33} رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ

الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ: الخيول الأصيلة السريعة تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة؛ لنجابتها وخفتها. والمعنى: عرضت عليه خيله الصافنات الجياد فاشتغل بأحوالها حباً فيها حتى غربت الشمس ففاتته صلاة كان يصليها في المساء قبل الغروب. فأمر بإحضار الخيول اليه وراح يمسح أعراف الخيل وسوقها بيده حُبًّا لها

{34} وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ

جاءت هذه الآيات مشيرة إلى فتنة عرضت لسليمان(الله أعلم بطبيعتها) أعقبتها إنابة ثم أعقبتها إفاضة نعم عظيمة، فذكرت عقب ذكر قصة ما ناله من السهو عن عبادة الله أثناء مشاهدته للخيل.

سورة الصافات تعرض مشاهد من توحيد الله وتثبيت أمر الرسل الكرام عليهم السلام. تبرز السورة عظمة الجنود الإلهية التي تحمي العقيدة، وتؤكد أن النصر والتمكين للموحدين الصادقين مهما اشتد طغيان الكافرين.

تهدف - كسائر السور المكية – إلى بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى وهي تزعم أن هناك قرابة بين الله - سبحانه - وبين الجن. ثم تزعم أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله ويتلوها حديث عن الشياطين. كذلك تتناول قضية البعث والحساب والجزاء.

{1} وَالصَّافَّاتِ صَفًّا {2} فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا {3} فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا {4} إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ

{الصافات } جمع : صافة، وهي الطائفة المصطفّ بعضها مع بعض. وهذا الموصوف هو بعض طوائف الملائكة: الملائكة التي تزجر السحاب والملائكة التالين لآيات الله علي أنبيائه وأوليائه.
وذلك للتأكيد أن الذي يُدير هذه الملائكة العظيمة الشأن هو إلهكم الذي تعبدونه - أيها الناس - إله واحد أحد لا شريك له.

دَاخِرُونَ : صاغرون

{22} احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ
يُقال للملائكة: اجمَعُوا الذين كفروا بالله ونظرائهم وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله

{27} وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ {28} قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ
وأقبل بعض الكفار على بعض يتلاومون ويتخاصمون. قال الأتباع للمتبوعين: إنكم كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحق، فتهوّنون علينا أمر الشريعة، وتُنَفِّروننا عنها، وتزينون لنا الضلال. وتصُدوننا عن أعمال الخير واليُمْن وعن قوة الايمان

طَاغِينَ : ظالمين متجاوزين للحق

{48} وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ {49} كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ
{ عِينٌ } جمع : عَيْنَاء، وهي المرأة الواسعة العين
وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، خجولات، كأنهن بَيْض مصون لم تمسه الأيدي.

مِنْ شِيعَتِهِ: على طريقته ومنهاجه

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ
تربى إبراهيم في بيئة تتعدد فيها الآلهة وتقدس فيها ظواهر الطبيعة من شمس وقمر وكواكب. تنبع أهمية مكانته من كونه رسخ مبدأ التجريد في التقرب من الله بدلاً من التشخيص، ولم يتوصل إبراهيم للإيمان بالله إلا بعد أن بدأ رحلة تفكير طويلة من الشك إلى اليقين، لجأ عبرها إلى اتباع الاستقراء العلمي، فراقب ظواهر الطبيعة ولم يقنعه أفول ما ظن أنها آلهته، حتى توصل إلى الله، لكن الشك ظل يراوده فسأل الله عما يختلج في نفسه {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} (البقرة 260)، ولم يخيب الله ظنه ولم يستنكر سبحانه عليه السؤال بل حاوره برويّة حتى اقتنع، والأكثر من ذلك أنه جعله إماماً للناس
والإمامة سلوك يقتدى به، ولم يستخدم الله تعالى مصطلح "الأمة" عن فرد واحد إلا مع إبراهيم{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلّهِ} (النحل 120) فهو رائد في اللجوء إلى الله بعد تدبر وصل به إلى اليقين. كذلك فقد شكل تعامل إبراهيم مع قومه سلوكاً يحتذى، إذ حاورهم بالحسنى وتبرأ من شرك أبيه واستغفر له، ورغم الظلم الذي واجهه، لم تلتو إرادته فحطم الأصنام وانتهى على يديه وإلى الأبد ما كان سائداً من تقديم قرابين بشرية فداءً لآلهة لا تنفع ولا تضر، وطهر البيت مما سفك فيه من دماء، ووضع أساساً لعبادة الله الواحد دون غيره.
والظاهر أن هذا القول **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ** قاله علناً في قومه ليكفوا عن أذاهُ، وكان الأمم الماضون يُعدّون الجلاء طريقة لحل المشاكل.
سَيَهْدِينِ: أراد إعلام قومه بأنه واثق بربه وأنه لا تردد له في مفارقتهم،

٢. التفسير الثاني المبني على تحليلات عميقة للمعنى اللغوي:
لما شبَّ إسماعيلُ قادراً على عون أبيه، أمرهم الله بتطهير أرض البيت الحرام من جميع آثار شعائر الكفار.
"يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ "
كلمة "أَذْبَحُكَ" لا تعني بالضرورة التضحية، بل تعني أنني سأُكلِّفك مهمةً شاقةً بالنسبة لعمرك. ساعدني في بناء جدران البيت الحرام.
واستمروا في بناء الجدران حتى بلغ ارتفاعها مستوى جبين إسماعيل عليه السلام، مما صعب عليه الاستمرار، فتوقفوا عند هذا المستوى. كما قال الله تعالى في سورة البقرة ١٢٧: *﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾*.
{106} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ {107} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ {108} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ
الله يقر بجهودهم العظيمة. لقد كان ذلك عملاً هائلاً، وسيبقى مكاناً مقدساً حتى يوم القيامة.

أبق: فرَّ
الفُلك المشحون: المملوء بالراكبين
ساهم : كان من ضمن المشاركين في القرعة. وأصله مشتق من اسم السَّهم لأنهم كانوا يقترعون بالسهام وهي أعواد النبال وتُسمّى الأزلام
الْمُدْحَضِينَ: جعل المرء داحضاً ، أي زالقاً غير ثابتِ الرجلين وهو هنا استعارة للخسران.
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ
واختلف المفسرون في تأويل كلمة الحوت فقالوا إنها سمكة كبيرة كما هو شائع في اللغة. وقال آخرون أن لها معنى آخر في لسان العرب تعني القارب الصغير (قارب نجاة) اختبأ في بطنه
والمُليم: اسم فاعل من ألام ، إذا فعل ما يلومه عليه الناس
وأنبتنا عليه شجرة من يقطين
هذا من تدبير الله ولطفه أن هيَّأ له وسائل الحياة على الشاطئ، فوجده سكان المنطقة فعالجوه وقاموا بعنايته حتى استرد عافيته ورجع إلى قومه، فوجدهم قد أمنوا

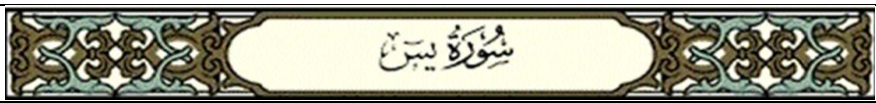

سورة يس تؤكد أن القرآن كتاب هداية وإنذار للعالمين، وتعرض مشاهد من البعث والحساب. تدعو السورة إلى الإيمان بالوحي والنظر في دلائل قدرة الله، وتحذر من الإصرار على الكفر الذي يؤدي إلى الخسران المبين.
هذه السورة المكية تواجه ابتداء موقف المشركين في مكة من حقيقة الوحي إلى رسول الله] - ص[وتواجه طلبهم خارقة مادية - غير القرآن - واستعجالهم بالوعيد الذي

يســـمعونه . فتقرر لهم أن آية هذا الدين هي هذا القرآن ؛ وهو يحمل برهانه في تفرده المعجز الذي تتحداهم به . . فتقرر لهم صـــفات الإله الحق وآثار قدرته في الوجود من حولهم ، وفي وجودهم هم أنفســـهم ، وفيما يتقلب بهم من ظواهر الكون ، وما يتقلب بهم هم من أحوال وهتاف فطرتهم وأنفســـهم بربها الحق عند مواجهة الخطر الذي لا دافع له إلا الله

{8} إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ

شُبهت حالة إعراضهم عن التدبر في القرآن ودعوة الإسلام والتأمل في حججه الواضحة، بحال قوم جعلت في أعناقهم أغلال غليظة ترتفع إلى أذقانهم فيكونون كالمقمحين، أي الرافعين رؤوسهم الغاضّين أبصارهم لا يلتفتون يميناً ولا شِمالاً فلا ينظرون إلى شيء مما حولهم

{9} وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

فظاظة قلوبهم لا تقبل الاستنتاج من الأدلة والحجج بحيث لا يتحولون عما هم فيه ، فمُثّلت حالهم بحالة من جُعلوا بين سدَّيْن ، أي جدارين: سداً أمامهم ، وسداً خلفهم

{18} قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ

التطير: يُطلق على كل حدث يَتوهم منه أحد أنه كان سبباً في إلحاق شر به فصار مرادفاً للتشاؤم.

{26} قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ.....

كناية عن قتله شهيداً في إعلاء كلمة الله

{51} وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ

يحصل هذا بعد النفخة الثانية واندثار عالم الدنيا بالنفخة الأولى

الأجداث: المكان الذي تُحتفظ فيها الأنفس بعد الوفاة لتحل في الأجساد الجديدة يوم القيامة، وليست قبور الأجساد في مقابر الأرض

إلى ربّهم: إلى حكم ربهم وحسابه

يَنسِلُونَ: يمشون مشياً سريعاً.

{59} وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ

المجرمون يتلقون التحقير ويقال لهم: انعزلوا هكذا بعيداً عن المؤمنين

{77} أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ

الخصيم فعيل مبالغة في معنى مفاعل، أي مخاصم شديد الخصام .

والمبين: من أبان بمعنى بان، أي ظاهر في ذلك.

المعنى: ألا يتفكر الإنسان في أصل خَلقِه! لقد خلقناه من نقطة من ماء مهين، لا قوام ولا قيمة ! نقطة من ماء تحوي ألوف الخلايا. . خلية واحدة من هذه الألوف هي التي تصـــير جنينا. ثم تصير هذا الإنسان الذي يجادل ربه ويخاصمه ويطلب منه البرهان والدليل!

سُورَةُ فَاطِر

تمضي هذه السورة في إيقاعات تتوالى على القلب البشري من بدئها إلى نهايتها، توقظه من غفلته ليتأمل عظمة هذا الوجود ، وروعة هذا الكون ؛ وليتدبر آيات الله المبثوثة في صفحاته ؛ وليتذكر آلاء الله ، ويشعر برحمته ورعايته ؛ وليتصور مصارع الغابرين في الأرض ومشاهدهم يوم القيامة ؛ وليخشع وهو يواجه بدائع صنع الله ، وآثارقُدرته في أأرجاء الكون ، وفي أغوار النفس ، وفي حياة البشر.

{1} الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

الفاطر: فاعل الفَطْر ، وهو الخلق ، وفيه معنى التكون سريعاً لأنه مشتق من الفطر وهو الشق. فالله هو من ابتدأ الخلق

{8} أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

الله قَدَّر أسباب الضلال والاهتداء، والإنسان يختار. فالذين زيَّن لهم الشيطان أعمالهم قد اختاروا سُبل الضلال بأنفسهم

{11} ....وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

ففي اللوح المحفوظ توجد كتب الكون والحياة. فهناك كتاب الموت وكتاب الرزق وغيرها. وحين تتحقق العناصر في أحد كتب الأقدار يتم انفاذها. ففي كتاب الأعمار توجد الأسباب التي تُؤدي إلى زيادة العمر أو نقصانه. فعلوم الطب تقوم على دراسة الأسباب واكتشاف الأمراض وعلاجها.

{39} هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ

تذكير بتتابع الأجيال في الأرض، وذهاب جيل ومجيء جيل ، ووراثة هذا لذاك، وانتهاء دولة وقيام دولة. ثم يذكرهم بفردية التبعة، فلا يحمل أحد عن أحد شيئاً، ولا يدفع أحد عن أحد شيئاً

سُورَةُ سَبَإٍ

موضوعات هذه السورة المكية هي موضوعات العقيدة الرئيسية : توحيد الله ، والإيمان بالوحي ، والاعتقاد بالبعث . وإلى جوارها تصحيح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة الرئيسية . وبيان أن الإيمان والعمل الصالح - لا الأموال ولا الأولاد - هما قوام الحكم والجزاء عند الله . وأنه ما من قوة تعصم من بطش الله وما من شفاعة عنده إلا بإذنه .

{10} وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ

التأويب : الترجيع، أي ترجيع الصوت . فالله قدَّر في تكوين الجبال والطير خاصية ترجيع الصوت (الصدى)

{ **ألنا له** } من معنى: أشعرناه وأوحينا اليه باستعمال فلزات الحديد الموجودة في الأرض ليصنع منها ما له فائدة

{11} أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ...
السابغات: الدروع. فألهم الله داود أن يصنعها رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها بحركة الجسم؛ وأمر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الرماح. وهو التقدير في السرد. وكان الأمر كله إلهاماً وتعليماً من الله.

{12} وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ
سخر الله له الريح تقطع به المسافات الشاسعة في ساعات معدودات، لحمله مع جنده فتنتقل به من بلد إلى بلد، فتقطع به مسيرة شهرين في نهار واحد.
{القِطْر} بكسر القاف وسكون الطاء النحاس المُذاب
ألهم الله سليمان تسييل النحاس، كما ألان لداود الحديد

{12} وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ
المحاريب: جمع محراب، وهو الحصن الذي يحارب منه العدوُّ، ثم أطلق المحراب على الذي يُخْتَلَى فيه للعبادة فهو بمنزلة المسجد الخاص
جِفَانٍ: جمع جفنه وهي القصعة الكبيرة
الجوابِ: جمع جابية وهي الحوض الكبير يجمع فيه الماء

دَابَّةُ الْأَرْضِ: السوسة التي تأكل الخشب
المنسأة: العصا سميت بذلك لأنه يُنسأ بها أي يُطرد ويزجر

{20} وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
تحقق ظنه حين: *﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)*
فها هم استجابوا لفعل وسوسته، فبادروا إلى العمل بما دعاهم إليه من الإشراك والكفران

51} وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ {52} وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
ولو ترى -أيها الرسول- إذ فَزِعَ الكفار حين معاينتهم عذاب الله يوم القيامة، وأُخِذوا إلى النار من موضع قريب التناول.
وقالوا: آمنا به. الآن بعد فوات الأوان. وكيف يتناولون الإيمان من مكانهم هذا. ومكان الإيمان بعيد عنهم، فقد كان ذلك في الدنيا، فضيعوه !

{53} وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
ذلك حين أنكروا هذا اليوم، وهو غيب كان، فلم يكن لهم على إنكاره من دليل، إنما كانوا يقذفون بالغيب من مكان بعيد، فهم كانوا في الدنيا بينما الغيب في المستقبل بعيد عن إدراكهم. واليوم هم في يوم الحساب عند الله، ومكان الإيمان كان في الدنيا، فهم يحاولون تناول الإيمان به من مكان كذلك بعيد!

هذه السورة تتناول قطاعا حقيقيا من حياة الجماعة المسلمة ، في فترة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية ، وفي ثنايا الحديث عن تلك الأوضاع والنظم يرد الحديث عن غزوة الأحزاب ، وغزوة بني قريظة ، ومواقف الكفار والمنافقين واليهود

فيهما. ومن ثم يأخذ في إبطال عادة الظهار وتصـــحيح مفهوم التبني وآثاره، وبيان نعمة الله على المؤمنين . بعد ذلك تتحدث عن أزواج النبي وتزويج زينب بنت جحش وطلاقها. ثم تختم السورة بإيقاع هائل عميق الدلالة والتأثير يكشف عن جسامة العبء الملقى على عاتق البشرية ،

وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ

الظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمي، وقد كان هذا طلاقًا في الجاهلية

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ: وما جعل الله الأولاد المتَبَنَّيْنَ أبناء في الشـــرع. ولا يثبت النســب بالتبني من قول الشــخص للدَّعِيّ: هذا ابني، فهو كلام بالفم لا حقيقة له، ولا يُعتَدُّ به. ولا يصح التبني إلا إذا كان الطفل دون سنتين من العُمر

يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ.....

يستأذنون بحجة أن بيوتهم مكشوفة للعدو. متروكة بلا حماية.

ذلك كان شـــأن المنافقين يختلقون الأعذار، والأعداء بعد خارج المدينة؛ ولم تقتحم عليهم بعد . فأما لو وقع الخطر واقتحمت عليهم المدينة من أطرافها وطلبت إليهم الردة عن دينهم لآتوها سراعا غير مترددين

19} **أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ .....**

الشحّ: البخل بما في الوسع مما ينفع الغير . وأصله: عدم بذل المال ، ويستعمل في منع المقدور من النصر أو الإعانة. أشحة في الظّاهر، أي يظهرون أنهم يخافون عليكم الهلاك فيصدونكم عن القتال ويحسّنون إليكم الرجوع عن القتال.

هؤلاء المنافقون بُخَلاء عليكم -أيها المؤمنون- بالمال والنفس والجهد والمودة لما في نفوسهم من العداوة والحقد؛ حبًا في الحياة وكراهة للموت، فإذا حضر القتال خافوا الهلاك

{20} يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ .....

فهم ما يزالون يرتعشون، ويتخاذلون، ويخذلون! ويأبون أن يصدقوا أن الأحزاب قد ذهبت ، وأنه قد ذهب الخوف، وجاء الأمان! وإن يأت الأحزاب يود هؤلاء الجبناء لو أنهم لم يكونوا من أهل المدينة يوما من الأيام. ويتمنون أن لو كانوا من أعراب البادية، لا يشاركون أهل المدينة في حياة ولا في مصير.

{26} وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ

من حصونهم وقلاعهم. واستعمال كلمة صَيَاصِيهِمْ فيها بلاغة ودِقَّة في الوصف، فشبَّه حالهم بالصيصاء وهي ثمرة الحنظل صلبة من الخارج هشَّة من الداخل. أي حصونهم قوية، ولكن قلوبهم شتى خائفة

{56} إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا...

الصـــلاة: الدعاء والذكر بخير ، وهي من الله الثناء. وأمره بتوجيه رحمته في الدنيا والآخرة، أي اذكروه ليذكركم. والمراد ب {الظلمات } : الضلالة، وبالنور : الهُدى

الإرجاف: إشاعة الأخبار. وفيه معنى كون الأخبار كاذبة أو مسيئة لأصحابها يعيدونها في المجالس ليظنَّ السامعون لها مرة بعد مرة بأنها صادقة
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ: لنسلِّطنَّك عليهم

{72} إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

الأمانة: هي حرية الاختيار، ان تكون مختارا في ان تؤمن او تكفر فتكون مختارا في تصرفك.

انظر قوله تعالى {*ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ*} هنا يتبين أنه أعطى الخيار للسماء وللأرض، ولكنهما اختارتا خياراً واحداً، وهو (الطواعية).

ولو قرأنا الآية جيدا سنجد ان الآية لم تقل انا عرضنا الأمانة على الانسان. ولكن الله منذ الخلق جعل في الإنسان القدرة والطاقة لتحمل مثل هذه الأمانة، حيث زوده بالعلم والمعرفة وحرية الاختيار. والانسان ظلوم جهول بعدم فهمه وعدم علمه بالقُدرة التي منحها الله له، وليس ظلوم وجهول بسبب الحمل للأمانة، وانما جاهلا بطاقته التي منحها الله فظلم نفسه. والظلم هو انتقاص الحق مثل قوله تعالى ({*كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً* } الكهف33

هذه السورة المكية نموذج آخر من نماذج الخطاب القرآني للقلب البشري بالعقيدة الضخمة التي جاء القرآن ليوقظها في الفطرة ، ويركزها في القلوب : عقيدة الدينونة لله الأحد الفرد الصمد ، خالق الكون والناس ، ومدبر السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما من خلائق لا يعلمها إلا الله . والتصديق برسالة محمد (ص) الموحى إليه بهذا القرآن لهداية البشر إلى الله والاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء .

{6} ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

خلق الله عالَم الغيب الذي لا يستطيع الإنسان أن يدركه بحواسه مثل الملأ الأعلى والملائكة والجن.... وخلق عالَم الشهادة الذي يمكن للإنسان مشاهدته مثل السموات والأرض والنجوم...

فهو العالِم المتصرِّف بذلك الخلق والتدبير، عالِم بجميع مخلوقاته ومحيط بجميع شؤونها

{7} الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ {8} ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ{9} ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ

تُبين لنا هذه الآيات مراحل خلق الإنسان:

المرحلة الأولى: بداية خلق كل شـيء حي ومنه البشـر كقوله تعالى: "*وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*" [سورة النور: 45]

المرحلة الثانية: (نلاحظ اسـتعمال "ثم" للدلالة على التراخي الزمني) وبعد زمن لا يعلمه إلا الله هداه للتزاوج والتناسل

المرحلة الثالثة: وبعد مرور زمن بعلم الله، أعطى الله الإنســـان بعض علمه ومشـــيئته وحرية الاختيار، ورمز القرآن لهذه المرحلة بقصة خلق آدم.

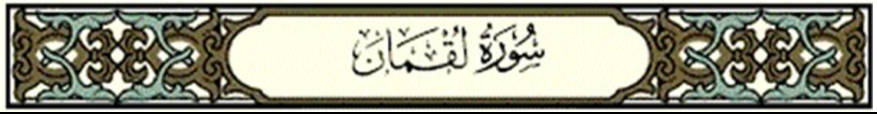

ســـورة لقمان تركز على الحكمة في الحياة، وتعرض وصـــايا لقمان الحكيم لابنه. تدعو السورة إلى شكر الله، وبر الوالدين، ومراقبة الله في السر والعلن، كما تحث على التواضع وحسن الخلق.

تُبين السورة ان هذا القرآن الكريم جاء يخاطب الفطرة البشرية بمنطقها . نزَّله الذي خلق هذه الفطرة ، والذي يعلم ما يَصـــلُح لها وما يُصـــلِحها ، ويعلم كيف يخاطبها ، ويعرف مداخلها ومســـاربها . جاء يعرض على هذه الفطرة الحقيقة المكنونة فيها من قبل ؛ لأنها قائمة عليها أصـــلا في تكوينها الأول . . تلك هي حقيقة الاعتراف بوجود الخالق وتوحيده ، والتوجه إليه وحده بالإنابة والعبادة مع موكب الوجود كله المتجه إلى خالقه بالحمد والتســـبيح . . إنما تغشـــى على الفطرة غواش من دخان هذه الأرض؛ وتنحرف بها عن الطريق دفعات من الهوى والشهوة .

ثم يذهب النص في جولة من خلال نفوس آدمية (ولقد آتينا لقمان الحكمة) فما طبيعة هذه الحكمة وما مظهرها الفريد ? إنها تتلخص في الاتجاه لله بالشكر ثم باتجاه لقمان لابنه بالنصيحة : نصيحة حكيم لابنه . فهي نصيحة مبرأة من العيب ، صاحبها قد أوتي الحكمة . وهي نصـيحة غير متهمة ، فما يمكن أن تتهم نصـيحة والد لولده . هذه النصـيحة تقرر قضـية التوحيد التي قررتها الجولة الأولى وقضـية الآخرة كذلك مصـحوبة بهذه المؤثرات النفسية ومعها مؤثرات جديدة.

{6} وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ....

يشتري بمعنى يختار كما في قوله تعالى:

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ /البقرة 16.

لهو الحديث: كل كلام يلهي القلب ويأكل الوقت، ولا يثمر خيرا ولا يؤتي حصيلة، خاصة في مجالس الذين يستهزئون بالقرآن.

فالمعنى: إن الذين يختارون قضاء الوقت في الاستماع لأحاديث الغيبة والكذب والخرافات التي تلهي الناس عن طاعة الله

{27} وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

كلمات الله: هي الوجود الموضوعي للأشياء والظواهر خارج الوعي الإنساني. فالشمس والقمر هي كلمات الله. والله يحقّ الحق بكلماته أي يجعله موجوداً في الحقيقة والواقع، بقوله للشيء: {*كن فيكون*} التي بها تتحوّل إرادة الله إلى واقع ملموس. وفي كل عصر يكشف العلم عن موجودات في السماء والأرض لم تكن معروفة سابقا.

والمعنى أن مخلوقات الله لا حصر لها، منها ما عرفناه عن طريق العلم ومنه ما لم يتم اكتشافه بعد.

سورة الروم تعرض مشاهد من تقلبات الأمم وتغير أحوال الدنيا، وتؤكد أن النصر في النهاية للمؤمنين. تدعو السورة إلى التفكر في آيات الله في الخلق والبعث، وتثبت القلوب بأن وعد الله حق لا يتخلف.

الآيات الأولى من هذه السورة المكية تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين على الفرس المشركين غلبة يفرح لها المؤمنون ، الذين يودون انتصار ملة الإيمان من كل دين. ومن ثم يعرض عليهم مشهدا من مشاهد القيامة وما يجري فيه للمؤمنين والكافرين. ويضرب لهم من أنفسهم ومما ملكت أيمانهم مثلا يكشف عن سخافة فكرة الشرك ، وقيامها على الأهواء التي لا تستند إلى حق أو علم . ويصور حالهم في الرحمة والضر ، وعند بسط الرزق وقبضه . ويستطرد بهذه المناسبة إلى وسائل إنفاق هذا الرزق وتنميته ، ويربط بين ظهور الفساد في البر والبحر وعمل الناس وكسبهم . ويعقب عليها بأن الهدى هدى الله ؛ وأن الرسول لا يملك إلا البلاغ . وختم السورة بتوجيه الرسول (ص) إلى الصبر على دعوته ، وما يلقاه من الناس فيها ؛ والاطمئنان إلى أن وعد الله حق لا بد آت.

{12} وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ

ييأس المجرمون من النجاة من العذاب

يُحْبَرُونَ : يكرَّمون ويسرُّون وينعَّمون

{19} يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

الإخراج: إنشاء شيء من شيء. أودع الله هذا النظام العجيب في الموجودات فجعل في الشيء الذي لا حياة له قوة وخصائص تجعله ينتج الأشياء الحية الثابتة، ويجعل في تراب الأرض قُوى تُخرج الزرع والنبات حياً نامياً. مثل إنشاء الأجنة من النطف، وإنشاء الفراخ من البيض. ويخرج الميت من الحي، كالنطفة بقدرة الله تصير إنسانا حيّاً والبيضة الجامدة يخرج منها الطير الحي

{20} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ

من كمال قدرة الله أن الخلق بدأ من خلية واحدة في الماء والطين، ثم صارت تنقسم ذاتيا، ومرت بأطوار على ملايين السنين (الله أعلم بِمُدتها) حتى وصل تطور بعض المخلوقات إلى هيأة البشر المنتصب، ثم أنتم بشر تتناسلون منتشرين في الأرض،

{28} ضَـــرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِـــكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُـــرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ..

هل يرضـــى أحدكم، أن يكون عبده ومملوكه شـــريكا له في ماله، الذي رزقه الله تعالى ؟ فكيف تشركون به سبحانه مخلوقاته!

{39} وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ

الربا: الزيادة. فإذا أعطيتم قرضًـــا من المال لأجل زيادة رأس المال; فقد أخذتم فائدته في الدنيا، فلا ثواب لكم عند الله. أما ما أعطيتم من صدقة أو زكاة فلكم ثوابه عند الله مضاعفاً

{41} ظَهَرَ الْفَسَـــادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَـــبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

الكسـب: هو ما يعمله الإنسـان بيديه أو بفكره. فيتكسَّـب الإنسـان مما خلقه الله من ثروات طبيعية ومما يصـنعه بنفسـه. الإنسـان يبني المصـانع ويديرها بالفحم الحجري، أو البترول والغاز أو الطاقة الكهربائية أو النووية. وينتج عن ذلك أضـــرار بالبيئة تؤدي الى الجدب وارتفاع حرارة الجو فتفسد ما في البر والبحر

{51} وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ

ولئن أرسلنا على زروعهم ونباتهم ريحًا مفسدة، فرأوا نباتهم قد فسد بتلك الريح، فصار من بعد خضرته مصفرًا، لمكثوا من بعد رؤيتهم له يكفرون بالله ويجحدون نعمه.

{59} كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

إن الكفار الذين لا يتَّعظون بآيات الله قد اختاروا أن لا يعلموا واقفلوا عقولهم عن الفهم، فالله يتركهم في ضلالهم.

الطبع على القلب هو عدم استعمال العقل في التفكير فيصبح غير قابل للفهم

سُورَةُ العَنكبُوتِ

سورة العنكبوت تركز على الابتلاء كوسيلة لتمحيص الإيمان، وتعرض نماذج من صبر الأنبياء وأتباعهم. تدعو الســـورة إلى الثبات أمام الفتن، وتؤكد أن الإيمان يحتاج إلى تضحية وصبر، كما تحذر من الضعف أمام زخارف الدنيا.

سورة العنكبوت مكية . وقد ذكرت بعض الروايات أن الإحدى عشرة آية الأولى مدنية . وذلك لذكر "الجهاد " فيها وذكر "المنافقين . "والآية الواردة بصـــدد الجهاد فلا يعني القتال وإنما هو جهاد ضـــد الفتنة . أي جهاد النفس لتصـــبر ولا تفتن . وهذا واضـــح في السياق . وكذلك ذكر النفاق فقد جاء بصدد تصوير حالة نموذج من الناس.

ثم يســـتعرض قصـــص نوح وإبراهيم ولوط وشـــعيب ، وقصـــص عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان ، اســـتعراضـــا ســـريعا وقد أخذها الله جميعا . ويضـــرب لهذه القوى كلها

مثلا مصـــورا يجســم وهنها وتفاهتها مثل بيت العنكبوت. كما تتضـــمن الســـورة توجيها يتناول النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى .

{3} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ

الله قدَّر أسباب الفتنة وأسباب الابتعاد عنها، والإنسان هو الذي يختار أحد هذه الأسباب. الله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء؛ ولكن الابتلاء يَكشِف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله ، مغيب عن علم البشـــر ؛ فيحاســـب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سـبحانه من أمرهم . سـنة الله في ابتلاء الذين يؤمنون وتعريضـــهم للفتنة حتى ينكشف الذين صدقوا منهم وينكشف الكاذبون.

هناك أنواع كثيرة من الفتن منها فتنة إقبال الدنيا على الكافرين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين. وهناك فتنة أن يجد المؤمن أمما ودولا غارقة في الرذيلة، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها

{4} أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

يَسْبِقُونَا: يفلتوا من عقابنا

{6} وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

الجهاد: مبالغة في الجهد الذي هو مصـــدر جَهَد. فإذا جدَّ الإنســـان في عمله - ســـواء في كسب معيشته أو في عمل ما يُرضي الله - وتكلّف فيه تعباً، فليتذكر أنه في هذا الجُهد كان يقصد مصلحة نفسه. فالله لا يحتاج جُهد أحد. وإطلاق الجهاد هنا هو مثل إطلاقه في قوله تعالى: { *وإن جاهداك لتُشْرِك بي* } ولا يقصـد هنا بالجهاد بمعنى القتال حيث أن السـورة مكية . فما يلاقيه من المشـاق هو لفائدة نفســه ليتأتى له الثبات على الإيمان الذي به ينجو من العذاب في الآخرة.

{14} وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا

الزمن عند الله نسـبي يختلف عن حسـاباتنا للزمن. وفائدة ذكر هذه المدة للدلالة على شـدة مصابرة نوح على أذى قومه، ودوامه على إبلاغ الدعوة تثبيتاً للنبيء صلى الله عليه وسلم على الصبر.

{25} وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

فهؤلاء القوم يحب بعضهم بعضاً فلا يخالفه، وإن لاح له أنه على ضلال، ويحبون الأوثان إرضاء لِزعمائهم فلا يتركون عبادتها وإن ظهرت لبعضهم دلالة بطلان إلاهيتها

الرجز : العذاب المؤلم

{35} وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

ولقد تركنا من القرية بعد تدميرها آثاراً دالة لقوم يستعملون عقولهم في الاستدلال بالآثار على أحوال أهلها. وفي هذا أمر بالبحث العلمي.

الأخذ : الإعدام والإهلاك

{الرجفة } : الزلزال الشديد الذي ترتجف منه الأرض

{40} فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَـــفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَـــهُمْ يَظْلِمُونَ

فمنهم الذين أرسلنا عليهم حجارة من طين منضود، وهم قوم لوط، ومنهم مَن أخذته الصيحة، وهم قوم صالح وقوم شعيب، ومنهم مَن خسفنا به الأرض كقارون، ومنهم مَن أغرقنا، وهم قومُ نوح وفرعونُ وقومُه

{48} وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ

لم يكن لديهم داعياً للشك في أن ما يتلوه النبي من القرآن ليس من عنده، فهم يعرفون أنه قبل نزول القرآن لم يكن يتلوا شيئاً من الكتب السابقة، ولم يكن يكتب شيئا من هذه الكتب، ثم جاء الآن يتلو هذا القرآن عليهم. لقد كذبوا مع انتفاء شبهة الكذب فكان تكذيبهم الآن باطلاً ، فهم مبطلون متوغلون في الباطل

{56} يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ

أنتم عبادي . وهذه أرضي. وهي واسعة. فسيحة تسعكم. فما الذي يمسككم في مقامكم الضيق، الذي تفتنون فيه عن دينكم، ولا تملكون أن تعبدوا الله مولاكم ? غادروا هذا الضيق يا عبادي إلى أرضي الواسعة، ناجين بدينكم، أحرارا في عبادتكم. وهذا إيذان بالهجرة.

سورة القصص تعرض قصة موسى عليه السلام من ميلاده إلى بعثته، مظهرةً كيف يدبر الله لعباده المخلصين. تدعو السورة إلى الثقة بتدبير الله، وتحذر من الاغترار بالمال والجاه كما فعل قارون، وتبين أن العاقبة للمتقين.

هذه السورة مكية ، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة ، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان . نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم ، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود ، هي قوة الله ؛ وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون ، هي قيمة الإيمان . فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه. ثم يستعرض قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر ؛ وفي مواجهتها موسى طفلا رضيعا لا حول له ولا قوة. ثم يستعرض قيمة المال ، ومعها قيمة العلم من خلال قصة قارون الذي أوتي الكثير من المال، وأوتي العلم الذي يعتز به قارون ، ويحسب أنه بسببه وعن طريقه أوتي ذلك المال. ثم تتدخل قدرة الله فتخسف به وبداره الأرض ، لا يغني عنه ماله ولا يغني عنه علمه ؛ وتتدخل تدخلا مباشرا سافرا كما تدخلت في أمر فرعون ، فألقته في اليم هو وجنوده فكان من المغرقين . إن في هذا دلالة على أنه حين ينتشر الفساد والشر ويقف دعاة الخير عاجزين عن الاصلاح ؛ ويُخشى من الفتنة بالبأس والفتنة بالمال، عندئذ تتدخل القدرة الإلهية لتضع حداً للشر والفساد.

{10} وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أطلق مصطلح الفؤاد على عملية تنقية المعلومات القادمة من الحواس فيتصرف الإنسان غريزيا في حالة الخطر قبل ارسالها إلى مركز الإدراك والتحليل في الدماغ.
المعنى: وكادت أن تتصرف بغريزة الأم فتصرخ وتولول، وقاربت أن تُظهِر أنه ابنها، لولا أن أوحينا لها فصبرت ولم تُبْدِ به

{41} وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ
وجعلنا فرعون وقومه قادة يَقتدي بهم أهل الكفر والفسق إلى مصيرهم في النار.
الْمَقْبُوحِينَ: المبعدين عن رحمة الله

{44} وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ
إن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى أخبرك به الوحي، وهذا شاهد على أن رسالتك من الله

{54} أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
أولئك تعود على الذين آمنوا بالقرآن من أهل الكتاب. يُؤتَوْن ثواب عملهم مرتين: على الإيمان بكتابهم، وعلى إيمانهم بالقرآن بما صبروا، ومن أوصافهم أنهم يدفعون السيئة بالحسنة، ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والبر

{57} وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا
وقال كفار "مكة": إنْ نتبع الحق الذي جئتنا به، ونتبرأ من الأولياء والآلهة، نُتَخَطَّفْ من أرضنا من قِبَل القرى حولنا، بالقتل والأسر ونهب الأموال. فيذكرهم الله بنعمته عليهم: أولم نجعلهم متمكنين في بلد آمن، حرَّمنا على الناس سفك الدماء فيه، يُجلب إليه ثمرات كل شيء رزقًا مِن لدنا؟

سورة النمل تظهر جانبًا من دلائل قدرة الله من خلال قصص سليمان وموسى عليهما السلام وغيرهما. تؤكد السورة أهمية العلم والشكر لله، وتدعو إلى الإيمان بآياته قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.
موضوع السورة الرئيسي - كسائر السور المكية - هو العقيدة : الإيمان بالله ، وعبادته وحده ، والإيمان بالآخرة ، وما فيها من ثواب وعقاب . والإيمان بالوحي وأن الغيب كله لله ، لا يعلمه سواه . والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق واهب النعم ؛ وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر . والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله . ويأتي القصص لتثبيت هذه المعاني ؛ وتصوير عاقبة المكذبين بها ، وعاقبة المؤمنين .
والتركيز في هذه السورة على العِلم . عِلم الله المطلق بالظاهر والباطن ، وعِلمه بالغيب خاصة . وآياته الكونية التي يكشفها للناس . والعِلم الذي وهبه لداود وسليمان . وتعليم سليمان منطق الطير وتنويهه بهذا التعليم . وعندما يريد سليمان استحضار عرش الملكة ،

لا يقدر على إحضاره في غمضة عين عفريت من الجن ، إنما يقدر على هذه (الذي عنده علم من الكتاب)

{25} أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

الْخَبْءَ : كل مخبوء وراء ستار الغيب في الكون العريض.

(ويعلم ما تخفون وما تعلنون) وهي مقابلة للخبء في السماوات والأرض بالخبء وفي أطواء النفس . ما ظهر منه وما بطن.

{47} قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ

قال قوم صالح: تَشاءَمْنا بك وبمن معك ممن دخل في دينك، قال لهم صالح: ما أصابكم الله مِن خير أو شر فهو مقدّره عليكم ومجازيكم به، بل أنتم قوم تُخْتَبرون بالسراء، والضراء، والخير والشر.

{48} وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ {49} قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

قال هؤلاء الزعماء المفسدين التسعة بعضهم لبعض: تقاسموا بالله بأن يحلف كل واحد للآخرين: لنأتينَّ صالحًا بغتة في الليل فنقتله ونقتل أهله، ثم لنقولَنَّ لوليّ الدم مِن قرابته: ما حضرنا قتلهم، وإنا لصادقون فيما قلناه.

{61} .....وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا

عند مصَب مياه النهر العذبة في مياه البحر المالحة جعل الله حاجزا (البرزخ) بحيث لا يُفسد أحدهما الآخر

{66} بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ

تداركت علوم الحاضرين مع علوم أسلافهم، أي تلاحقت وتتابعت. فتلَّقى الخلف عن السلف عِلمَهم في الآخرة وتقلدوها عن غير بصيرة ولا نظر، وذلك أنهم أنكروا البعث

{72} قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ

ردّاً على سؤالهم: متى يكون هذا الوعد بالعذاب الذي تَعِدُنا به،

قل لهم يا محمد: عسى أن يكون قد **رَدِفَ / اقترب** لكم بعض الذي تستعجلون من عذاب الله

{82} وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ.....

إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة، وحق القول على الباقين فلا تقبل منهم توبة بعد ذلك، وإنما يقضى عليهم بما هم عليه. عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم. والدابة لُغة هي كل ما يدِبُّ على الأرض. والدابة قد تكون حيوانا أو آلة تمشي على الأرض. واختلفت التفاسير والتأويلات. وفي العصر الحاضر نرى آلات كثيرة مثل الروبوتات التي تدب على الأرض وتتكلم. والله أعلم بالحقيقة.

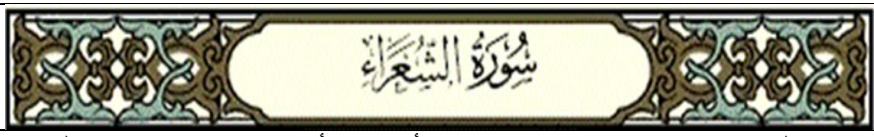

سـورة الشـعراء تعرض قصـص عدد من الأنبياء مع أقوامهم، مبرزة صـراع الحق مع الباطل. تؤكد السورة أن النصر للحق وإن طال الطريق، وتحذر من السخرية والتكذيب بدعوة الرسل، مع تثبيت قلب النبي (ص) بالدعوة إلى الصبر والمضي في طريق الحق.
سورة الشعراء مكية وموضوعها الرئيسي هو موضوع السور المكية جميعا . . العقيدة .
.ملخصـة في عناصـرها الأسـاسـية: توحيد الله والخوف من الآخرة والتصـديق بالوحي المنزل على محمد رسـول الله ، ثم التخويف من عاقبة التكذيب ، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين ؛ وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين. وجسـم السـورة هو القصـص الذي يشغل ثمانين ومائة آية من مجموع آيات السورة كلها.

{3}لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ {4} إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ

لعلك - أيها الرسول - من شدة حرصك على هدايتهم مُهْلِك نفسك؛ لأنهم لم يصدِّقوا بك ولم يعملوا ببهديك،فلا تفعل ذلك. إن نشأ ننزل على المكذبين من قومك من السماء معجزة مخوِّفة لهم تُلجئهم إلى الإيمان، فتصـير أعناقهم خاضـعة ذذليلة،ولكننا لم نشـأ ذلك; فإن الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب اختيارًا.

{36} قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ

ي أمهلـه وأخـاه إلى أجـل؛ وابعـث رسـلـك إلى المـدائن الكبرى ، يجمعون السـحرة االمهرة،لإقامة مباراة للسحر بينهم وبينه

{118} فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

فاحكم بيني وبينهم حكمًا تُهلك به مَن جحد توحيدك وكذَّب رسولك، ونجني ومَن معي من المؤمنين مما تعذب به الكافرين.

{128}أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ {129} وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ {130} وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ

أتبنون بكل مكان مرتفع بناء عاليًا تشـرفون منه فتسـخرون مِنَ المارة؟ وذلك عبث وإسـراف لا يعود عليكم بفائدة في الدين أو الدنيا، وتتخذون قصـورًا منيعة وحصـونًا مشيَّدة، ظانين أنها تحميكم من العذاب كالطوفان الذي حلَّ بقوم نوح!

{153} قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ

قالت ثمود لنبيها صالح: ما أنت إلا من الذين سُحروا سِحْرًا كثيرًا، حتى غلب السحر على عقلك

{189}فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

قال لهم شـعيب: ربي أعلم بما تعملونه مِنَ الشـرك والمعاصـي. فاسـتمَرُّوا على تكذيبه، فأصـابهم الحر الشديد، وصـاروا يبحثون عن ملاذ يستظلون به، فأظلتهم سحابة، وجدوا لها بردًا ونسـيمًا، فلما اجتمعوا تحتها، التهبت عليهم نارًا فأحرقتهم، فكان هلاكهم جميعًا في يوم شديد الهول.

{196} وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ{197} أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وإنَّ ذِكْرَ هذا القرآن لَمثبتٌ في كتب الأنبياء السابقين، قد بَشَّرَتْ به وصَدَّقَتْه. أولم يَكْفِ هؤلاء- في الدلالة على أنك رسول الله، وأن القرآن حق- عِلْمُ علماء بني إسرائيل صحة ذلك، ومنهم مَن آمن به

198} وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ {199} فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ
ولو نَزَّلنا القرآن على بعض الذين لا يتكلمون بالعربية، فقرأه على كفار قريش قراءة عربية صحيحة، لكفروا به أيضًا، وانتحلوا لجحودهم عذرًا.

{224} وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ {225} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ {226} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ
رَدّاً على قولهم أن محمدا شاعر ألَّف هذا القرآن، يخبر النص عن طبيعة الشعر والشعراء.
فالشعراء يقوم شعرهم على الباطل والكذب، ويجاريهم الضالون الزائغون مِن أمثالهم. ألم تر - أيها النبي - أنهم يذهبون كالهائم على وجهه، يخوضون في كل فن مِن فنون الكذب والزور وتمزيق الأعراض والطعن في الأنساب وتجريح النساء العفائف، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، يبالغون في مدح أهل الباطل، وينتقصون أهل الحق؟ وهذا ليس في أسلوب القرآن، فهو لا ينطق إلا بالحق.

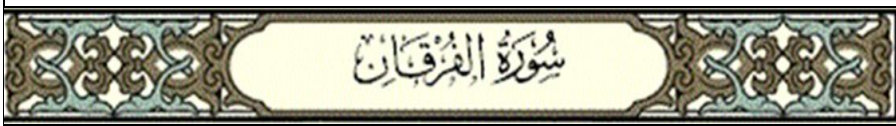

سورة الفرقان تميز بين الحق والباطل، وتصف صفات عباد الرحمن الذين يسيرون على طريق الهدى. تدعو السورة إلى تدبر آيات الله، والحذر من الانغماس في الغفلة والهوى، وتؤكد أن القرآن هو نور وهداية للعالمين.
هذه السورة المكية تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله (ص) وتسرية ، وتطمين له وتقوية وهو يواجه مشركي قريش ، وعنادهم له. لقد اعترض القوم على بشرية الرسول وعلى طريقة تنزيل القرآن، وذلك فوق التكذيب والاستهزاء . ووقف الرسول يواجه هذا كله ، وهو وحيد فريد مجرد من الجاه والمال، ولا يزيد على أن يتوجه إلى الله مبتغيا رضاه ، ولا يحفل بشيء سواه. فهنا في هذه السورة يؤويه ربه إلى كنفه ، ويهون عليه مشقة ما يلقى من عنت القوم وسوء أدبهم وتطاولهم عليه ويتطاولون على خالقهم ورازقهم، ويعده العون والمساعدة في معركة الجدل والمحاجة. وفي النهاية يعرض عليه مصير المكذبين من قبل : قوم موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وما بين ذلك من قرون . ويعرض عليه نهايتهم التعيسة في سلسلة من مشاهد القيامة. ويكلفه أن يصبر ويصابر ، ويجاهد الكافرين بما معه من قرآن ، واضح الحجة قوي البرهان.

الْفُرْقَانَ: الفارق بين الحق والباطل

{13}وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا {14} لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا

وإذا أُلقوا في مكان شديد الضيق من جهنم- وقد قُرِنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم- دَعَوْا على أنفسهم بالهلاك للخلاص منها. فيقال لهم تيئيسًا، لا تَدْعوا اليوم بالهلاك مرة واحدة، بل مرات كثيرة، فلن يزيدكم ذلك إلا غمًّا، فلا خلاص لكم.

{22} يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا

عندما يوم يرون الملائكة عند الاحتضار، ويوم القيامة، فلن تحمل للكافرين أي بشارة، بل لتقول لهم: جعل الله الجنة مكانًا محرمًا عليكم. فهي مُخصصة للمؤمنين.

{39} وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا

تَبَّرْنَا: أهلكنا

وكل الأمم بيَّنَّا لهم الحجج، ووضَّحنا لهم الأدلة، وأزحنا الأعذار عنهم، ومع ذلك لم يؤمنوا، فأهلكناهم بالعذاب إهلاكًا.

{40}وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا

كان المشركون يمرون في أسفارهم على قرية قوم لوط، وهي قرية "سدوم" التي أُهلِكت بالحجارة من السماء، فلم يعتبروا بها، بل كانوا لا يعتقدون بيوم القيامة يجازون فيه.

{45}أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا {46} ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا

الظل هو غياب الضوء في منطقة معينة بسبب وجود جسم يمنع وصول الضوء إليها.

يجب أن نفهم أن الظل والنهار هي ظواهر مرتبطة بحركة الأرض والشمس، وليست كيانات مستقلة. فنرى كيف أن ظل الإنسان يبدأ طويلا تم يتناقص ويوشك أن يختفي عند الظهيرة، وبعدها يزداد طوله تدريجيا (مد الظل)، إلى أن يختفي عند حلول الظلام (قبض الظل). إن استمرار الظل على حالة واحدة يعني سكون الأرض. ولكن الله برحمته لم يشأ ذلك لمصلحة الإنسان.

القرآن هنا يوجهنا إلى التأمل في هذه الظواهر الطبيعية من خلال فهمنا العلمي للكون. تعاقب الليل والنهار، وامتداد الظل هما جزء من النظام الفلكي الذي وضعه الله، وهو مثال حي على كيف أن العلم والقرآن يكملان بعضهما في تقديم صورة واضحة عن الكون.

{50} وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

من نعم الله نزول المطر على الأرض. ويعتمد نزول المطر على بعض الأراضي وعدم نزوله على أخرى على الظروف الجوية لكل منطقة، كالرياح، والغيوم ودرجة الحرارة وغيرها. فليتذكر من سقط عليه المطر نعم الله عليه، وليشكرها. ومن لم يُسقها فليصبر ويدعو الله. ولكن أكثر الناس يأبون إلا أن يجحدوا نعمتنا عليهم.

{51} وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا

ولو شئنا لبعثنا في زمنك - أيها الرسول الكريم - فى كل قرية من القرى نذيرا ينذر أهلها بسوء عاقبة الكفر والجحود، ويكون عونا لك على تحمل أعباء الرسالة التى أرسلناك بها . . . ولكنَّا لم نشأ ذلك تكريما لك وتعظيما لقدرك، حيث خصصناك بعموم الرسالة لجميع فيما يريدونه منك من أمور باطلة " فلا تطع الكافرين "الناس. ما دام الأمر كذلك

أى : بهذا االقرآن،عن طريق قراءته والعمل بما فيه ، وبيان ما " وجاهدهم به "فاسدة اشتمل عليه من دلائل وبراهين على صحة دعدعوتك.

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا

البرزخ هو الحاجز والحد بين شيئين أو مرحلتين.

فمياه النهر العذبة عندما تصب في البحر لا تختلط كلية في مياه البحر المالحة فتفقد عذوبتها، بل بقدرة الله تعالى تتكون منطقة فاصلة بينهما. هذه المنطقة الفاصلة جانبها من ناحية النهر لايزال فيه اتصال بماء النهر وفيه شيء من العذوبة أقل من الأصل. كما أن جانبها من ناحية البحر فيه شيء من الملوحة بدرجة أقل من ملوحة ماء البحر. فكأنها تُمثل مرحلة الانتقال التدريجي من مرحلة إلى أخرى مع بقاء الشيء متصلا بكلا المرحلتين.

{54} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا

استدلال بدقيق آثار قدرة الله في تكوين المياه وجعلها سبب حياة مختلفة الأشكال والأوضاع. ومن أعظمها دقائق الماء الذي خلق منه أشرف الأنواع التي على الأرض وهو نطفة الإنسان بأنها سبب تكوين النسل للبشر، فإنه يكون أول أمره ماء ثم يتخلّق منه البشر العظيم. فجعل من جنس هذا الإنسان ذوى نسب: وهم الذكور الذين ينتسب إليهم بأن يقوالأخوال،ففلان، كما جعل من جنسه - أيضا ذوات صِهْرٍ وهن الالإناث، أنهن موضع الالمصاهرة. والصهر يطلق على أهل بيت المرأة وأقاربها، كالأبوين والإخوة والأعمام والأخوال، فهؤلاء يعتبرون أصهارا لزوج المرأة

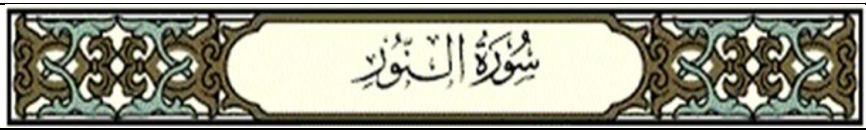

سورة النور ترسي قواعد الطهارة الأخلاقية في المجتمع الإسلامي، وتعرض أحكام العفة، والآداب الاجتماعية، وحقوق الأسرة. تدعو السورة إلى الالتزام بالآداب الشرعية، وتؤكد أن النور الحقيقي هو نور الإيمان الذي يهدي القلوب.

تبدأ السورة بإعلان قوي حاسم عن تقرير هذه السورة وفرضها بكل ما فيها من حدود وتكاليف ، ومن آداب وأخلاق. والمحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية . فتتضمن الإعلان الحاسم الذي تبدأ به ؛ ويليه بيان حد الزنا ، ثم حديث الإفك وقصته. كما تتناول وسائل الوقاية من الجريمة ، وتجنيب النفوس أسباب الإغراء والغواية . فيبدأ بآداب البيوت والاستئذان على أهلها ، والأمر بغض البصر والنهي عن إبداء الزينة للمحارم والتحذير من دفع الفتيات إلى البغاء. وينقلنا النص إلى الحديث عن مجافاة المنافقين للأدب الواجب مع رسول الله ويصور أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم.

{1} سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

هذه سورة عظيمة من القرآن أنزلناها، وأوجبنا العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها دلالات واضحات؛ لتتذكروا- أيها المؤمنون- بهذه الآيات البينات، وتعملوا بها.

لذلك سنعرض عند اللزوم تفصيلا لهذه الأحكام وكيفية تطبيقها

{2} الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ

الزاني اسم فاعل لفعل ثلاثي (زنى)، واسم الفاعل عندما يأت معرَّفاً وفي بدء الجملة يأخذ دلالة الصفة الدائمة للفاعل كعمل يمارسه، فنقول: التاجر للذي مهنته التجارة، والبائع هو الذي مهنته هي البيع، ..... فالزاني هو الذي يمارس الزنا كمهنة. وهذا يعني أن المقصد هو الدعارة التي هي ممارسة الفاحشة كمهنة مأجورة، أو لترويجها في المجتمع بقصد الفساد وشيوع الفاحشة. وهذا النوع هو فاحشة علنية لها عقوبتان أولها عقوبة من صاحب الأمر في الحياة الدنيا، وثانيها عقوبة من الله يوم القيامة. وأما الزنا كفاحشة باطنة فيلزم لإثباتها أربعة شهود يصعب توفرهم، فتبقى عليه العقوبة من الله يوم القيامة.

{3} الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

أولاً لا بد من التفريق بين النكاح والزواج. دلالة كلمة النكاح الأصل بها هو النكاح الذي يشمل الجماع للمرأة كعلاقة جنسية معها، وقد يكون بطريقة شرعية بعقد نكاح يتبعه زواج، أو يكون ممارسة جنسية غير مشروعة. فيمكن القول: كل زواج نكاح وليس العكس. فالآية هنا لا تتكلم عن الزواج.

شرحنا في الآية السابقة معنى الزاني بأنه الذي يمتهن ممارسة الجنس في بيوت الدعارة. كلمة مشرك في هذه الآية اسم فاعل من الفعل أشرك. وحيث السياق في الآية يتحدث عن العلاقات الجنسية، فإن معنى مشرك لا علاقة له بالتدين، بل يعني المشاركة في العمل. فهو وغيره من الرجال يمارسون الجنس مع نفس المرأة، كما هو الحال في بيوت الدعارة.

النص في هذه الآية أتى بصورة إخبارية عن الواقع، حيث أن الزاني لا ينكح إلا زانية مثله سواءبفعله،تمارس العمل أم رضيت بعمل زوجها ودعمته فهي ممثله، والعكس الزانية لا ينكحها إلا زان مثلها سواء مارس المثلها. أو روَّج لها ودعمها ورضي بفعلها فهو مثلهمثلها.لك الرجل المتزوج من امرأة وله عشيقات وخليلات فزوجته من حيث الحكم مثله إذا كانت راضية بفعله ، أو العكس المرأة المتزوجة من رجل ولها عشيق وخليل تشركه فمثلها.ا مع زوجها وهو راض عنها ويدعمها فهو مثلها .

{11} إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ

إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة منتسبون إليكم - معشر المسلمين- لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم، بل هو خير لكم، لما تضمنته هذه الآيات مِن تشريعات بخصوص اتهام المحصنات ومِن تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها، وتمحيص المؤمنين. لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب، والذي كان وراء هذه الاتهامات المُغرضة له عذاب عظيم في الآخرة، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار.

{16} وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ

في هذا عتاب وتحذير وإرشاد. فبدل أن تستمعوا وتروّجوا هذه الشائعات، كان عليكم أن تقولوا: ما يَحِلُّ لنا الكلام بهذا الكذب، تنزيهًا لك – يا رب - مِن قول ذلك على زوجة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كذب عظيم في الوزر واستحقاق الذنب. يذكِّركم الله وينهاكم أن تعودوا أبدًا لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب، إن كنتم مؤمنين

{22}وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ولا يأتل: لا يحلف وأكثر استعمال الإلية في الحلف على امتناع

ولا يحلف أهل الفضل في الدين والسَّعَة في المال على ترك صلة أقربائهم الفقراء والمحتاجين والمهاجرين، ومنعهم النفقة بسبب ذنب فعلوه، ولْيتجاوزوا عن إساءتهم، ولا يعاقبوهم. ألا تحبون أن يتجاوز الله عنكم؟ فتجاوزوا عنهم. والله غفور لعباده، رحيم بهم. وفي هذا الحثُّ على العفو والصفح.

{26} الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

اختلف المفسرون فقال البعض: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء.

واحتار البعض في كيفية التوفيق بين هذا الفهم وبين ما ورد في القرآن من أن سيدنا نوح كانت زوجته كافرة وكذلك نبي الله لوط، وكيف كان فرعون كافراً وزوجته مؤمنة!

وفي تفسير آخر أقرب على الصواب: اعتبر أن الخبيثات تعني الكلمات الخبيثة والطيبات تعني الكلمات الطيبة واستنتجوا ذلك (1) من قوله تعالى "*أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ*" إبراهيم 24. فالكلمة الطيبة مصدرها انسان طيب كالثمرة الطيبة مصدرها شجرة طيبة.

(2)سياق الآيات السابقة تتحدث عن قصة الإفك حيث كان المنافقون يتكلمون بكلام خبيث عن السيدة عائشة رضي الله عنها، وكذلك آية قذف المحصنات بكلام واتهامات .

وعليه، يخبرنا الله تعالى أن الكلمات الخبيثة تصدر عن أناس خبثاء والكلمات الطيبة تصدر عن أناس طيبين. وأتبعها بقوله [أولئك مبرءون مما يقولون] أي أولئك الأفاضل منزهون مما تقوَّله أهل الإفك في حقهم من الكذب والبهتان.

{32} وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

الأيامى هم الذين لا أزواج لهم من الجنسين. . والمقصود هنا الأحرار. وفي ذلك حَضّ على مساعدة العُزّاب من الذكور والإناث على الزواج بتسهيل إجراءاته وتخفيف المهور والتكاليف الأخرى.

43أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا، ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ

ألم تشاهد أن الله سبحانه وتعالى يسوق السحاب إلى حيث يشاء، ثم يجمعه بعد تفرقه، ثم يجعله متراكمًا، فينزل مِن بينه المطر؟ وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في عظمته بَرَدًا، فيصيب به مَن يشاء من عباده ويصرفه عمَّن يشاء منهم بحسب حكمته وتقديره، يكاد ضوء ذلك البرق في السحاب مِن شدته يذهب بأبصار الناظرين إليه.

{45} وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

تُشير هذه الآية إلى بداية خلق الكائنات الحية من خلية في طين الماء، ثم تطورت ونشأ عنها عدة فصائل منها: مَن يمشي زحفًا على بطنه كالحيَّات ونحوها، ومنهم مَن يمشي على رجلين كالبشر، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم ونحوها

{53} وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

وأقسم المنافقون بالله تعالى غاية اجتهادهم في الأيمان المغلَّظة: لئن أمرتنا - أيها الرسول - بالخروج للجهاد معك لَنخرُجن، قل لهم: لا تحلفوا كذبًا، فطاعتكم معروفة بأنها باللسان فحسب، إن الله خبير بما تعملونه، وسيجازيكم عليه.

{56} وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

لقد وردت في مصحف عثمان بالرسم التالي:

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ

لدى البحث في الآيات التي وردت فيها كلمة الصلاة في مصحف عثمان نجد انها تُرسم بحرف الواو لتشير إلى الصلاة الحركية من ركوع وسجود. وعندما تُرسم بحرف الألف فهي تشير الى الدعاء والثناء والاستغفار. ولكن النسخ من القرآن المتداولة على الانترنت تكتبها دائما بحرف الألف مما يؤدي إلى عدم الفهم الصحيح لشمولية معنى الصلاة. والحال كذلك بالنسبة للزكاة. فالزكوة تشير إلى أدائها حسب النسب على المال والممتلكات، بينما رسمها بالألف يُشير إلى معنى الانفاق والصدقات

وهنا طاعة الرسول جاءت منفردة عن طاعة الله لأنها تختص في كيفية أأداء الشعائر فالرسول حدد أوقات إقامة الصلوة، ونصاب الزكوة بمفهومها كإنفاق، والله تعالى أمرنا بطاعة الرسول فيهما، فآلية الصلوة ونسب الزكاة هي اجتهاد من الرسول والله تعالى كلفه بهذا، ولذلك وردت طاعته منفردة في هذه الآية فقط .

61. لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

الآية الكريمة نزلت لتعليم المؤمنين ألوانا متعددة من الآداب التي شرعها الله ويسرها لهم بفضله وإحسانه، حتى يعلموا أن شريعته - سبحانه - مبنية على اليسر لا على االعسر، وعلى التخفيف ورفع االحرج، لا على التشديد والتضييق. فالآية الكريمة قد أجازت الأكل

من هذه البيوت المذكورة، وإن لم يكن فيها أصحابها، ما دام الذين يأكلون يعلمون مسبقا أن صاحب البيت، لا يكره هذا ولا يتضرر منه.
أكل الناس من بيوتهم لم يذكر هنا لنفى حرج كان متوهما - حيث لا يتحرج الإنسان من الأكل في بيته - وإنما ذُكِر لإظهار التسوية بين أكلهم من بيوت أقاربهم وأصدقائهم وبين أكلهم من ببيوتهم. أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَّفَاتِحهُ :أي أو البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أصحابها أثناء غيابهم. وليس عليكم حرج في أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين.
ثم بعد ذلك علمتنا آداب دخول البيوت التي ندخلها للأكل أو لغيره. فإذا دخلتم فسلموا على أنفسكم أي سلموا على أهلها الذين هم بمنزلة أنفسكم.

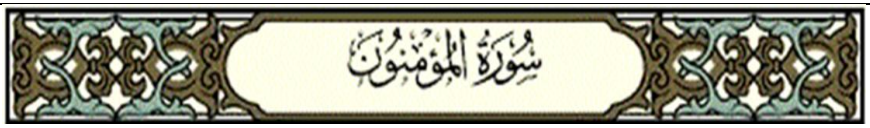

سورة المؤمنون تصف صفات المؤمنين الذين يفوزون بالجنة، وتعرض دلائل التوحيد في الخلق والبعث. تدعو السورة إلى الإيمان الصادق والعمل المخلص، وتحذر من الغفلة عن الآخرة والانشغال بزينة الدنيا.
هذه سورة "المؤمنون . . " اسمها يدل عليها . ويحدد موضوعها . . فهي تبدأ بصفة المؤمنين ، ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق . ثم إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله - صلوات الله عليهم - من لدن نوح - عليه السلام - إلى محمد خاتم الرسل والنبيين ؛ وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها ، ووقوفهم في وجهها ، حتى يستنصر الرسل بربهم ، فيهلك المكذبين ، وينجي المؤمنين . . ثم يستطرد إلى اختلاف الناس - بعد الرسل - في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد . . ومن هنا يتحدث عن موقف المشركين من الرسول]صلى الله عليه وسلم [ويستنكر هذا الموقف الذي ليس له مبرر . . وتنتهي السورة بمشهد من مشاهد القيامة يلقون فيه عاقبة التكذيب ، ويؤنبون على ذلك الموقف المريب ، يختم بتعقيب يقرر التوحيد المطلق والتوجه إلى الله بطلب الرحمة والغفران

1. **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ :**
فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

{53} فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ {54} فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ
الْأُمَمَ الَّذِينَ بُعِثَتْ إِلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاء تفرقوا أحزاباً يَفْرَحُونَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ الضَّلَال لِأَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ، وَلِهَذَا قَالَ مُتَهَدِّدًا لَهُمْ وَمُتَوَاعِدًا، فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتهمْ أَيْ فِي غَيّهمْ وَضَلَالهمْ " حَتَّى حِين " أَيْ إِلَى حِين يأتي مصيرهم وَهَلَاكهمْ. أَيَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْمَغْرُورُونَ أَنَّ مَا نُعْطِيهِمْ مِنْ الْأَمْوَال وَالْأَوْلَاد لِكَرَامَتِهِمْ عَلَيْنَا وَمَعَزَّتهمْ عِنْدنَا؟ كَلَّا لَيْسَ الْأَمْر كَمَا يَزْعُمُونَ، لَقَدْ أَخْطَئُوا فِي ذَلِكَ وَخَابَ رَجَاؤُهُمْ

{71} وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ

ولَوْ أَجَابَهُمْ اللَّهُ إِلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ الْهَوَى وَشَرَعَ الْأُمُور عَلَى وَفْق ذَلِكَ، لَفَسَدَتْ السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمَنْ فِيهِنَّ لِفَسَادِ أَهْوَائِهِمْ وَاخْتِلَافهَا، لذلك أَتَيْنَاهُمْ بِالْقُرْآن ولكنهم أعرضوا عنه.

{99} حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ {100} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ حَال الْمُحْتَضَر مِنْ الْكَافِرِينَ عِنْد الْمَوْت، وَقِيلهمْ عِنْد ذَلِكَ وَسُؤَالهمْ الرَّجْعَة إِلَى الدُّنْيَا لِيُصْلِح الواجِدُ مَا كَانَ أَفْسَدَهُ فِي مُدَّة حَيَاته. أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ الرَّجْعَة، ويأتيهم الجواب: كلا. ويخبرنا سبحانه أن النفس عند تَوَفيها وهي في طريقها إلى مستودع الأنفس في عِلم الله، تمر في حالة تكون حلقة الوصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة (البرزخ)

سورة الحج تجمع بين مشاهد يوم القيامة وشعائر الحج، لتغرس في القلب الإيمان والتسليم لله. تدعو السورة إلى نصرة دين الله، وتذكر أن الدين يقوم على الإخلاص لله وحده، مع الحث على الجهاد في سبيل الحق.

يغلب على السورة موضوعات وجو السور المكية. فموضوعات التوحيد والتخويف من الساعة ، وإثبات البعث ، وإنكار الشرك . ومشاهد القيامة، بارزة في السورة وإلى جوارها المالشرك.المدنية من الإذن بالقتال، وحماية الشعائر، والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يرد العدوان

{1} يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ {2} يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ

{11} وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ .....

{يعبد الله على حرف} تمثيل لحال المتردد في عمله. هذا الصنف من الناس الذي يتالأول، وبذلكق يجعل العقيدة صفقة في سوق التجارة: (فإن أصابه خيرعليه، ببه) وقال: إن الإيمان خخير.وإن أصابفيه.رجع إلى دينه الأول، وبذلك يكون قد خسِرَ الدنيا بالبلاء الذي أصابه فلم يصبر عليه ، ولم يتماسك له ، ولم يرجع إلى الله فيه . وخسر الآخرة بانقلابه على وجهه ، وانكفائه عن عقيدته، وانتكاسه عن الهدى الذي كان ميسرا لله.

{15} مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ

من يفقد ثقته في نصر الله في الدنيا والآخرة ؛ ويقنط من عون الله له في المحنة حين تشتد المحنة . فدونه فليفعل بنفسه ما يشاء. فليمدد بحبل إلى السماء يتعلق به أو يختنق . ثم

ليقطع الحبل فيسقط أو ليقطع النفس فيختنق . . ثم لينظر هل ينقذه تدبيره ذاك مما يغيظه ! فعليك أيها المسلم أن تتحلى بالصبر وأن تؤمن أن وعد الله حق.

{17} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

في قوله تعالى في سورة البقرة آية 120 " **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ.....**، يشير إلى أن اليهودية والنصرانية مِلَل وليست أديان، فالدين عند الله وكما بَلَّغه الأنبياء جميعا هو الإسلام.

تقول آية (آل عمران 67-68):" *﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾*

هناك ثلاث مِلل:

المِلّة الحنيفة (الإبراهيمية): منهج يتحرك وفق الثابت والمتغير بصورة تصاعدية تراكمية، مرتبط بالواقع ويتسم بالانفتاح والمرونة وبالتعايش مع االآخرين. وهو منهج النبي إبراهيم ، ولذلك جعله الله إمام الناس). هذا المنهج يستعمل العقل والمنطق في الحوار والبحث عن الحقيقة .

المِلّة النصرانية: منهج يتبع الآباء، ولا يسمع رأي الآخرين، ولكنه يقبل التعايش مع الآخرين. (من الضالين)

المِلّة اليهودية: منهج يتبع الآباء، عدواني، أحادي، متعالي ومنغلق لا يتعايش مع الآخرين. (من المغضوب عليهم) "لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" الحشر 14

بينت هذه الآية أن الله هو الذي يفصل بين أهل المِلَل وأصحاب المعتقدات والسلوكيات الضالة فيما اختصموا فيه يوم القيامة، فلا داعي للاستمرار في مجادلتهم في الدنيا .

{18} أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ....

خلق الله كل شيء في الكون وفقًا لقوانين دقيقة أبدية. كلٌّ يخضع ويتبع هذه القوانين. كثيرٌ من الناس يخضعون لله طوعًا واختيارًا، لكن كثيرًا ممن يرفضون وينكرون ويتكبرون يستحقون العقاب.

39} أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ {40} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

كان المشركون يُؤذون المؤمنين بمكة أذى شديداً، فكان المسلمون يأتون رسول الله (ص) من بين مضروب ومجروح يتظلمون إليه ، فيقول لهم : اصبروا فإني لم أومَر بالقتال. فلما هاجر نزلت هذه الآية بعد بيعة العقبة إذناً لهم بالتهيُّؤ للدفاع عن أنفسهم. وفي هذه الآية بيان للحالات التي تستوجب القتال: (1) عند وقوع الظلم بغير حق. إن إيمانهم بالله لا ينجر منه اعتداء على غيرهم إذ هو شيء قاصر على نفوسهم والإعلان به بالقول لا يضر بغيرهم. فالاعتداء عليهم بالإخراج من ديارهم لأجل ذلك ظلم بَواح واستخدام للقوة

في تنفيذ الظلم، (2) الدفاع عن النفس إذا اعدى عليهم أحد ليسلب خيراتهم أو ليستولي على أراضيهم أو يخرجهم من ديارهم.
ويتساءل البعض: لماذا لا يتدخل سبحانه وتعالى ويُهلك المشركين كما كان يحصل مع الأمم السابقة؟ ويأتي الجواب بإن البشرية وصلت من القدرة والمعرفة ما يمكنها من التمييز بين الحق والباطل. فترك أمر مجابهة الباطل لتلك الفئة المؤمنة التي عرفت الحق (دفع الله الناس بعضهم ببعض) .

{52} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

قال بعض المفسرين أن المعنى: أن النبي إذا تمنّى هدْي قومه أو حرَص على ذلك فلقي منهم العناد ، وتمنّى حصول هداهم بكل وسيلة، ألقى الشيطان في نفس النبي خاطر اليأس من هُداهم عسى أن يُقْصِّر النبي من حرصه أو أن يضجره، وهي خواطر تلوح في النفس ولكن العصمة تعترضها، فلا يلبث ذلك الخاطر أن ينقشع ويرسخ في نفس الرسول ما كلّف به من الدأب على الدعوة والحرص على الرشد.
ويرى آخرون أن كلمة (تمنى) استعملها العرب بمعنى قرأ. فيكون معنى الآية: إذا قرأ النبي على الناس ما أنزل إليه ليهتدوا به، ألقَى الشيطان في قراءته، أي وسوس في نفوس السامعين ما يناقضه وينافيه، ليُشكك الناس في ما يقرأه الرسول ويتلوه، لكن الله يُبطِلُ كيد الشيطان ويُثَبِّت آياته الواضحات، والله عليم لا تخفى عليه خافية، حكيمٌ في تقديره وأمره.
ويبدو أن هذا التفسير أقرب إلى الصواب حيث توضحه الآية بعدها: {53} *لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ*. فهذا يدل أن الوسوسة تتعلق بالسامعين وليس بالرسول.

{60} ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ

جاءت هذه الآية تعقيبا على قوله تعالى: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير}. وفي ذلك تحديد لقانون العقاب أن يكون مماثلاً للعدوان الواقع عليه أي أن لا يكون أشدّ منه. وشرط هذا النصر أن يكون العقاب قصاصا على اعتداء لا عدوانا ؛ وألا يتجاوز العقاب مثل ما وقع من العدوان دون مغالاة

{67} لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ

يُخْبِر تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ أمة طريقة يمارسون فيها مناسكهم وشعائرهم، فلا تترك لهم المجال لجدالهم في كيفية أداء المناسك التي أرشدك الله إليها. فَلَا تَتَأَثَّر بِمُنَازَعَتِهِمْ لَك وَلَا يصرفك ذَلِكَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَقّ، وَادْعُ إِلَى رَبّك إِنَّك لَعَلَى طَرِيق وَاضِح مُسْتَقِيم مُوَصِّل إِلَى الْمَقْصُود.

سورة الأنبياء تسرد قصص عدد من الأنبياء لتبيّن وحدة رسالتهم ودعوتهم إلى التوحيد. تبرز السورة قرب الحساب، وتدعو الإنسان إلى الاستعداد للقاء الله بالعمل الصالح والتوبة من الغفلة والغرور.

هذه السورة ، مكية تعالج الموضوع الرئيسي الذي تعالجه السور المكية . . موضوع العقيدة . فالعقيدة جزء من بناء هذا الكون ، يسير على نواميسه الكبرى ؛ موجها أنظارهم إلى وحدة النواميس التي تحكمها وتصرفها ، وإلى دلالة هذه الوحدة على وحدة الخالق المدبر ، ثم يوجه مداركهم إلى وحدة النواميس التي تحكم الحياة في هذه الأرض ، وإلى وحدة مصدر الحياة (وجعلنا من الماء كل شيء حي) وإلى وحدة النهاية التي ينتهي إليها الأحياء : (كل نفس ذائقة الموت) وإلى وحدة المصير الذي إليه ينتهون (وإلينا ترجعون)، ومن ثم يستعرض السياق أمة الرسل الواحدة في سلسلة طويلة استعراضا سريعا . والسورة تؤكد: إن هذه الرسالة حق وجد . كما أن هذا الكون حق وجد . فلا مجال للهو في استقبال الرسالة ؛ ولا مجال لطلب الآيات الخارقة ؛ وآيات الله في الكون وسنن الكون كله . توحي بأنه الخالق القادر الواحد ، والرسالة من لدن ذلك الخالق القادر الواحد.

{30} أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

تشير الآية إلى بداية خلق الكون، حيث بدأ من كتلة واحدة، وبقدرة الله وحكمته نم تفجيرها لتتكون السماوات والأرض وباقي الكون. ويخبرنا أن الأساس في بدئ الكائنات الحية هو الماء. سبحان الله يُخبرنا في القرآن ما لا يزال العلم يبحث في تفاصيله حتى يومنا هذا.

{78} وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ {79} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا.....

قصة الحرث التي حكم فيها داود وسليمان، يقول الرواة في تفصيلها : إن رجلين دخلا على داود ، أحدهما صاحب حرث أي حقل وقيل حديقة كرم - والآخر صاحب غنم. فقال صاحب الحرث : إن غنم هذا قد أكلت زرعي ليلا - فلم تبق منه شيئا. فحكم داود لصاحب الحرث أن يأخذ غنم خصمه في مقابل حرثه. ومر صاحب الغنم بسليمان؛ فأخبره بقضاء داود . فدخل سليمان على أبيه فقال: يا نبي الله إن القضاء غير ما قضيت . فقال: كيف ? قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث لينتفع بها ، وادفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود كما كان . ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده. فيأخذ صاحب الحرث حرثه، وصاحب الغنم غنمه. فقال داود: القضاء ما قضيت . وأمضي حكم سليمان . والله اعلم بموضوع القِصة.

وكان حكم داود وحكم سليمان في القضية اجتهادا منهما . وكان الله شهيداً على ذلك

{87} وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

يقْدِر عليه: يضيّق عليه. كما في قوله تعالى:

{*قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ*} سبأ (36)

وقصة ذلك أنَّ النبي يونس أرسل إلى قرية، فدعا أهلها إلى الله فاستعصوا عليه ، فضاق بهم صدرا، وغادرهم مغاضبا، ولم يصبر على معاناة الدعوة معهم . **فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ**

عَلَيْهِ ظانا أن الله لن يضيق عليه الأرض ، فهي فسيحة، والقرى كثيرة، والأقوام متعددون . وما دام هؤلاء يستعصون على الدعوة، فسيوجهه الله إلى قوم آخرين. وظن أنه إذا ابتعد عن المدينة المرسل هو إليها يرسل الله غيره إليهم
وقد وردت تفاصيلها في سورة الصافات.

{95} وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ {96} حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ

قَدْ قُدِّرَ اللهُ أَنَّ أَهْلَ كُلّ قَرْيَة أُهْلِكُوا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا ليستدركوا ما فرَّطوا به.
يفرد السياق هذه القرى بالذكر بعد أن قال : (كل إلينا راجعون) لأنه قد يخطر للذهن أن هلاكها في الدنيا كان نهاية أمرها، ونهاية حسابها وجزائها . فهو يؤكد رجعتها إلى الله، وينفي عدم الرجعة نفيا قاطعا في صورة التحريم لوقوعه .
يرى بعض المفسرين انَّ هذه الآية وصفتْ انتشار ياجوج وماجوج وصفاً بديعاً قبل خروجهم بخمسة قرون فعدوا هذه الآية من معجزات القرآن العلمية والغيبية. ولعل تخصيص هذا الحادث بالتوقيت دون غيره من علامات قرب الساعة قصد منه مع التوقيت إدماجُ الإنذار للعرب المخاطبين ليكون ذلك نُصب أعينهم تحذيراً لذرياتهم من كوارث ظهور هذين الفريقين، ومن التاريخ نرى كيف كان زوال ملك العرب العتيد وتدهور حضارتهم وقوتهم على أيدي ياجوج وماجوج وهم المَغول والتتار

سورة طه تركز على تثبيت قلب النبي (ص)، وتعرض قصة موسى عليه السلام في مواجهة الطغيان. تدعو السورة إلى الصبر والثقة بنصر الله، مع التأكيد على أن هذا القرآن هو رحمة وهدى لمن يخشى الله.

تبدأ هذه السورة المكية وتختم خطابا للرسول (ص) ببيان وظيفته وحدود تكاليفه . . إنها ليست شقوة كتبت عليه ، وليست عناء يعذب به . إنما هي الدعوة والتذكرة ، وهي التبشير والإنذار. وخلالها تعرض قصة موسى عليه السلام من حلقة الرسالة إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر ، مفصلة مطولة. وتعرض قصة آدم سريعة قصيرة ، تبرز فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته وهدايته له . وترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار .

{5} الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

بعد أن أكمل الله الخلق وقدّر كل شيء بدقة، تَولّى موقع الآمر الناهي وصاحب السلطة المطلقة في تدبير أمور الكون

{11} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى {12} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى {13} وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى {14} إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي {15} إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى

لفهم الآيات السابقة نتذكر الآية 51 من سورة الشورى: "*وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ*".
وهكذا نفهم أن الرب/الملك جبريل هو الذي يخاطب موسى. يُبلغ الملك موسى رسالة الله قائلًا: لا إله إلا أنا فاعبدني، وأن الساعة قريبة، حيث يُحاسب كل إنسان على أعماله.

{41} وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي
واِصْطَفَيْتُك وَاجْتَبَيْتُك رَسُولًا لتبليغ رسالتي.

{43} اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {44} فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى
هنا توجيه إلى حامل الدعوة أن يبدأ العرض بأسلوب لين لطيف عسى أن يهتدي المخاطب ولو كان طاغية من أمثال فرعون.

{97} قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ
قَالَ موسى :للسامري: فَاذْهَبْ فَعُقُوبَتك فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَمَاسّ النَّاس وَلَا يَمَسُّونَك (النفي والجلاء عن القوم)، وَإِنَّ لَك مَوْعِدًا يَوْم الْقِيَامَة لَا مَحِيد لَك عَنْهُ،

{111} وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا
يوم القيامة خَضَعَتْ الْخَلَائِق وَذَلَّتْ وَاسْتَسْلَمَتْ لله الْحَيّ الَّذِي لَا يَمُوت ولَا يَنَام، وَهُوَ قَيِّم عَلَى كُلّ شَيْء يُدَبِّرهُ وَيَحْفَظهُ، وَقَدْ خَابَ مَنْ جاء يَوْم الْقِيَامَة ظالِماً، فَإِنَّ الله سَيُؤَدِّي كُلّ حَقّ إِلَى صَاحِبه.

{114} فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا
تَنَزَّه الله سُبحانه وتعالى عن كُلّ نَقْص، الذي هو حَقّ وَوَعْدُه ووعيدُه حَقّ. وَلَا تَعْجَل – أيُّها الرسول- بمسابقة جِبريل في تَلَقّي بِالْقُرْآنِ، بَلْ أَنْصِتْ ، فَإِذَا فَرَغَ الْمَلَك مِنْ قِرَاءَته عَلَيْك فَاقْرَأْهُ بَعْده ،" وَقُلْ رَبّ زِدْنِي مِنْك عِلْمًا.

{123}قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى
يَقُول تَعَالَى لِآدَم، وجماعته ارحلوا من هذا المكان الذي فيه ما لذَّ وطاب تحصلون على كل ما تريدون بدون تعب أو مشقة، إلى مكان أخر واعتمدوا على أنفسكم في معاشكم ، بَعْضكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ - آدَم وَذُرِّيَّته وَإِبْلِيس وَذُرِّيَّته. وسوف يأتيكُم مني تعاليم للهداية عن طريق الْأَنْبِيَاء وَالرُّسُل، فَمَنْ اِتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَة.

{135}قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى
قُلْ يَا مُحَمَّد لِمَنْ كَذَّبَك وَخَالَفَك وَاسْتَمَرَّ عَلَى كُفْره وَعِنَاده، انْتَظِرُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَاب الطَّرِيق الْمُسْتَقِيم وَمَنْ اِهْتَدَى إِلَى الْحَقّ وَسَبِيل الرُّشْد.

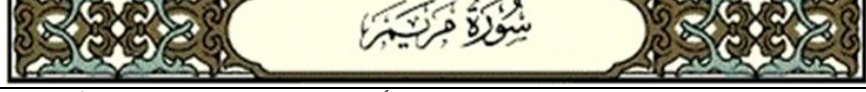

سورة مريم تروي قصصًا متعددة لعدد من الأنبياء مع التركيز على رحمة الله بعباده. تسلط السورة الضوء على معجزة ولادة عيسى عليه السلام، وتدعو إلى الإيمان بوحدانية الله وتنزيهه عن الشريك والولد.

سـورة مريم مكية والقصـص هو مادة هذه السـورة ويسـتغرق حوالي ثلثي السـورة . ويسـتهدف إثبات الوحدانية والبعث ، ونفي الولد والشـريك ، وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين من أتباع النبيين .
والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة والرضـى والاتصـال . فهي تبدأ بذكر رحمة الله لعبده زكريا، ويتكرر لفظ الرحمة ومعناها وظلها في ثنايا السـورة كثيرا ويصـور النعيم الذي يلقاه المؤمنون. وتليها قصة مريم وعيسى لتقرير حقيقة عيسى ابن مريم ، وللفصل في قضية بنوته

{16} وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا {17} فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {18} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا {19} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {20} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا{21} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا

{23} فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا {24} فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا

جاء تعني المجيء بجهد من الشخص نفسه. وبدخول الألف المهموزة صارت أجاء أي حالة ما جعلته يجيء. فالمعنى هنا أن المخاض ألجأها واضطرها اضطرارا إلى الاستناد على جذع النخلة. وهي وحيدة فريدة، تعاني حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء، ولا معين لها في شيء. فإذا هي قالت: (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) فإننا لنكاد نرى ملامحها، ونحس اضـطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها. وهي تتمنى لو كانت (نسيا) أي ليتني كنت شيئاً غير متذكّر وقد نسيه أهله وتركوه فلا يلتفتون إلى ما يحل به. فهي تمنت الموت وانقطاع ذكرها بين أهلها من قبل حصول الحمل.
فناداها المولود: لا تحزني فقد جعل ربُّكِ تَحْتَكِ جَدول ماء، وحرّكي جَذعَ النخلة تتسـاقَطُ عليك رُطباً طريّةً طازِجة،

{28} يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا

فَلَمَّا رَأَوْهَا تحمل المولود اسْتَنْكَرُوهُ جِدًّا، وَقَالُوا يَا مَرْيَم لَقَدْ جِئْت أَمْرًا عَظِيمًا، يا شَبِيهَة هَارُون فِي الْعِبَادَة، أَنْتِ مِنْ بَيْت طَيِّب طَاهِر مَعْرُوف بِالصَّلَاحِ وَالْعِبَادَة وَالزَّهَادَة، فَكَيْف صَدَرَ هَذَا مِنْك؟ ويقال أنهم شبهوها بحلة هارون لأنهم اتهموها بالزنا وكانوا يعتقدون أن هارون ابن زني، وليس أخو موسى من ابيه.

{30} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا

المراد بالكتاب التوراة. فيكون الإيتاء إيتاءَ علم ما في التوراة كقوله تعالى: { يا يحيى خذ الكتاب بقوة} [مريم : 12]

{33} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا

وَالسَّـلَامُ عَلَيَّ: كناية عن تكريم الله عبده بالثناء عليه في الملأ الأعلى وبالأمر بكرامته. ومن هذا القبيل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} [الأحزاب : 56]

فله إذن حياة محدودة ذات أمد. وهو يموت ويبعث. وقد قدر الله له السلام والأمان والطمأنينة يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.
وفيه ردّ على اليهود إذ طعنوا فيه وشتموه في الأحوال الثلاثة، فقالوا: ولد من زنى ، وقالوا : مات مصلوباً، وقالوا: يحشر مع الملاحدة والكفرة، لأنهم يزعمون أنه كفر بأحكام من التوراة

{58} أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا

يَقُول تَعَالَى: هَؤُلَاءِ النَّبِيُّونَ وَلَيْسَ الْمُرَاد الْمَذْكُورِينَ فِي هَذِهِ السُّورَة فَقَطْ بَلْ جِنْس الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمْ السَّلَام، وفي تفسير الطبري وفي تفسير ابن كثير: وَالَّذِي عَنَى بِهِ مِنْ ذُرِّيَّة آدَم هو إِدْرِيس، وَالَّذِي عَنَى بِهِ مِنْ ذُرِّيَّة مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوح هو إِبْرَاهِيم، وَالَّذِي عَنَى بِهِ مِنْ ذُرِّيَّة إِبْرَاهِيم هم إِسْحَاق وَيَعْقُوب وَإِسْمَاعِيل، وَالَّذِي عَنَى بِهِ مِنْ ذُرِّيَّة إِسْرَائِيل هم مُوسَى وَهَارُون وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى اِبْن مَرْيَم.
وقد فهم بعض المفسرين من قوله ذرية إبراهيم واسرائيل أن اسرائيل ليس من ذرية إبراهيم وانه ليس النبي يعقوب كما يدعي الصهاينة. وانه أحد الصالحين الذين حملهم نوح معه.

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (70) وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72)

مشهدًا تفصيليًا لحشر الكافرين والشياطين حول جهنم، وتحديد مصير كل واحد منهم وفقًا لجرمه، وصولًا إلى الآية [وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُها) التي أثارت الكثير من التساؤلات حول شمولية ورود النار لكل الناس، بمن فيهم المؤمنون والمتقون، أم أنها خاصة بالكافرين والشياطين فقط.
في الآية 68 الحديث عن الكافرين والشياطين فقط، ولا ذكر للمؤمنين في هذا السياق.
وفي الآية 69 يُؤكَّد هنا أن الفرز بقوة يتم داخل الكافرين أنفسهم، حيث يُؤخذ أشدهم طغيانًا للبدء بالعقاب. وفي الآية 70 تحديد أن العقوبة تتم وفقًا للجرم، أي أن كل شخص سيأخذ نصيبه وفق استحقاقه. وفي الآية 71 هنا تأتي الآية التي قد يُساء فهمها على أنها تعني ورود النار لكل الناس، ولكن عند تحليل السياق نجد أن الخطاب لا يزال مستمرًا حول الكافرين فقط. وفي الآية 72 النجاة تعني عدم الوقوع في العذاب أصلًا، وليس الخروج بعد الدخول، وهذا دليل واضح على أن المتقين لم تشملهم الآية (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا). الورود في اللسان القرآني لا يعني دائمًا الدخول، بل قد يعني الاقتراب أو المرور من مكان معين

{83} أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا

والاستفهام في {ألم تر} تعجيبي،
{تَؤُزُّهُمْ}: تحركهم تحريكا قويا. وتهزهم هزا شديداً، وتحرضهم على ارتكاب المعاصي والموبقات حتى يقعوا فيها.

والمعنى: ليس عجيباً أن الكافرين الذين اختاروا اتباع السُبُل الضالة، فصاروا مادة خصبة لإغراءات الشياطين التي تبذل جُهدها لتحرضهم على ارتكاب المعاصي

{93} إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا

لاحظ أن النص القرآني يستخدم كلمة عبد يوم القيامة لأن المخلوقات ليس لها إرادة أو حرية وقتئذ. ويستعمل كلمة عباد إشارة لهم في الحياة الدنيا، فالعباد لهم حرية الاختيار. والعباد تشمل العاصي والطائع، كل الناس عباد الله.

سورة الكهف تعرض قصصًا رمزية عن فتنة الدين، والمال، والعلم، والسلطة، لتربية النفس على الثبات أمام الفتن. تدعو السورة إلى التمسك بالإيمان أمام مغريات الدنيا، وتؤكد أن الحق من عند الله وحده.

سورة الكهف مكية . المحور الموضوعي للسورة في بدايتها ونهايتها والذي ترتبط به موضوعاتها ، ويدور حوله سياقها ، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر . وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة .

والقصص هو العنصر الغالب في هذه السورة . ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف ، وبعدها قصة الجنتين ، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس . وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح . وفي نهايتها قصة ذي القرنين. وإلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة ، وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى.

{1} الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا {2} قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا {3} مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا

{7} إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا {8} وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا

إنا بمقتضى حكمتنا - أيها الرسول الكريم - قد جعلنا ما على الأرض من حيوان، ونبات، وأنهار وبنيان. . زينة لها ولأهلها، لنختبرهم عن طريق ما جعلنا زينة للأرض ولأهلها: أيهم أتبع لأمرنا ونهينا، وأسرع فى الاستجابة لطاعتنا، وأبعد عن الاغترار بشهواتها ومتعها . وإنا - أيضا - بمقتضى حكمتنا، لجاعلون ما عليهم من هذه الزينة فى الوقت الذي نريده لنهاية هذه الدنيا، {صعيدا} ، أي : ترابا {جرزا } أي : لا نبات فيه

(9-22) {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا} (10) {إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} {11} فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا

ملخص القصة:

هم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر، فلا حياة لهم في هذا الوسط إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها، وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا القوم ويعبدوا ما يعبدون من الآلهة

على سبيل التقية ويخفوا عبادتهم لله. والأرجح أن أمرهم قد كشف. فلا سبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الله، وأن يختاروا الكهف على زينة الحياة .ويغلبهم النعاس فينامون.
والفتية يستيقظون وهم لا يعرفون كم لبثوا منذ أن أدركهم النعاس. وهكذا نشهد الفتية يتناجون فيما بينهم، حذرين خائفين، لا يدرون أن الأعوام قد مرت، وأن أجيالا قد تعاقبت، وأن مدينتهم التي يعرفونها قد تغيرت معالمها، وأن المتسلطين الذين يخشونهم على عقيدتهم قد دالت دولتهم، وأن قصة الفتية الذين فروا بدينهم في عهد الملك الظالم قد تناقلها الخلف عن السلف؛ وأن الأقاويل حولهم متعارضة؛ حول عقيدتهم، وحول الفترة التي مضت منذ اختفائهم
إن العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث بمثل واقعي قريب محسوس. يقرب إلى الناس قضية البعث. فيعلموا أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة لا ريب فيها.
. وعلى هذا النحو بعث الله الفتية من نومتهم وأعثر قومهم عليهم .
وعلى عادة الناس يتناقلون الروايات والأخبار، ويزيدون فيها وينقصون، ويضيفون إليها من خيالهم جيلا بعد جيل، حتى تتضخم وتتحول، وتكثر الأقاويل حول الخبر ويتجادلون حول عددهم. والعبرة في أمرهم حاصلة بالقليل وبالكثير. لذلك يوجه القرآن الرسول (ص) إلى ترك الجدل في هذه القضية، وبمناسبة النهي عن الجدل في غيب الماضي ، يرد النهي عن الحكم على غيب المستقبل وما يقع فيه.

{35} وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا {36} وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا

نلاحظ بهذه الآيات أمر هام جداً، وصف وضعاً نموذجياً في هذه الحياة الدنيا، وصاحب هذا الوضع النموذجي يختار ويقول {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً} ولكن المهم قوله {مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً} ومن يظن أن (هذه لن تبيد أبداً) فإن الساعة عنده لا معنى لها، لذا قال {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} لأن أي وضع لا يتغير يتطلب شيء أساسي هو اختفاء ظاهرة الموت، وباختفاء ظاهرة الموت تثبت الأشياء كلها، ويصبح للزمن معنى آخر.
فماذا أجابه صاحبه؟ أورد له قانون التطور والتغير فقال له {أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً} أي أن قانون التغير هو القانون الأساسي في هذا الكون، ثم قال {لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً} وصاحب الجنة لم يقل إني أشركت، بل قال {مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً}. وبهذا فإن نكران التطور والتغيير هو من أكبر مظاهر الشرك لأن الثبات لله فقط.

{50} وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ...

كلمة السجود تأتي بعدة معاني حسب السياق الذي يرد فيه:

أ- الوجه المادي للسجود: ظهر بصورة ركوع الإنسان، جاثيًا على ركبتيه إلى أن يصل بوجهه إلى الأرض، ويضع جبهته عليها
ب- الوجه المعنوي للسجود كما هو مستعمل في الآية: ظهر بصورة الخضوع والانقياد لمجموعة من الأوامر،

لاحظ أيضاً الدقة في الصياغة: قلنا للملائكة. استعمل صيغة القول لأن قول الله حق نافذ، والملائكة من طبيعة خلقها أنها طائعة في كل الأحوال.

وعندما تكلم عن الجن، وطبيعة خلق الجِن مثل الإنســـان، أعطاه الله حرية الاختيار بين الطاعة والمعصـــية فاســـتعمل صـــيغة الأمر التي تعني حرية الاختيار إما الطاعة أو المعصية

{53} وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا
ظنوا حسب السياق تعني تحققوا

{61} فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا
الحوت في هذا السـياق تعني القارب الصـغير. والمعنى أن النص يتكلم عن رحلة بحرية وهذا يدل على أن الحوت هو قارب صـــيد يحمل النبي موســـى وفتاه وغداءهم. وعندما وصـل النبي موسـى وفتاه إلى اليابسـة أويا إلى الصـخرة، ونسـي الفتى أن يربط القارب الذي أتيا به، وعندما نزلا منه ترك القارب حيث هو، فسـحب التيار المائي القارب واتخذ سبيله في البحر سرباً،

قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح:
لفهم مقاصد هذه القصة يجب أن ندرك:
* العلم الذي منحه الله للعبد الصـــالح في قوله **(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)** هو علم فيما يتعلق بما هو حاصـــل في الدنيا وليس علم ما سيحصل في المستقبل الذي هو في علم الغيب ولا يعلمه إلا الله.
* العلم لدى موسى عليه السلام هو علم الشريعة بما فيها قوانين العقوبات
والآن لنبحث في الحالات الثلاث الواردة في القصة:

{71} فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا
إســـتفهام موســـى في {أخرقتها} للإنكار. ومحل الإنكار هو العلة بقوله: {لتغرق أهلها } وتأكيد إنكاره بقوله: {لقد جئت شيئاً إمراً} . أي شيئا عجيبا فظيعا. ولم يجعله نكراً كما في الآية بعدها لأن الغرق عمليا لم يحصل.
وفي شـرح العبد الصـالح يتبين أن لديه علم بأن هناك ملك ظالم لديه الآن فريقا في البحر يغتصـب السفن والقوارب من أصـحابها دون حق. لذلك خرقتها كي لا تقوم الآن بالإبحار والتعرض للمصـادرة. فضـرر خرقها أقل من ضـرر مصـادرتها. فالقرار كان من العبد الصـالح وحده **(فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا)** بناء على علمه سـواء كان من واقع مشـاهداته أو علما ألهمه الله به.

{74} فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا
فانطلقا **حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ** فكانت المبادرة بقتل الغلام عند لقائه أسـرع من المبادرة بخرق السفينة حين ركوبها. واستعمال كلمة لقيا تعني ان اللقاء لم يكن صُدفة، وان العبد الصـالح لديه معلومات عن هذا الغلام الشرير، سواء من معايشته في البلدة أو بإيحاء من الله بأن هذا الغلام شـرير عاق لوالديه فقتله، فاعترض موسـى بشـدة معتبرا أن قتل نفس بغير حق نكراً، وهو الذي تنكره العقول وتسـتقبحه، فهو أشـد من الشـيء الإمْر، لأن هذا

فساد حاصل فقد تمَّ القتل، والآخر ذريعة فساد فالسفينة لم تغرق. وكان العبد الصالح متأكدا أن موسى سيتفهم الموقف لو عرف حقيقة هذا الغلام لأنه حسب قانون الجزاء في شريعة موسى، أن عقوق الوالدين يستوجب القتل. لذلك وردت كلمة **فَأَرَدْنَا.**

{82} وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

وقد أسند الإرادة في قصة الجدار إلى الله تعالى دون القصتين السابقتين لأن العمل فيهما كان من شأنه أن يسعى إليه كل من يقف على سرّه، لأن فيهما دفع فساد عن الناس، بخلاف قصة الجدار فتلك كرامة من الله لأبي الغلامين. فهذه رحمة الله التي اقتضت هذا التصرف. وهو أمر الله لا أمره هو. فقد أطلعه على الغيب في هذه المسألة وفيما قبلها، ووجهه إلى التصرف فيها وفق ما أطلعه عليه من غيبه. وهكذا ترتبط - في سياق السورة - قصة موسى والعبد الصالح، بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله، الذي يدبر الأمر بحكمته، وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر، الواقفون وراء الأستار، لا يكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار. .

قصة أصحاب الكهف والرقيم تمثل دعوة للتأمل في القيم الروحية والإنسانية. بتركيزه على العبرة وإغفاله التفاصيل التاريخية، يعكس القرآن رسالته الخالدة: أن الإيمان والثبات والتوكل على الله هي القيم التي يحتاجها الإنسان في مواجهة تحديات الحياة. سواء كانت القصة حقيقية أو رمزية، يظل الهدف الأساسي منها هو تعليم الإنسان وتذكيره بعظمة الله ورحمته.

الدرس المستفاد هو أنه إذا شعر شخص أو مجموعة من الناس بالظلم وعجزوا عن مواجهته، فبإمكانهم الرحيل عن هذه البيئة والتوجه إلى مكان آخر يشعرون فيه بالأمان لممارسة معتقداتهم. وقد طُبّق هذا المفهوم في حالة النبي صلى الله عليه وسلم ومكة المكرمة، حيث أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة المنورة هربًا من الضغوط في مكة.

العبر والعظات من قصة موسى والعبد الصالح

1. أن الإنسان مهما أوتي من العلم فعليه أن يطلب المزيد
2. أن الرحلة في طلب العلم من صفات العقلاء؛ فموسى -وهو من أولي العزم من الرسل- تجشم المشاق والمتاعب لكي يلتقي بالعبد الصالح؛ لينتفع بعلمه، وصمم على ذلك مهما كانت العقبات. وهذا دأب العلماء
3. أن العلم قسمان: علم (مكتسب) يدركه الإنسان باجتهاده وتحصيله بعد عون الله له، وعلم يهبه الله لمن شاء من عباده (علمناه من لدنا علما} (الكهف:65).
4. أن على المتعلم أن يخفض جناحه للمعلم، وأن يخاطبه بأرق العبارات وألطفها، حتى يحصل على ما عنده من علم
5. يجوز دفع الضر الأكبر بارتكاب الضرر الأقل، وهذا واضح من خلال فعل الخضر في الأحداث الثلاثة: خرق السفينة، قتل الغلام، إقامة الجدار.
6. أن التأني في الأحكام، والتثبت في الأمور، ومحاولة معرفة العلل والأسباب كل ذلك يؤدي إلى صحة الحكم

7. أن من دأب العقلاء والصالحين الأدب مع الله تعالى في التعبير؛ فالخضر أضاف (خرق السفينة) إلى نفسه (فأردت أن أعيبها) وأضاف الخير الذي فعله من أجل الغلامين اليتيمين إلى الله (فأراد ربك)

83} وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا{84} إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا {85} فَأَتْبَعَ سَبَبًا

السائلون هم بلا شك قريش، بتحريض من زعماء اليهود. والشخص الذي يُسأل عنه هو قصة رجل من كبار رجال العالم، يُعرف بذي القرنين. كانت قصص حياته غامضة على عامة الناس، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن التحقق منها وتفصيلها.

كان أحبار اليهود وحدهم من يملكون معرفة عامة بهذه المسائل الثلاث، وكانت من أسرارهم. فاختبروا نبوة محمد عليهم السلام. وقوله: "ذكره" تنبيه على كثرة أحواله وقصصه، وقصته في القرآن الكريم لا تتناول إلا بعض أحواله التي تُفيد في ذكرها والأخذ بالعبر منها. ولكن من هو ذو القرنين؟ لم يذكر القرآن اسمه ولا الأماكن التي سلكها. والأرجح أنه رجل صالح وهبه الله مهارات ومعارف خاصة للسير في الأرض. وهو شبيه بالرجل الصالح في قصة موسى عليه السلام.

معنى التمكين في الأرض هو منحه المعرفة والقدرة على الفعل والاكتشاف. والمقصود بالأرض أهلها في أرض معينة، وهي أرض مملكته. كما في قوله تعالى: {وكذلك مكنا ليوسف في الأرض}. و{كل شيء} هنا للدلالة على أشياء كثيرة. أي: أعطيناه الوسائل لفعل أمور عظيمة كثيرة.

{86} حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا

غروب الشمس هو المكان الذي يرى فيه الراصد غروب الشمس خلف الأفق.

عَيْنٍ حَمِئَةٍ: عين اختلط ماؤها بالطين، فجعله نجسًا. كلمة "قوم" غير المحددة تدل على أنهم أمة مجهولة، لا تُعرف عقائدها ولا سلوكها. الله أعلم بهم وبموقعهم.

{90} حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا

المطلع لا يعني طلوع الشمس، وإلا لكانت الكلمة الصحيحة (مشرق). يدل السياق على أنها أرض تظل الشمس فيها ساطعة باستمرار معظم أيام السنة، فلا يأتي الليل ليُظللها. وقد وضعها الجغرافي الإسلامي القديم، مثل الإدريسي، بالقرب من القطب الشمالي في أطلسه الإسلامي.

{93} حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا{94} قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا

سلك طريقًا آخر في رحلته حتى وصل بين جبلين معروفين. وسكانهما يتكلمون لغةً تختلف عن لغات الأمم المعروفة آنذاك. وشكوا إليه خطرًا يحيط بهم من يأجوج ومأجوج، فطلبوا منه بناء سدٍّ بينهم.

قال: السد لا يكفي في هذه الحالة، لأنه مجرد حاجز يمنع حركة شيء ما في اتجاه معين. وهكذا سنصنع ردمًا. الردم في اللغة العربية يعني التسوية بين الجبلين لمنع الوصول من

أي جهة. اعتبر بعض العلماء يأجوج ومأجوج قوتين شريرتين. ويعتقدون أن هذه النبوءة حدثت بالفعل في أواخر القرن السادس الهجري، بعد أن تشتتت المملكة العربية على يد المغول والتتار عقب غزو جنكيز خان.

يرى بعض العلماء المعاصرين أنها ليست بشرًا، بل ظواهر الزلازل والبراكين التي ستثور قبل يوم القيامة. ويستشهدون بآيات من القرآن الكريم تتحدث عن أحداث ما قبل يوم القيامة، مثل: انشقاق الأرض، واختفاء الجبال، وفيضان البحار، ونيران انفجارات المحيطات. ويقولون إن كل هذه نتائج الزلازل والبراكين.

لا تزال هناك أسئلة وتأويلات كثيرة: من هم يأجوج ومأجوج؟ أين هم الآن؟ ماذا حدث لهم، وماذا سيحدث لاحقًا؟ جميع هذه الأسئلة يصعب الإجابة عليها بشكل قاطع، فنحن لا نعلم إلا ما ورد عنهم في القرآن دون تفصيل. الحقيقة المطلقة عند الله.

العبر المستفادة من قصة ذو القرنين

* يدلُّ على أن العمل الصالح مذكور عند الله قبل أنْ يُذكَرَ عند الخلق. فأيُّ ذكْر أبقى من ذكر الله لخبر ذي القرنين وتاريخه؟
* الله أعطى الناس الأسباب الموصلة فمنهم من ينتفع ومنهم من لا ينتفع. ولكن هذا الرجل الصالح انتفع (فَأَتْبَعَ سَبَباً) وجال في الأرض
* على المسلم أن يكون حريصاً على عمل الخير، وان لا يتوانى عن بذل الجهد في نَفْع القوم وهدايتهم.
* إن أهل الصلاح والإخلاص يحرصون على إنجاز الأعمال ابتغاء وجه الله، دون انتظار مقابل أو عوض دنيوي من الناس،
* لقد جمع ذو القرنين إلى جانب العلم النافع والخبرة الدقيقة والمهارة الفائقة والإمكانات الهائلة؛ التواضعَ الرفيعَ والإيمانَ العميقَ والنفْسَ الراضية العفيفةَ، والأياديَ السخيةَ النظيفةَ،

سورة الإسراء تفتتح بذكر رحلة الإسراء المعجزة، وتؤكد مسؤولية الإنسان عن أعماله. تعرض السورة مجموعة من الوصايا الأخلاقية والاجتماعية، وتحذر من اتباع الهوى والغرور، وتؤكد أن هذا القرآن هدى ورحمة للمؤمنين.

سورة الإسراء مكية ، تبدأ بتسبيح الله وتنتهي بحمده ؛ وتضم موضوعات شتى معظمها عن العقيدة ؛ وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة ؛ إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء . وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان . وتتكلم عن شخص الرسول (ص) وموقف القوم منه والقرآن الذي جاء به ، وطبيعة هذا القرآن ، وما يهدي إليه ، واستقبال القوم له. وإلى امتياز الرسالة المحمدية بطابع غير طابع الخوارق الحسية

وما يتبعها من هلاك المكذبين بها . وإلى تقرير التبعة الفردية في الهدى والضلال الاعتقادي ، والتبعة الجماعية في السلوك العملي في محيط المجتمع .
وقد ردت السورة الكريمة على إيذاء المشركين للرسول ، وتطاولهم عليه ، وتعنتهم معه ، كمطالبتهم إياه بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعا ، بما يسلي الرسول (ص) ويثبته ، ويرفع منزلته ، ويعلي قدره . . . في تلك الفترة الحرجة من حياته التي أعقبت موت زوجه السيدة خديجة –رضي الله عنها- وموت عمه أبي طالب. .

{1} سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

وتذكر صفة العبادية: (أسرى بعبده) لتقريرها وتوكيدها في مقام الإسراء والعروج إلى الدرجات التي لم يبلغها بشر؛ وذلك كي لا تنسى هذه الصفة، ولا يلتبس مقام العبادية، بمقام الألوهية، كما التبسا في العقائد المسيحية بعد عيسى عليه السلام، بسبب ما لابس مولده ووفاته. واتفق الجميع على أن قريشاً استوصفوا من النبي علامات في بيت المقدس وفي طريقه فوصفها لهم كما هي، ووصف لهم عيراً لقريش قافلة في طريق معين ويوم معين فوجدوه كما وصف لهم .
وقد اختلف السلف في الإسراء أكان بجسد رسول الله من مكة إلى بيت المقدس أم كان بروحه في رؤيا هي مشاهدة رُوحانية كاملة وقالت عائشة ومعاوية والحسن البصري وابن إسحاق رضي الله عنهم أنه إسراء بروحه في المنام ورؤيا الأنبياء وحي .

فالله سبحانه وتعالى أبطل الخوارق الحسية المشخصة كبراهين على صدق الأنبياء بنزول القرآن على سيدنا محمد (ص) فصارت آياته براهين على ان ما ينطق به هو وحي من الله. وليس صدفة أن تأتي الآية اللاحقة على ذكر موسى تذكيرا بانتهاء الخوارق بعده، وتُبيّن أن عملية الإسراء ليست جسدية ولا نفسانية، فالنفس كما قال تعالى لا تغادر الجسد إلا في حالة الموت.
وفي رأيي (والله أعلم) أن جبريل عليه السلام بأمر من الله أراد أن يُقوي إيمان سيدنا محمد، وبدلا عن البراهين الحسية، أوحى إلى دماغ النبي صورا عن آيات ربه في الآفاق وفي أحداث يوم القيامة، من رؤية الأنبياء والجنة والنار وغيرها من الآيات، وتم تخزين هذه الصور في ذاكرة النبي ليروي للناس ما عُرِضَ عليه. (والله أعلم).

{2} وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا {3} ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا

في هذه الآيات جواب على من هم بني إسرائيل؟ فيقول النص: هم ذرية من حملنا مع نوح ، وحيث ورد في آية أخرى *({58} أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا.)* مما يدل على أن اسرائيل العبد الشكور هنا هو من كان محمولا مع سفينة نوح. وهذا ينفي مقولة أن إسرائيل هو النبي يعقوب

{4} وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا..... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا} (5)

عطف على جملة {وآتينا موسى الكتاب} [الإسراء: 2] ، أي آتينا موسى الكتاب هُدى، وبينا لبني إسرائيل في الكتاب ما يحل بهم من جراء مخالفة هدي التوراة، إعلاماً لهذه الأمة بأن الله لم يدخر أولئك إرشاداً ونصحاً. ويجوز أن يكون الكتاب بعض كتبهم الدينية من الأسفار المسماة بكتب الأنبياء. فالمرة الأولى هي مجموع حوادث متسلسلة تسمى في التاريخ بالأسر البابلي وهي غزوات (بختنصر) مَلِك بابل وأشور بلاَد أورشليم. وكلمة عباد لا تعني بالضرورة أن يكونوا مسلمين او مؤمنين، فكل الناس عباد الله.

{ ولتعلن علوا كبيراً} في الطغيان والعصيان كقوله: {إن *فرعون علا في الأرض*} [القصص : 4]

{7} ..... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا

وأما المرة الثانية فهي سلسلة غزوات الرومانيين بلادَ أورشليم آخرها سنة 135 للمسيح. وبذلك انتهى أمر اليهود وانقرض، وتفرقوا في الأرض ولم تخرج أورشليم من حكم الرومان إلا حين فتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب سنة 16 هجرية صلحاً مع أهلها وهي تسمى يومئذٍ (إيلياء) .

{13} وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا

وطائر كل إنسان ما يطير له من عمله، أي ما يقسم له من العمل، وهو كناية عما يعمله. وإلزامه له في عنقه تصوير للزومه إياه وعدم مفارقته؛ على طريقة القرآن في تجسيم المعاني وإبرازها في صورة حسية. فعمله لا يتخلف عنه وهو لا يملك التملص منه. وكذلك التعبير بإخراج كتابه منشورا يوم القيامة. فهو يصور عمله مكشوفا، لا يملك إخفاؤه، أو تجاهله أو المغالطة فيه

{16} وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا بِطاعة الله وتوحيده وتصديق رُسُلِه – وغَيْرُهم تَبَعٌ لهم – فَعَصوا أَمْرَ رَبِّهم وكَذَّبوا رُسُله، فَحَقَّ عليهم العَذاب والهلاك.

ويرى بعض المفسرين أن أَمَرَ تأتي أيضا في اللغة بمعني أكثَرَ. فيصبح معنى الآية: إذا كثر المترفين الفاسدين في قرية وأصبحوا طبقة واسعة من المجتمع فإنها تستحق الدمار.

{58} وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا

جاء معنى القرية في التنزيل الحكيم، على أنها أي تجمع سكاني في منطقة جغرافية ما بغض النظر عن عدد السكان والمساحة، يتفق أفراده على اتباع سلوك واعي موحد يجمع بينهم، والتمسك به والثبات عليه. فهذا السلوك الواعي المتفق عليه من أهل القرية يمثّل الأحادية. وهو السبب في هلاك القرى كما جاء في التنزيل الحكيم، وقد وصف التنزيل

الحكيم هذا السلوك بالظلم والكفر والشرك، وقد توعد الله بهلاك القرى الظالمة والمشركة إما بتدخل إلهي من خارجها، أو بسبب طبقة المترفين فيها التي تتسبب في دمارها.

{60} وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا

يَقُول تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَرِّضًا لَهُ عَلَى إِبْلَاغ رِسَالَته وَمُخْبِرًا لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ عَصَمَهُ مِنْ النَّاس، وما جعلنا الرؤية التي أريناك إياها ليلة الإسراء من العجائب إلا اختبارا للناس ليتبين المؤمن من الكافر، وما جعلنا شجرة الزقوم التي ورد ذِكرها في القرآن إلا ابتلاء للناس ولِنُخوّف المشركين بالعذاب فلا يزيدهم التخويف إلا تمادياً في الكُفْر والضلال.

يتوقف بعض المفسرين عند كلمة الرؤيا ليستدل أن رحلة الإسراء والمعراج لم تكن جسدية، وانما كانت من الرؤى الصالحة للأنبياء (والله أعلم). مستشهدين بالآيات:

- قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {١٠٥ الصافات}
- لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا {٢٧ الفتح}
- وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي ...{١٠٠ يوسف}

{62} قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا

أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي شَرَّفْته وَعَظَّمْته عَلَيَّ، لَئِنْ أَنْظَرْتنِي لَأُضِلَّنَّ ذُرِّيَّته إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ. ونلاحظ هنا تعبير إبليس بقوله " لَأَحْتَنِكَنَّ" فكأنَّ إبليس سيضع لِجاما في أعناقهم ويجُرُّهم كما تُجرُّ الدواب وراء صاحبها إلى حيث أراد.

{64} وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا

أن الله في هذه الآية يذكُر الوسائل التي يستخدمها إبليس في إضلال الناس وتشمل :

- حُبُّ الشهرة: استفزز بصوتك أي اعمل أي شيء (ولو كان من المحرمات) من اجل الحصول على الشهرة. فلانٌ ذائعُ الصِّيت: له شهرة واسعة
- حب القوة والسلطة: بخيلك ورجلك. اعمل أي شيء (ولو كان من المحرمات) في سبيل الوصول إلى السلطة والحفاظ عليها
- حب الأولاد والأموال: وشاركهم في الأموال والأولاد: شاركهم بمعنى انصب لهم شَرَكاً ومكائد، مستغلا حبهم للأولاد وجمع المال، وزيّن لهم أي عمل (ولو كان من المحرمات) يؤدي إلى رفاهية أولادك وزيادة ثروتك

{85} وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

فالروح في التنزيل الحكيم هي واسطة تنزيل المعلومات والأوامر إلى الإنسان (الوحي) وهي المعرفة والتشريع من أوامر ونواهي. لكن ما نعلمه يبقى قليلاً نسبة لعلم الله المطلق.

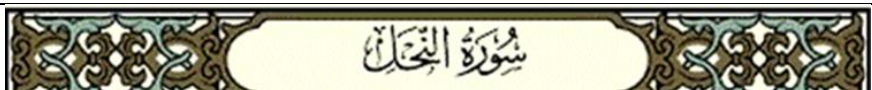

سورة النحل تستعرض نعم الله الكثيرة على الإنسان وتدعو إلى شكره وعدم كفره. تذكر السورة دلائل التوحيد في الكون، وتحث على العدل والإحسان، كما تبين أن الحق ثابت لا يتغير مهما واجه من معارضة وجحود.

كسائر السور المكية تعالج موضوعات العقيدة الكبرى : الألوهية . والوحي . والبعث. وتلم بحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين إبراهيم - عليه السلام - ودين محمد (ص) وتلم بحقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال ، وبوظيفة الرسل ، وسنة الله في المكذبين لهم . كما تلم بموضوع التحليل والتحريم وأوهام الوثنية حول هذا الموضوع . وتلم بالهجرة في سبيل الله ، وفتنة المسلمين في دينهم إضافة إلى موضوعات المعاملة : العدل والإحسان والإنفاق والوفاء بالعهد ، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة .

{28} الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

الملائكة تتوفاهم ظالمين لأنفسهم بما حرموها من الإيمان واليقين، وبما أوردوها موارد الهلاك ، وبما قادوها في النهاية إلى النار والعذاب. يرسم مشهدهم في ساعة الاحتضار وهم قريبو عهد بالأرض ، وما لهم فيها من كذب ومكر وكيد. إلقاء السَلَم أوّل مظاهره القول الدّال على الخضوع. يقولون ذلك للملائكة الّذين ينتزعون أرواحهم ليكفّوا عنهم تعذيب الانتزاع،

{64} وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

فوظيفة الكتاب الأخير والرسالة الأخيرة (القرآن) هي الفصل فيما شجر من خلاف بين أصحاب الكتب السابقة وطوائفهم. . إذ الأصل هو التوحيد، وكل ما طرأ على التوحيد من شبهات وكل ما شابه من شرك في صورة من الصور، ومن تشبيه وتمثيل. . كله باطل جاء القرآن الكريم ليجلوه وينفيه. وليكون هدى ورحمة لمن استعدت قلوبهم للإيمان وتفتحت لتلقيه.

{68} وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

الوحي : الكلام الخفيّ والإشارة الدّالة على معنى كلاميّ. ومنه سمّي ما يلقيه المَلَك إلى الرسول وَحْياً لأنه خفيّ عن أسماع الناس.

وأطلق الوحي هنا على التكوين الخفيّ الذي أودعه الله في طبيعة النحل، بحيث تنساق إلى عمل منظّم مرتّب بعضه على بعض لا يختلف فيه آحادها، تشبيهاً للإلهام بكلام خفيّ

{75} ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

والمثل مأخوذ من واقعهم، فقد كان لهم عبيد مملوكون، لا يملكون شيئا ولا يقدرون على شيء . وهم لا يساوون بين العبد المملوك العاجز والسيد المالك المتصرف. فكيف يساوون بين سيد العباد ومالكهم وبين أحد أو شيء مما خلق

{76} وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

خلق . والمثل الثاني يصور الرجل الأبكم الضعيف البليد الذي لا يدري شيئا ولا يعود بخير . والرجل القوي المتكلم الآمر بالعدل، العامل المستقيم على طريق الخير. ولا يسوي عاقل بين هذا وذاك. فكيف تمكن التسوية بين صَنم أو حجر ، وبين الله سبحانه وهو القادر العليم الآمر بالمعروف ، الهادي إلى الصراط المستقيم ؟

{92} وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

تشدَّد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها أبدا، لأنها قاعدة الثقة التي ينفرط بدونها عقد الجماعة ويتهدم. فمثل من ينقض العهد مثل امرأة حمقاء ضعيفة العزم والرأي ، تفتل غزلها ثم تنقضه وتتركه مرة أخرى قطعا منكوثة ومحلولة !

{93} وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

لو شاء الله لخلق الناس باستعداد واحد، ولكنه خلقهم باستعدادات متفاوتة، نسخا غير مكررة ولا معادة ولما كانت لهم حرية في الاختيار، وجعل نواميس للهدى والضلال، تمضي بها مشيئته في الناس. وكل مسؤول عما يعمل.

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ: فالذي اختار سبيلا يؤدي إلى الضلال، فالطريق على ذلك مفتوح امامه، ولو تدخّل الله لِصدِّه عن هذا الطريق لكان ذلك تدخُّلا في حريته.

وَلَتُسْأَلُنَّ: والسؤال: كنية عن المحاسبة، لأنه سؤال حكيم تترتّب عليه الإنارة وليس سؤال استطلاع

94} وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ...

يمضي السياق في توكيده للوفاء بالعهود، ونهيه عن اتخاذ الأيمان للغش والخديعة ، وبث الطمأنينة الكاذبة للحصول على منافع قريبة من منافع هذه الدنيا الفانية .

{95} وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

الثمن القليل هو ما يعدهم به المشركون إن رجعوا عن الإسلام من مال وهناء عيش .

وهذا نهي عن نقض عهد الإسلام لأجل ما فاتهم بدخولهم في الإسلام من منافع عند قوم الشّرك

{101} وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

إن الله الذي خلق البشر عليم بما يصلح لهم من المبادئ والشرائع. فإذا بدل آية انتهى أجلها واستنفدت أغراضها، ليأتي بآية أخرى أصلح للحالة الجديدة التي صارت إليها الأمة ، وأصلح للبقاء بعد ذلك الدهر الطويل الذي لا يعلمه إلا هو ، فالشأن له ، ومثل آيات هذا الكتاب كمثل الدواء تعطى للمريض منه جرعات حتى يشفى ، ثم ينصح بأطعمة أخرى تصلح للبنية العادية في الظروف العادية.

فالتبديل في قوله تعالى : { بدلنا } هو التعويض ببدل، أي عَوَض. (والتعويض لا يعني النسخ الذي يحصل بنسخ حكم ورد في الكتب السابقة)

{116} وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ {117} مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

بيَّن في الآيات السابقة حد الحلال والحرام الذي شرعه الله في المطعومات، فلا تخالفوه اتباعا لأوهام الوثنية، ولا تكذبوا فتدعوا تحريم ما أحله الله. فالتحريم والتحليل لا يكونان إلا بأمر من الله. فهما تشريع. والتشريع لله وحده لا لأحد من البشر. وما يدعي أحد لنفسه حق التشريع بدون أمر من الله إلا مفتر ، والمفترون على الله لا يفلحون فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَة . أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَمَتَاع قَلِيل، وَأَمَّا فِي الْآخِرَة فَلَهُمْ عَذَاب أَلِيم.

{124}إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

فأما تحريم السبت فهو خاص باليهود الذين اختلفوا فيه، وليس من ديانة إبراهيم، وليس كذلك من دين محمد السائر على نهج إبراهيم ، وأمرهم موكول إلى الله

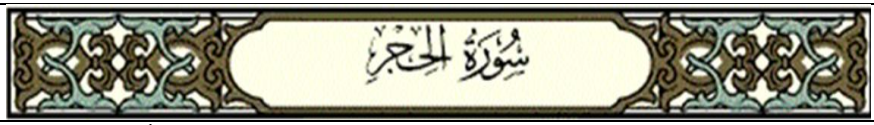

سورة الحجر تؤكد على حفظ القرآن من التحريف، وتعرض نماذج من الأمم السابقة التي كذبت بالحق فهلكت. تدعو السورة إلى التمسك بالوحي رغم تكذيب المكذبين، وتذكر برحمة الله الواسعة التي لا ينالها إلا المؤمنون المخلصون.

هذه السورة مكية بجملتها ، نزلت بعد سورة يوسف ، في الفترة الحرجة ، ما بين "عام الحزن " وعام الهجرة . اشتد استهزاء قريش بدعوته ؛ كما اشتد إيذاؤها لصحابته . . فجاء القرآن الكريم في هذه الفترة يهدد المشركين المكذبين ويتوعدهم ؛ ويكشف للرسول (ص) عن علة تكذيبهم وعنادهم ؛ وهي لا تتعلق به ولا بالحق الذي معه ، لكنها ترجع إلى العناد الذي لا تجدي معه الآيات البينات. وتؤكد على سمة الواقعية الحركية في القرآن، لأنها مفتاح التعامل مع هذا الكتاب وفهمه وفقهه وإدراك مراميه وأهدافه

{7} لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {8} مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ

. والرد على ذلك التهكم وتلك الوقاحة وهذا الجهل، هو ذكر القاعدة التي تشهد بها مصارع السالفين: أن الملائكة لا تنزل على الرسول إلا لهلاك المكذبين من قومه حين ينتهي الأجل المعلوم ؛ وعندئذ فلا إمهال ولا تأجيل

14. وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ

{89} وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ {90} كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ {91} الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ{92} فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {93} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

يَأمُر تَعَالَى نَبِيّه أَنْ يَقُول لِلنَّاسِ إِنِّي نَذِير لِلنَّاسِ أَوَضّــح لهم طريق الهداية، وأحذِّرهم مِنْ عَذَاب أَلِيم أَنْ يَحِلّ بِهِمْ كَمَا حَلَّ بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنْ الْأُمَم الْمُكَذِّبَة لِرُسُلِهَا، وعلى الذين قَسَّموا القُرآن فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه الآخر، وكُلَّما كَذَبوا أقسَموا بِأغلَظ الأقسام. ثُمَّ يؤَكِّدُ تعالى أَنَّه سيُحاسب الْعِبَاد كُلّهمْ يَوْم الْقِيَامَة عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَعَنْ مَاذَا أَجَابُوا الْمُرْسَلِينَ.
و { عضين } جمع عضة، والعضة : الجزء والقطعة من الشيء

97. وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِــيقُ صَــدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ 98. فَسَــبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ99. وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

ســورة إبراهيم تبرز رســالة جميع الأنبياء وهي دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الطاغوت. تصور السورة مشاهد من أهوال يوم القيامة، وتدعو إلى شكر نعم الله، كما تسلط الضوء على دعاء إبراهيم عليه السلام لأمته ولذريته.

هذه السورة مكية ، موضوعها الأساسي هو موضوع السور المكية الغالب : العقيدة في أصولها الكبيرة : الوحي والرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء . ولكن حقيقتين كبيرتين تظللان جو السورة كلها . وهما الحقيقتان المتناسقتان مع ظل إبراهيم في جو السورة : حقيقة وحدة الرسالة والرسل ، ووحدة دعوتهم ، ووقفتهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله على اختلاف الأمكنة والأزمان . وحقيقة نعمة الله على البشر وزيادتها بالشكر ؛ ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران.

1 الر ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِــرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ

{15} وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ

الاستفتاح: طلب الفتح وهو النصر ، قال تعالى : { إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح } [سورة الأنفال : 19].
وطَلَبَت الرُّسُـلُ النُصْـرَة مِن رَبّهَا عَلَى قَوْمهَا فاسـتَجاب لهم، وَخَابَ كُلُّ مُتَجَبِّر فِي نَفْسـه عَنِيد مُعَانِد لِلْحَقّ، ويجوز أن يكون ضــمير {اســتفتحوا} عائداً على الذين { كفروا }، أي وطلبوا النصر على رسلهم فخابوا في ذلك.

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْــتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِــفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ

{24} أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَــرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَــجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْــلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السماء.....

فقوله: { ألم تر كيف ضرب الله مثلاً} إيقاظ للذهن ليترقب ما يرد بعد هذا الكلام.
شـبه - سـبحانه الكلمة الطيبة وهي كلمة الإسـلام، بالشـجرة الطيبة، أي النافعة في جميع أحوالها. وبعد أن بين - سـبحانه - مثال كلمة الإيمان، أتبعه بمثال كلمة الكفر فقال: {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ} وهى كلمة الكفر .

سُورَةُ الرَّعْدِ

سورة الرعد تؤكد أن الله وحده مالك الأمر في الكون، يحيي ويميت، ويصرف كل شيء بحكمة. تدعو السورة إلى التأمل في آيات الله الكونية، وتثبت القلوب بأن النصر الحقيقي للحق ولو كره الكافرون، مع التحذير من الغفلة عن عاقبة الأعمال.

موضوعها الرئيسي ككل السور المكية - هو العقيدة وقضاياها. هذا الموضوع الواحد لم يتكرر عرضه قط بطريقة واحدة في تلك السور المكية وفي غيرها من السور المدنية، فهو في كل مرة يعرض بطريقة جديدة؛ ويتناول عرضه مؤثرات وموحيات ذات إيقاع جديد .

وهذه السورة تطوف بالقلب البشري ؛ وتعرض عليه الكون كله في مجالاته الأخاذة : في السموات المرفوعة بغير عمد وفي الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى. وفي الليل يغشاه النهار. وفي الأرض الممدودة وما فيها من رواسي نابتة وأنهار جارية... وهذه العجائب لا تنفد، لأنها تتكشف كل يوم عن جديد يصل إليه الإدراك والمكتشفات العلمية، وما كشف منها من قبل يبدو قديما في ضوء الجديد الذي يكشف ! ومن ثم تبقى تلك القضايا حية في مهرجان العجائب الكونية

1. المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ

{4} وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

{ قطع متجاورات} بقاعٌ مختلفة مع كونها متجاورةً متلاصقة، منها الطيب الخصب، ومنها السبخ النكد. ومنها المقفر الجدب. ذلك النخيل. صنوان وغير صنوان. منه ما هو عود واحد. ومنه ما هو عودان أو أكثر في أصل واحد. وكله (يسقى بماء واحد) والتربة واحدة ، ولكن الثمار مختلفات الطعوم

{12} هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ{13} وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ

جعل البرق آية نذارة وبشارة معاً لأنهم كانوا يَسِمون البرق فيتوسمون الغيث وكانوا يخشون صواعقه .وإنشاء السحاب: تكوينه من عدم بإثارة الأبْخرة التي تتجمع سحاباً.

وعطف الرعد على ذكر البرق والسحاب لأنه مقارنهما في كثير من الأحوال .

ولما كان الرعد صوتاً عظيماً جعل ذكره عبرة للسامعين لدلالة الرعد بلوازم عقلية على أن الله منزه عما يقوله المشركون من ادعاء الشركاء، وكان شأن تلك الدلالة أن تبعث الناظر فيها على تنزيه الله عن الشريك جعل صوت الرعد دليلاً على تنزيه الله تعالى

{17} أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

" كَذَلِكَ يَضْرِب اللَّه الْحَقّ وَالْبَاطِل " أَيْ إِذَا اِجْتَمَعَا لَا ثَبَات لِلْبَاطِلِ وَلَا دَوَام لَهُ كَمَا أَنَّ الزَّبَد لَا يَثْبُت مَعَ الْمَاء وَلَا مَعَ الذَّهَب وَالْفِضَّة وَنَحْوهمَا مِمَّا يُسْبَك فِي النَّار بَلْ يَذْهَب

وَيَضْـمَحِلّ وَلِهَذَا قَالَ" فَأَمَّا الزَّبَد فَيَذْهَب جُفَاء " أَيْ لَا يُنْتَفَع بِهِ بَلْ يَتَفَرَّق وَيَتَمَزَّق وَيَذْهَب فِي جَانِبَيْ الْوَادِي وَيُعَلَّق بِالشَّـجَرِ وَتَنْسِـفهُ الرِّيَاح وَكَذَلِكَ خَبَث الذَّهَب وَالْفِضَّـة وَالْحَدِيد وَالنُّحَاس يَذْهَب وَلَا يَرْجِع مِنْهُ شَيْء وَلَا يَبْقَى إِلَّا الْمَاء وَذَلِكَ الذَّهَب وَنَحْوه يُنْتَفَع بِهِ

31. وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُـيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِـيبُهُمْ بِمَا صَـنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

ولو أن كتابا مقروءا من الكتب السماوية نزل عليك يا محمد فسيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى، لما آمن هؤلاء المعاندون .فالله - تعالى - لا يعجزه أن يأتي بالمقترحات التي اقترحوها، ولكن إرادته - سـبحانه - لم تتعلق بما اقترحوه، لعلمه - سبحانه - بعتوهم ونفورهم عن الحق مهما أوتوا من آيات.

أفلم ييأس الذين آمنوا من إمكانية إيمان كفار قريش، ويعلموا أن الله - تعالى - لو يشـاء هداية الناس جميعا لاهتدوا، ولكنه لم يشأ ذلك، ليتميزا الخبيث من الطيب .ثم يقرر النص أن الكفار أينما كانوا بين أمرين أحلاهما مُرّ، لأن القارعة إما أن تصـيبهم بما يكرهونه ويتألمون له ، وإما أن تنزل قريبا منهم فتفزعهم، وتقلق أمنهم، وهم مسـتمرون على ذلك حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

{41}أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ

وأطلقت الأرض هنا على أهلها، كما في قوله تعالى: {واسأل القرية} [سورة يوسف: 82] بقرينة تعلق النقص بها ، لأن النقص لا يكون في ذات الأرض ولا يرى نقص فيها ولكنه يقع فيمن عليها

إن يد الله القوية لبادية الآثار فيما حولهم، فهي تأتي الأمم القوية الغنية - حين تبطر وتكفر وتفسد - فتنقص من قوتها وتنقص من ثرائها وتنقص من قدرها؛ وتحصرها في رقعة من الأرض ضيقة بعد أن كانت ذات سلطان وذات امتداد، وإذا حكم الله عليها بالانحسار فلا معقب لحكمه ، ولا بد له من النفاذ. فما حكم الله به من العقاب لا يبطله أحد وأنه واقع ولو تأخر.

العبر المستفادة من سورة الرعد:

- بينت السورة أن هذا القرآن عميق التأثير في النفس البشرية، لما فيه من سلطان، وقوة، ودفعة، وحيوية.

- أظهرت السـورة أن المنهج القرآني في الدعوة يجمع بين الحديث عن كتاب الله المتلو، وهو هذا القرآن، وبين كتاب الكون المفتوح؛ بما فيه من دلائل شاهدة بسلطان الله وتقديره وتدبيره. كما يضم إلى هذين الكتابين سجل التاريخ البشري، وما يحفظه من دلائل ناطقة بالسلطان والتقدير والتدبير أيضاً.

- بينت السـورة أن مهمة الرسـول صـلى الله عليه وسـلام إنما هي البلاغ، وأن أمر هذا الدين ليس إليه هو، ومآل هذه الدعوة ليس من اختصـاصـه! إنما عليه البلاغ، وليس عليه هداية الناس، فالله وحده هو الذي يملك الهداية

- أرشدت السورة الدعاة أن ليس لهم أن يستعجلوا النتائج، وأن ليس لهم أن يستعجلوا هداية الناس
- قررت السورة بكل وضوح أن حياة الناس لا تصلح إلا بأن يتولى قيادتها المبصرون أولو الألباب،

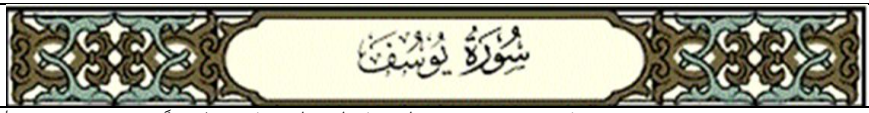

سورة يوسف تعرض قصة نبي كريم من البداية إلى النهاية، مظهرةً كيف يصنع الله لعباده الصالحين طريق النجاة رغم المحن. تحمل السورة دروسًا في الصبر، والعفة، والتوكل، والوفاء، مع التأكيد على أن تدبير الله فوق كل تدبير.

هذه السورة المكية نزلت بعد سورة هود ، في تلك الفترة الحرجة بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سندي رسول الله (ص) . فالله - سبحانه - يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم - يوسف بن يعقوب، وهو يعاني صنوفا من المحن والابتلاءات : محنة كيد الإخوة . ومحنة الجب والخوف والترويع فيه . ومحنة الرق وهو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد على غير إرادة منه ، ولا حماية ولا رعاية من أبويه ولا من أهله . ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة. هذه المحن والابتلاءات التي صبر عليها يوسف - عليه السلام - وزاول دعوته إلى الإسلام من خلالها ، وخرج منها كلها متجردا خالصا

الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ(3)

{23} وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

المراودة : مشتقة من راد يرود، إذا جاء وذهب، بمعنى تكرار المحاولة. عن نفسه: فالنفس أريد بها عفافه وتمكينها منه لما تريد، فكأنها تراوده عن أن يسلم إليها إرادته وحكمه في نفسه. **وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ:** {هَيتَ} اسم فعل أمر بمعنى بَادرْ. ويظهر أنها طلبت منه أمراً كان غير بدع في قصورهم بأن تستمتع المرأة بعبدها كما يستمتع الرجل بأمته، ولذلك لم تتقدم إليه من قبل بترغيب، بل ابتدأته بالتمكين من نفسها .

وقوله مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي فالكلام تعليل لامتناعه وتعريض بها في خيانة عهدها . ونعمة التربية بالنسبة لمولاه العزيز

{24} وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ

ولقد همت به: أنها كانت جادة فيما راودته لا مختبرة. ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمّ بها، فقدم الجواب على شرطه للاهتمام به. والرؤية: هنا عقلية عِلمية لأن البرهان من المعاني التي لا ترى بالبصر . والبرهان : الحجة. وهذا البرهان من جملته صرفهُ عن الهمّ بها، والتعبير عن العصمة بالصرف يشير إلى أن أسباب حصول السوء والفحشاء موجودة ولكن الله صرفهما عنه.

{28} فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ {29} يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ

الذي رأى قميصه قدّ من دبر قال: إنه من كيدكن، هو العزيز لا محالة. وقد استبان لديه براءة يوسف عليه السّلام من الاعتداء على المرأة، فاكتفى بلوم زوجته بأن ادّعاءها عليه من كيد النساء. ثم أمر يوسفَ عليه السّلام بالإعراض عما رمتْه به، أي عدم مؤاخذتها بذلك، وبالكف عن إعادة الخوض فيه. وأمر زوجته بالاستغفار من ذنبها، أي في اتهامها يوسف عليه السّلام بالجرأة والاعتداء عليها

{30}وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

اكتفى السيد بنصائحه للمرأة وفتاها. ومضت الأمور في طريقها. فهكذا تمضي الأمور في القصور! ولكن للقصور جدرانا، وفيها خدم وحشم. وما يجري في القصور لا يمكن أن يظل مستورا. وبخاصة في الوسط الأرستقراطي، الذي ليس لنسائه من هم إلا الحديث عما يجري في محيطهن . وإلا تداول هذه الفضائح.

{31}فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ {32} قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ

وهنا كذلك يقع ما لا يمكن وقوعه إلا في مثل هذه الأوساط. ويكشف السياق عن مشهد من صنع تلك المرأة الجريئة، التي تعرف كيف تواجه نساء طبقتها بمكر كمكرهن وكيد من كيدهن. ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها، وأنهن لقين من طلعة يوسف الدهش والإعجاب والذهول. فقالت قولة المرأة المنتصرة، التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها ; والتي تفخر عليهن بأن هذا في متناول يدها ; وإن كان قد استعصى قياده مرة فهي تملك هذا القياد مرة أخرى. فقالت: ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين! فهو الإصرار والتبجح والتهديد والإغراء الجديد في ظل التهديد .

{33}قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ {34} فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

ويسمع يوسف هذا القول في مجتمع النساء المبهورات، المبديات لمفاتنهن في مثل هذه المناسبات . ونفهم من السياق أنهن كن نساء مفتونات فاتنات في مواجهته وفي التعليق على هذا القول من ربة الدار ; فإذا هو يناجي ربه:) قال: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه. ولم يقل: ما تدعوني إليه. فهن جميعا كن مشتركات في الدعوة. سواء بالقول أو بالحركات واللفتات .

{85} قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ

استعمال كلمة تفتأ بدلا من لا تزال تذكر أنسب، لأنها تشير إلى دوام الحالة وإلى النار المشتعلة في صدره والهمّ والحزن

100. وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
101. ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ
102. ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ

العبر المستفادة من سورة يوسف:

- وصف القرآن الكريم بـتبيان كل ما يوجب الهدى؛ لما ثبت من تمام علم مُنزله غيباً وشهادة، وشمول قدرته
- بيان أن الرؤيا الحسنة التي يراها الأنبياء حق، بما تحمله عن نبوءات عن المستقبل القريب أثناء حياتهم،
- بيان أن الحاكمية الحقيقية في هذا الكون لله سبحانه، وأن أي حاكمية أخرى لا وزان لها في ميزان الشرع.
- بيان أن الإيمان الخالص يحتاج إلى حسم كامل في قضية السلطان على القلب وعلى التصرف والسلوك
- بيان أن سنة الله في الدعوات أن تكون مصحوبة بالشدائد، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة

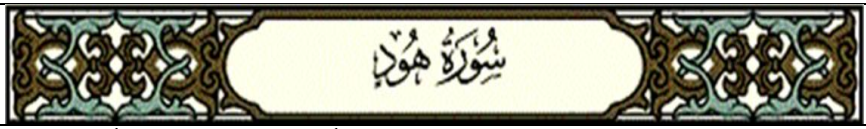

سورة هود تعرض نماذج من رسل الله الذين واجهوا أقوامهم بالحق، وتبين أن الاستقامة والثبات على الدين هما سبب النجاة. السورة رسالة صبر وتثبيت للمؤمنين، وتأكيد على أن العاقبة للمتقين مهما طال أمد الظلم والفساد.

لقد نزلت السورة بجملتها بعد يونس . ونزلت يونس بعد الإسراء . في فترة من أحرج الفترات وأشقها في تاريخ الدعوة بمكة . فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة ؛ وجرأة المشركين على ما لم يكونوا ليجرؤوا عليه في حياة أبي طالب - وخاصة بعد حادث الإسراء وغرابته ، واستهزاء المشركين به ، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله وذلك قبيل أن يفتح الله على رسوله وعلى القلة المسلمة معه ببيعة العقبة الأولى ثم الثانية . .

وفي السورة استعراض لحركة العقيدة الإسلامية في التاريخ البشري كله ، من لدن نوح - عليه السلام - إلى عهد محمد - عليه الصلاة والسلام - وتقرير أنها قامت على حقائق أساسية واحدة : هي الدينونة لله وحده بلا شريك ، والعبودية له وحده بلا منازع ؛ والتلقي في هذه الدينونة والعبودية عن رسل الله وحدهم على مدار التاريخ . مع الاعتقاد بأن الحياة الدنيا إنما هي دار ابتلاء لا دار جزاء ؛ وأن الجزاء إنما يكون في الآخرة ؛ وأن حرية الاختيار التي أعطاها الله للإنسان ليختار الهدى أو الضلال هي مناط هذا الابتلاء

.وهكذا نرى القرآن يواجه واقع الدعوة والحركة في كل مرحلة بالتوجيه المناسب للموقف.

1. الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ

{5} أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

يصور الوضع الحسي الذي يتخذونه والحركة المادية المصاحبة له وهي إحناء رؤوسهم وثني صدورهم للتخفي. ويكشف عن العبث في تلك المحاولة فعلم الله يتابعهم في أخفى أوضاعهم ; وفي خلوتهم للنوم فإن أغطيتهم ليست بساتر لهم دون علمه

{7} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ

عند خلق السماوات والأرض أي إبرازهما إلى الوجود في شكلهما الذي انتهيا إليه كان هناك الماء ; وكان الله سبحانه المهيمن على الماء الذي هو أصل كل الكائنات الحية. وجهز الخالق هذه الأرض وهذه السماوات بما يصلح لحياة هذا الجنس على ستة مراحل (الله أعلم مدة كل مرحلة) ، وجهز هذا الجنس كذلك باستعدادات وطاقات ; وبنى فطرته على ذات القانون الذي يحكم الكون ; وترك له جانبا اختياريا في حياته، يملك معه أن يتجه إلى الهدى فيعينه الله عليه ويهديه، أو أن يتجه إلى الضلال فيمد الله له فيه ، وترك الناس يعملون، ليبلوهم أيهم أحسن عملا. يبلوهم لا للعلم فهو يعلم. ولكن يبلوهم ليظهر المكنون من أفعالهم ، فيتلقوا جزاءهم عليها كما اقتضت إرادة الله وعدله.

{12} فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

لعل هنا تحمل معنى الاستفهام. فالمتوقع من النفس البشرية أن تضيق صدرا بهذا الجهل، وبهذا التعنت، وبهذه الاقتراحات السخيفة التي تكشف عن بعد كامل عن إدراك طبيعة الرسالة ووظيفتها. فهل سيضيق صدرك - يا محمد - وهل سيحملك هذا الضيق على أن تترك بعض ما أنزل إليك فلا تبلغه لهم، كي لا يقابلوه بما اعتادوا أن يقابلوا به نظائره فيما أخبرتهم من قبل ? كلا. لن تترك بعض ما يوحى إليك ولن يضيق به صدرك من قولهم هذا:) إنما أنت نذير). - فأد واجبك، والله هو الموكل بهم، يصرفهم كيف يشاء وفق سنته، ويحاسبهم بعد ذلك على ما يكسبون. ولست أنت موكلا بكفرهم أو إيمانهم. إنما أنت نذير .

31. وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

هكذا ينفي نوح - عليه السلام - عن نفسه وعن رسالته كل قيمة زائفة وكل هالة مصطنعة يتطلبها الملأ من قومه في الرسول والرسالة. ويتقدم إليهم بها مجردة إلا من حقيقتها العظيمة التي لا تحتاج إلى مزيد من تلك الأعراض السطحية. ويردهم في نصاعة الحق وقوته، مع سماحة القول ووده إلى الحقيقة المجردة ليواجهوها ، ويتخذوا لأنفسهم خطة

على هداها . فيعطي أصحاب الدعوة في أجيالها جميعا، نموذجا للداعية، ودرسا في مواجهة أصحاب السلطان بالحق المجرد، دون استرضاء لتصوراتهم، ودون ممالأة لهم ، مع المودة التي لا تنحني معها الرؤوس

36. وَأَوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ 37. . وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ

لقد انتهى الإنذار، وانتهت الدعوة، وانتهى الجدل. فالقلوب المستعدة للإيمان قد آمنت، أما البقية فليس فيها استعداد ولا اتجاه. هكذا أوحى الله إلى نوح: لا تحس بالبؤس والقلق، ولا تحفل ولا تهتم بهذا الذي كان منهم ، لا على نفسك فما هم بضاريك بشيء، ولا عليهم فإنهم لا خير فيهم .

ثم أوحى إليه كيفية صنع الفلك، ولذلك فنوح عليه السّلام أول من صنع الفلك ولم يكن ذلك معروفاً للبشر، وكان ذلك منذ قرون لا يحصيها إلاّ الله تعالى. لقد تقرر مصيرهم وانتهى الأمر فيهم . فلا تخاطبني فيهم . . لا دعاء بهدايتهم ، ولا دعاء عليهم

{40} حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ

تتفرق الأقوال حول فوران التنور، ويذهب الخيال ببعضها بعيدا ، وتبدو رائحة الإسرائيليات فيها وفي قصة الطوفان كلها واضحة. ويمكن القول: إن فوران التنور - والتنور الموقد - قد يكون بعين فارت فيه، أو بفوارة بركانية .وأن هذا الفوران ربما كان علامة من الله لنوح، أو كان مصاحبا مجرد مصاحبة لمجيء الأمر. لما حدث هذا قال تعالى: احمل فيها من كل زوجين اثنين. ومرة أخرى تتفرق الأقوال حول (من كل زوجين اثنين) وتشيع في الجو رائحة الإسرائيليات قوية .فالأرجح : زوجين اثنين مما يملك نوح أن يمسك وأن يستصحب من الأحياء. وأهلك - إلا من سبق عليه القول- من استحق عذاب الله حسب سنته ، ومن آمن من غير أهلك وما آمن معه إلا قليل

{45} وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ {46} قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ

الآن تستيقظ في نفس نوح لهفة الوالد المفجوع: رب إن ابني من أهلي، وقد وعدتني بنجاة أهلي ، وإن وعدك الحق ، وجاءه الرد بالحقيقة التي غفل عنها . فالأهل - عند الله وفي دينه وميزانه - ليسوا قرابة الدم، إنما هم قرابة العقيدة. وهذا الولد لم يكن مؤمنا، فليس إذن من أهله.

{100} ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ

ذلك من أنباء القرى نقصه عليك. فما كان لك به من علم، إنما هو الوحي ينبئك بهذا الغيب المطمور (منها قائم). . لا تزال آثاره تشهد بما بلغ أهله من القوة والعمران، كبقايا عاد في الأحقاف وبقايا ثمود في الحجر. ومنها (حصيد) كالزرع المحصود. اجتث من فوق الأرض وتعرى وجهها منه ، كما حل بقوم نوح أو قوم لوط.

{109}فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ

لا يتسرب إلى نفسك شك في فساد عبادة هؤلاء. والخطاب للرسول [ص] والتحذير لقومه . ومصيرهم إذن كمصيرهم. العذاب. ومعروف نصيبهم هذا من نصيب القوم قبلهم. وقد رأينا منه نماذج ومشاهد! وقد لا يصيبهم عذاب الاستئصال - في الدنيا - كما لم يصب قوم موسى

{118} وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {119} إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

لو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد، وباستعداد واحد. . نسخا مكررة لا تفاوت بينها ولا تنويع فيها. لكن هذه ليست طبيعة هذه الحياة المقدرة على هذه الأرض. وليست طبيعة هذا المخلوق البشري الذي استخلفه الله في الأرض. ولقد شاء الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته . وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه

العبر المستفادة من سورة هود:

- بينت عناية الله بكل مخلوقاته وكل دابة في الأرض،
- بينت سنن الله في الأمم، كبيان عاقبة الظالمين، والمفسدين في الأرض. وأن سبب الظلم والإجرام الموجب لهلاك الأمم، هو اتباع أكثرهم لما أترفوا فيه من أسباب النعيم والشهوات واللذات. وأن الزعماء المترفين هم أساس فساد الأمم ومهلكوها.
- بينت صفات النفس وأخلاقها من الفضائل والرذائل، التي هي مصادر الأعمال من الخير والشر، والحسنات والسيئات، والصلاح والفساد، وأن الله سبحانه يُكفِّر سيئات الأفراد بفعل الحسنات التي تمحو السيئات،
- أكدت السورة فضيلة (الصبر)، فهو الخُلق الذي يستعان به على جميع الأعمال الفردية والجماعية في الشدة والرخاء،
- بيان أن سنن الله تعالى في اختلاف الأمم وتفرقهم إلى مِلل كاختلافهم في التكوين والعقول، هو سنة كونية.

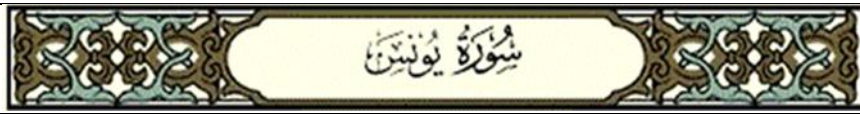

سورة يونس تركز على قضية الإيمان بالغيب والثقة بوعد الله، من خلال قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم. تبرز السورة أن الهداية بيد الله، وأن مصير الأمم مرتبط بموقفها من دعوة الحق، مع تأكيد رحمة الله الواسعة لمن تاب وآمن.

الموضوع الرئيسي في سورة يونس هو ذات الموضوع العام للقرآن المكي. إنها تواجه ابتداء موقف المشركين في مكة من حقيقة الوحي إلى رسول الله (ص) ؛ فتقرر لهم أن الوحي لا عجب فيه، وأن هذا القرآن ما كان لِيُفترى من دون الله، وتواجه طلبهم خارقة مادية - غير القرآن - واستعجالهم بالوعيد الذي يسمعونه. فتقرر لهم أن آية هذا الدين هي هذا القرآن؛ وهو يحمل برهانه في تفرده المعجز الذي تتحداهم به. وأن الآيات في يد الله ومشيئته؛ وأن موعدهم بالجزاء يتعلق بأجل يقدره الله ، والنبي لا يملك شيئا فهو عبد من عباد الله. تقرر لهم صفات الإله الحق وآثار قدرته في الوجود من حولهم، وفي وجودهم هم أنفسهم ، وفيما يتقلب بهم من ظواهر الكون. وتواجه اطمئنانهم للحياة الدنيا ورضاهم

بها عن الآخرة، وتكذيبهم بلقاء الله ، بتحذيرهم من هذه الطمأنينة الخادعة ، وتعريفهم بأن هذه الحياة الدينا إنما هي للابتلاء ، وفي الآخرة الجزاء.

2. أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ

{16} قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

وقل لهم: إنك لبثت فيهم عمرا كاملا من قبل الرسالة. أربعين سنة. فلم تحدثهم بشيء من هذا القرآن. لأنك لم تكن تملكه. لم يكن قد أوحي إليك. ولو كان في استطاعتك عمل مثله أو أجزاء منه فما الذي أقعدك عمرا كاملا ؟

{19}وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

وقبل أن يمضي في عرض ما قالوه وما فعلوه، يعقب على هذا الشرك، بأنه عارض. والفطرة في أصلها كانت على التوحيد، ثم حدث الخلاف بعد حين: (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا) . وقد اقتضت مشيئة الله أن يمهلهم جميعا إلى أجل يستوفونه، وسبقت كلمته بذلك فنفذت لحكمة يريدها:

44. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

49. قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

{59} قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ

ماذا ترون في هذا الرزق الذي أعطاه لكم، لتتصرفوا فيه وفق إذنه وشرعه، فإذا أنتم - من عند أنفسكم ودون إذن من الله لكم - تحرمون منه أنواعاً وتحلون منه أنواعاً. ولقد كان الجاهليون العرب يزعمون - كما يزعم اليوم ناس ممن يسمون أنفسهم" المسلمين -" أن هذا الذي يزاولونه من التحريم والتحليل إنما أذن لهم به الله. أو كانوا يقولون عنه: شريعة الله ! فهم كانوا يقولون: إن الله يشاء هذا، ولا يشاء هذا. افتراء على الله

69. قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ

83. فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ

{92} فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ

وقوله - سبحانه} : - فاليوم نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً { . . تهكم به ، وتخييب لآماله ، وقطع لدابر أطماعه، والمعنى إن دعواك الإيمان الآن مرفوضة، لأنها جاءت في غير وقتها ، وإننا اليوم بعد أن حل بك الموت ، نلقى بجسمك الذي خلا من الروح على مكان مرتفع من الأرض لتكون عبرة وعظة للأحياء الذين يعيشون من بعدك سواء أكانوا

من بني إسرائيل أم من غيرهم ، حتى يعرف الجميع بالمشاهدة أو الإخبار ، سوء عاقبة المكذبين ، وأن الألوهية لا تكون إلا لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد

{93} وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

لقد طاب المقام فترة لبني إسرائيل بعد تجارب طويلة، لا يذكرها السياق هنا لأنها ليست من مقاصده ، وتمتعوا بطيبات من الرزق حلال، حتى فسقوا عن أمر الله فحرمت عليهم . والسياق لا يذكر هنا إلا اختلافهم بعد وفاق. اختلافهم في دينهم ودنياهم، لا على جهل ولكن بعد أن جاءهم العلم ، وبسبب هذا العلم، واستخدامه في التأويلات الباطلة.

{108} قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ

ومن ثم يكون الإعلان الأخير للناس: لكل أن يختار لنفسه. فهذا هو الحق قد جاءهم من ربهم وليس الرسول موكلا بالناس يسوقهم إلى الهدى سوقاً، إنما هو مبلغ، وهم موكلون إلى إرادتهم وإلى اختيارهم وإلى تبعاتهم، وإلى قدر الله بهم في النهاية. والختام خطاب إلى الرسول [ص] باتباع ما أمر به، والصبر على ما يلقاه حتى يحكم الله بما قدره وقضاه :وهو الختام المناسب الذي يلتقي مع مطلع السورة، ويتناسق مع محتوياتها بجملتها على طريقة القرآن في التصوير والتنسيق.

العبر المستفادة من سورة يونس:

- أن العبد إذا تاب توبة صادقة نصوحاً في الوقت الذي تُقبل فيه التوبة، قَبل الله تعالى توبته، وفرج عنه كربه.
- الأنبياء وأتباعهم من الصالحين والمصلحين مهمتهم تقتصر على التبليغ والدعوة والإرشاد. فالداعية ليس عليه إلا بذل أقصى الجهد والطاقة والقيام بواجب الدعوة، والصبر بغض النظر عن النتائج وضغوط الواقع.
- من الخطأ ترك المهمة دون الرجوع إلى القيادة صاحبة التكليف مهما كانت الظروف والمبررات
- من الضوابط التربوية في العقاب حتى يؤتي ثماره، أن يكون على قدر الخطأ، وأن يتم تنفيذه عقب وقوع الخطأ وليس على التراخي أو بعده بفترة طويلة، فإن ذلك يقلل من القيمة التربوية للعقاب، وحتى يتمكن المخطئ من فهم خطئه ويساعده ذلك في الإقلاع عنه.
- اقتران العافية والنجاة أو حلول العقاب بحال الناس، (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد:11]

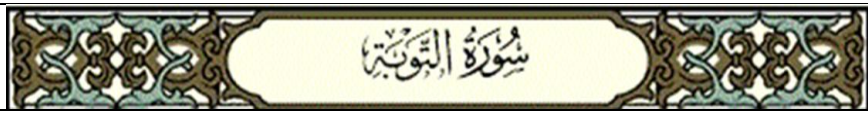

سورة التوبة تعلن البراءة من عهود المشركين الذين خانوا المواثيق، وتكشف صفات المنافقين وخطرهم على المجتمع. تدعو السورة إلى الجهاد في سبيل الله دفاعًا عن الدين والحق، وتحث على الصدق والتوبة والإنفاق في سبيل الله بإخلاص.

هذه السورة الكريمة من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع، وهي من أواخر ما نزل على رسول الله (ص) . هذه السورة نزلت على رسول الله (ص) عند مرجعه من غزوة تبوك، وبعث أبا بكر الصديق أميرا على الحج تلك السنة، ليقيم للناس مناسكهم، فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغا عن رسول الله (ص) ما فيها من الأحكام. نزلت في (السنة التاسعة) من الهجرة، وهي السنة التي خرج فيها رسول الله (ص) لغزو الروم، واشتهرت بين الغزوات النبوية ب (غزوة تبوك) .ومن المفيد ان نتذكر التعريفات أدناه.

الشرك مع الله: اتخاذ إله اخر مع الله. مثال ذلك مشركي قريش، حينما جعلوا آلِهَة أخرى تقربهم إلى الله زلفي عن جهل ودون وعي. كقوله تعالى: *{أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}* (الأنعام 19)،

الشرك بالله: هو الإيمان بمبدأ الثبات. بأن تعتقد بالثبات وعدم التغير، وهذه الصفة لله وحده. ولا يلزم في الشرك أن يكون علنياً. والشرك بالله هو أن يجعل الإنسان لله شريكاً في الطاعة والعبادة والدعاء.

الكفر: هو موقف علني واعٍ ضد أمر ما، والكفر لسان مقال أي تصرّف وموقف عدواني. فالكفر صفة إضافية لصفة الشرك، فالكافر مشرك معلن عن شركه قولاً أو عملاً.). والكفر جاء معنىً مقيّداً دائماً بالموقف المعبّر فيه عن الكفر، أي بتوضيح الكفر بماذا؟ فالكافر بالله هو المشرك به والمعلن عن ذلك بلسان مقال، والكافر بنبوّة محمّد (ص) ورسالته هو كلّ من اتّخذ موقفاً علنياً عدائياً ضدّه (ص) بتكذيبه ومعاداته والتآمر عليه ومحاربته

{1} بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .....

جعلت هذه البراءة صادرة من الله، لأنّه الآذن بها، ومن رسوله، لأنّه المباشر لها . وجُعل ذلك منهًّى إلى المعاهدين من المشركين، لأنّ المقصود إبلاغ ذلك الفسخ إليهم وإيصاله ليكونوا على بصيرة، فلا يكون ذلك الفسخ غدراً .

{5} فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

بيان لتطهير البيت الحرام من المشركين. لقد تم إعطاؤهم مهلة أربعة أشهر لترتيب أوضاعهم بحيث لا يسمح لههم بأداء شعائر الحج التي كانوا يمارسونها في الجاهلية. ومن لا يلتزم بذلك، أمر الله المسلمين - إذا انقضت الأشهر الأربعة - أن يقتلوا كل مشرك أنى وجدوه في ساحة المسجد الحرام، أو يأسروه أو يحصروه إذا تحصن منهم أو يقعدوا له مترصدين لا يدعونه يفلت أو يذهب - باستثناء من أمروا بالوفاء لهم إلى مدتهم - بدون أي إجراء آخر معه. ذلك أن المشركين أُنذروا وأمهلوا وقتاً كافياً؛ فهم إذن لا يقتلون غدراً، ولا يؤخذون بغتة، وقد نُبِذت لهم عهودهم، وعلموا سلفاً ما ينتظرهم.

وأمر المسلمين أن يكفوا عن المشركين إن هم اختاروا التوبة إلى الله، والتزموا شعائر الإسلام التي تدل على اعتناقهم هذا الدين واستسلامهم له وقيامهم بفرائضه. وذلك أن الله لا يرد تائباً مهما تكن خطاياه.

{6} وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ

إن هذا يعني أن الإسلام حريص على كل قلب بشري أن يهتدي وأن يثوب؛ وأن المشركين الذين يطلبون الجوار والأمان في دار الإسلام يجب أن يعطوا الجوار والأمان؛ ذلك أنه في هذه الحالة أمِن حربهم وتجمعهم وتألبهم عليه؛ فلا ضير إذن من إعطائهم فرصة سماع القرآن ومعرفة هذا الدين ؛ لعل قلوبهم أن تتفتح وتتلقى وتستجيب. . وحتى إذا لم تستجب فقد أوجب الله لهم على أهل دار الإسلام أن يحرسوهم بعد إخراجهم حتى يصلوا إلى بلد يأمنون فيه على أنفسهم. ن هذا الدين إعلام لمن لا يعلمون، وإجارة لمن يستجيرون ، حتى من أعدائه الذين شهروا عليه السيف وحاربوه وعاندوه. ولكنه إنما يجاهد بالسيف ليحطم القوى المُعادية التي تحول بين الأفراد وسماع كلام الله ؛ وتحول بينهم وبين العلم بما أنزل الله؛ فتحول بينهم وبين الهدى، كما تحول بينهم وبين التحرر من عبادة العبيد ؛ وتلجئهم إلى عبادة غير الله

{13} أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

تجيء هذه الفقرة لمواجهة ما حاك في نفوس الجماعة المسلمة - بمستوياتها المختلفة التي سبق الحديث عنها - من تردد وتهيب للإقدام على هذه الخطوة الحاسمة! ومن رغبة وتعلل في أن يفيء المشركون الباقون إلى الإسلام دون اللجوء إلى القتال الشامل! ومن خوف على النفوس والمصالح وركون إلى أيسر الوسائل! .

تُذكرهم بنقض المشركين لما أبرموه معهم من عهود وما عقدوه معهم من أيمان. وتذكرهم بما هَمَّ به المشركون من إخراج الرسول [ص] من مكة قبل الهجرة. وتذكرهم بأن المشركين هم الذين بدأوهم بالاعتداء في المدينة. ثم تثير فيهم الحياء والنخوة أن يكونوا إنما يخشون لقاء المشركين. والله أولى أن يخشوه إن كانوا مؤمنين.

{17} مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ

هذا ابتداء غرض من أغراض معاملة المشركين، وهو منع المشركين من التواجد في المسجد الحرام في المستقبل. وشهادتهم على أنفسهم بالكفر حاصلة في كثير من أقوالهم وأعمالهم، بحيث لا يستطيعون إنكار ذلك ، مثل قولهم في التلبية لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، ومثل سجودهم للأصنام ، وطوافهم بها ، ووضعهم إيّاها في جوف الكعبة وحولَها وعلى سطحها. فهم مشركون معلنون عن شِركهم وعليه فهم كافرون أيضاً.

{23} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

يمضي السياق في تجريد المشاعر والصلات في قلوب الجماعة المؤمنة، وتمحيصها لله ولدين الله ; فيدعو إلى تخليصها من وشائج القربى والمصلحة واللذة ، ويجمع كل لذائذ البشر ، وكل وشائج الحياة ، فيضمها في كفة ، ويضع حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله في الكفة الأخرى ، ويدع للمسلمين الخيار. وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة ; ولا أن يترهبن ويزهد في

طيبـــات الحياة . . كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب ، ويخلص لها الحب ، وأن تكـون هـي المـسيطرة والحاكمة ، وهي المحركة والدافعة . فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبـــات الحيـــاة ; على أن يكون مستعدا لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة وإلا فتعرضوا لمصير الفاسقين.

{28} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

{ نجس } صـفة مشـبهة، اسـم للشـيء الذي النجاسـة صـفة ملازمة له ، وقد أنيط وصـف النجاسـة بهم بصـفة الإشـراك، فعلمنا أنّها نجاسـة معنوية نفسـانية وليسـت نجاسـة بدنية. فالمشرك نجَس لأجل عقيدة إشراكه ، وقد يكون جسده نظيفاً مطيّباً.

{29} قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ

والقتال هنا لا يعني قتال الأفراد حيث لا إكراه في الدين، وانما يعني قتال الأنظمة التي تعمل على الحيلولة دون حرية الاختيار.

ينقسـم أهل الكتاب إلى فريقين: فريق لا يؤمن برسـالة محمد (ص) ولكنهم يؤمنون بالله الواحد وبيوم القيامة فهم مسـلمون بالمفهوم العام للإسـلام، فهؤلاء عليهم دفع الجزية. والفريق الثاني لا يؤمن بوحدانية الله أو باليوم الآخر أو برسـالة محمد (ص) ويعملون أو يتآمرون على قتال المسلمين فيجب قتالهم بالإقناع أولا ثم بالحرب إن لم يؤمنوا.. والهدف من الجزية أن يسـاهم في نفقات الدفاع عن نفسـه وماله وعرضـه وحرماته التي يكفلها الإسلام، كذلك المساهمة في بيت مال المسلمين الذي يضمن الكفالة والإعاشة لكل عاجز عن العمل ، بما في ذلك أهل الذمة ، بلا تفرقة بينهم وبين المسلمين دافعي الزكاة

{34} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُـدُّونَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّـةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

في الآية اسـتطراد في بيان دور الكثير من الأحبار والرهبان (للاحتراز من الحكم على القليل منها الذي لا يزاول هذه الخطيئة) الذين اتخذهم أهل الكتاب أرباباً من دون اللّـه ، فاتبعوهم فيما يشـرعون لهم من المعاملات ومن العبادات سـواء. وهم فيما يشـرعون يأكلون أموال الناس بالباطل ويصـدون عن سـبيل الله . وأكل أموال الناس كان يتمثل في صـور شـتى وما يزال :منها ما يأخذونه على فتاوى تحليل الحرام وتحريم الحلال لصـالح من يملكون المال أو السلطان. ومنهـا مـا يأخذه القسيس أو الكاهن مقابل الاعتراف له بالخطايا وغفرانه - بالسـلطان المخول للكنيسـة في زعمهم - لتلك الخطايا وغيرها كثير. والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم

{43} عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ

سـامحك الله يا محمد، لم اذنت لهؤلاء المنافقين، في التخلف عن الخروج معك بمجرد الاعتذار! ! هلا تركتهم حتى يظهر لك الصـادق منهم في عذره، من الكاذب المنافق. لا يستأذنك يا محمد عن الجهاد بالمال والنفس، من يؤمن بالله واليوم الاخر، لانهم يعلمون ما أعده الله للمجاهدين الابرار من الاجر الجزيل، فكيف يتخلفون عنه ؟

{47} لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ

ولو خرج أولئك المنافقون ما زادوا المسلمين قوة بخروجهم، بل لزادوهم اضطراباً وفوضى . ويعملون عل بثِّ الوقيعة والفتنة والتفرقة بينهم. وفي المسلمين من يسمع لهم في ذلك الحين. ولكن الله الذي يرعى دعوته ويكلأ رجالها المخلصين، كفى المؤمنين الفتنة

{80} اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

يبدو أن الرسول - [ص -] كان يستغفر للمخطئين عسى أن يتوب الله عليهم. فأما هؤلاء فقد أخبر بأن مصيرهم قد تقرر، فلا رجعة فيه:سواء يا محمد استغفرت لهؤلاء المنافقين، ام لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم، والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير والمعنى مهما اكثرت من الاستغفار لهم، وبالغت فيه فلن يغفر الله لهم ابدا، بسبب كفرهم بالله ورسوله كفرا شنيعا، حيث اظهروا الايمان وابطنوا الكفر والله لا يوفق للإيمان الخارجين عن طاعته، ولا يهديهم الى سبيل السعادة.

{84} وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ

ولا تصل يا محمد على أحد من هؤلاء المنافقين إذا مات، لان صلاتك رحمة، وهم ليسوا اهلا للرحمة ولا تقف على قبره للدفن، او للزيارة والدعاء. لأنهم ماتوا وهم على نفاقهم، خارجون من الاسلام، متمردون في العصيان. ولا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الاموال والأولاد فلا يريد الله بهم الخير، انما يريد ان يعذبهم بها في الدنيا بالمصائب والنكبات ويموتوا على الكفر، منشغلين بالتمتع بالأموال والأولاد، عن النظر والتدبر في العواقب

{97} الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

كلمة الأعراب لا تعني عموم سكان البادية او البدو. فجذر الكلمة الرباعي (أعرَبَ) وليس (عَرَبَ) وبإضافة همزة الإزالة تغير اتجاه الفعل مثلها مثل قسط وأقسط، بان وأبان، سعد وأسعد. فالأعراب تعني عكس صفات العرب الأصيلة وتدل على من يتصفون بالغلظة والنفاق والفساد مثل قطاع الطرق.

{107} وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

من المنافقين جماعة بالغوا في الاجرام، حتى ابتنوا مجمعا يدبرون فيه الشر، وسموه " مسجدا " وقد اشتهر باسم " مسجد الضرار " مضارة للمؤمنين ونصرة للكفر الذي يخفونه، يفرقون بواسطته جماعة المؤمنين، ويصرفونهم عن مسجد قباء وترقبا وانتظارا لقدوم " أبى عامر الفاسق " الذي ذهب إلى ملك الروم يُحرِّضه على قتال المسلمين، وهو الذي قال لرسول الله: لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم، وهو الذي امرهم ببناء المسجد، ليكون معقلا له .

وليقسمن ما أردنا ببنائه الا الخير والاحسان، من الرفق بالمسكين، والتوسعة على المصلين، والله يعلم كذبهم في ذلك الحلف. ثم نهى تعالى رسوله عن الصلاة في مسجد الضرار. في خين أن مسجد قباء ا بني على تقوى الله وطاعته من اول يوم ابتدئ في بنائه فأولى وأجدر بأن تصلي فيه من مسجد الضرار.

{123} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ

القتال لغة هو: مصدر الفعل الرباعي قاتل، وهي تقتضي وجود طرفين كما في حالة لاكم التي تقتضي وجود ملاكمين. القتال هو نزاع عنيف يهدف كل طرف إلى إيذاء الآخر وقد يؤدي ذلك إلى قتل العدو جسديًا. والهدف هو شل قدرته على مواصلة القتال.

وهناك فرق بين القتل والقتال، فليس كل من جاز قتاله جاز قتله، ولهذا نقاتل إحدى الطائفتين المقتتلتين حتى تفيء إلى أمر الله، مع أنها مؤمنة لا يحل قتلها.

في هذه الآية قاتلوا تشير إلى وجود طرف آخر جاء لقتالكم، ولا تعني بالضرورة اقتلوهم جسديا،

يلونكم تعني يقربكم أو بينكم من المنافقين كقوله تعالى "*يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ*"، ويجوز ان تعني الدول الكافرة القريبة منكم التي تسعى لمنعكم من تبليغ الرسالة سلميا

{126} أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ {127} وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ

أولا يرى هؤلاء المنافقون الذين تفضح سرائرهم كل سنة مرة او مرتين حين ينزل فيهم الوحي؟ ثم لا يرجعون عما هم فيه من النفاق ولا يعتبرون. وإذا انزلت سورة من القرآن فيها عيب المنافقين، وهم في مجلس النبي (ص) نظر بعضهم لبعض، هل يراكم احد من المسلمين، لننصرف . فإنا لا نصبر على استماعه وهو يفضحنا، ثم قاموا فانصرفوا. صرف الله قلوبهم عن الهدى والايمان لأنهم لا يفهمون الحق ولا يتدبرونه، فهم حمقى غافلون

العبر المستفادة من سورة التوبة:

- إشعار – بطرق سلمية - من أعرض عن اتباع اوامر الله في توحيده، أو من كان ظالماً في سلوكه مع الناس بأنك لا توافقه الرأي. ويدل على هذا المقصد: قصة الثلاثة المخلَّفين، فإنهم هُجروا، وأُعرض عنهم بكل اعتبار، حتى بالكلام وبالسلام، إلى أن تاب الله عليهم.

- بيان أن بناء الإسلام يقوم على العلم الصحيح الوارد في القرآن الكريم وعلى ممارسات النبي العملية في أداء الشعائر والتخلُّق بالقيم التي دعى إليها الإسلام، دون التقليد الذي ذمه القرآن، (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) التوبة:31.

- التأكيد على المساواة بين الرجال والنساء في ولاية الإيمان المطلقة، والمساواة بينهما في جميع نعيم الدنيا والآخرة،

- كون بذل الأموال في سبيل الله آية الإيمان الصحيح وقِوام الدين الحنيف، وكون البخل والامتناع عن الإنفاق في سبيل الله آية النفاق.
- بيان فوائد الزكاة المفروضة والصدقات، وإصلاح الإسلام النظام المالي للبشر، وامتيازه بذلك على جميع الأديان
- -بينت السورة أن الهدنة بين المسلمين ومن حاربهم مشروعة، ووجوب الوفاء بالمعاهدات ما دام الطرف الآخر من الأعداء يفي بها، ولا ينقص منها شيئاً.
-بيان سياسة الإسلام في التعامل مع الآخرين، وأن من أظهر الإسلام منهم يعامل كما يعامل سائر المسلمين؛ لأن قاعدة الإسلام في هذا الصدد: أن الإنسان يحكم على الظواهر من السلوك، وأن الله تعالى وحده هو الذي يحاسب، ويعاقب على السرائر.

سورة الأنفال تتناول جوانب من معركة بدر، مظهرةً كيف ينصر الله عباده المؤمنين رغم قلة عددهم. تؤكد السورة على أن النصر من عند الله وحده، وتغرس قيم الطاعة، والصبر، والتوكل، وتحذر من التنازع والافتتان بالدنيا.

هذه السورة المدنية نزلت في غزوة بدر الكبرى، وافتتحت ببيان أن قسمة الأنفال أي – الغنائم- مردها إلى الله ورسوله ، وأن على المؤمنين أن يذعنوا لما يفعله فيها رسولهم (ص)، ثم وصفت المؤمنين الصادقين أكمل وصف ، وبشرتهم بأسمى المنازل ، وأرفع الدرجات . ثم تبدأ السورة في الحديث عن حال بعض الذين اشتركوا في غزوة بدر ، وكيف أنهم كرهوا القتال في أول الأمر ، لأنهم لم يخرجوا من أجله وإنما خرجوا من أجل الحصول على التجارة التي قدم بها مشركو قريش من بلاد الشام لكن الله –تعالى- أراد أن يعلمهم وغيرهم أن الخير فيما قدره ، لا فيما يقدرون ويريدون. ثم تسوق السورة بعد ذلك ألواناً من البشارات التي تُشعِر المؤمنين بأن الله –تعالى- قد أجاب لهم دعاءهم ، وأنه – سبحانه- سيجعل النصر في هذه المعركة حليفاً لهم . ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن أسرى غزوة بدر من المشركين فبينت ما كان يجب على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في شأنهم ، وعاتبتهم لإيثارهم أخذ الفداء على ما عند الله من ثواب عظيم

{1}يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

يسألك أصحابك يا محمد عن الحُكم في توزيع الغنائم التي غنمتها من بدر لمن هي ؟ وكيف تقسم. فقد كانت لهم عادات متبعة في الجاهلية في الغنائم والأنفال أرادوا العمل بها وتخالفوا في شأنها فسألوا. قل لهم: الحكم فيها لله والرسول لا لكم، فاتقوا الله بطاعته واجتناب معاصيه، واصلحوا الحال التي بينكم بالائتلاف وعدم الاختلاف، وأطيعوا أمر الله وأمر رسوله في الحكم في الغنائم. إن كنتم حقا مؤمنين كاملين في الإيمان

{5} كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ

شـبهت هذه القصـة التي هي إخراجه من بيته، بالقصـة المتقدمة التي هي سـؤالهم عن الأنفال وكراهتهم لما وقع فيها، والمعنى : حالهم في كراهة طريقة توزيع الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب حيث انقسموا في الرأي إلى فريقين.

{6} يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَـاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ {7} وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ

فهذا ما حاك في نفوس فريق من المسـلمين يومئذ، وما كرهوا من أجله القتال. وذلك بعد ما تبين الحق، وعلموا أن الله وعدهم إحدى الطائفتين، وأنه لم يبق لهم خيار بعدما أفلتت إحدى الطائفتين وهي - العير - وأن عليهم أن يلقوا الطائفة الأخرى، وقد قدر الله لهم لقاءها، وقدر أنها سـتكون لهم. كانت ما كانت. كان مرافقو العير هي الطائفة الضـعيفة التي لا شوكة لها، و كانت الطائفة ذات الشوكة والمنعة هي جيش قريش .

{9} إِذْ تَسْـتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْـتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ {10} وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْـرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْـرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {12} إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَـأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ

اذكروا حين كنتم تطلبون من ربكم الغوث بالنصـر على المشـركين، روي أن رسـول الله (ص) نظر الى المشركين وهم الف، وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو : اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصـابة من أهل الإسـلام فلن تعبد في الأرض. فنزلت هذه الآية، فاسـتجاب الله الدعاء بأني معينكم بألف من الملائكة متتابعين يتبع بعضـهم بعضـا، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت. والآية الثانية تُوَضِح المقصود. وما جعل إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر ولتسكن بهذا الإمداد نفوسكم وتستشعرون بان قدرة الله معكم. وما النصـر في الحقيقة إلا من عند الله العلي الكبير، فثقوا بنصره إن الله غالب لا يغلب، يفعل ما تقضي به الحكمة.

. فاضربوا فوق الأعناق: الاعناق ترمز لنقاط التواصل في حيش العدو والمراد اضربوا مراكز القوة والاتصالات لديهم حتى يستسلموا ولا يعود هناك حاجة لمزيد من القتل.

{17} فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

إن النصـر لم يأت بفعل قوتكم فقط، وإنما جاء بفعل الله الذي ثَبَّتكم وطمأنكم بأن وعده بنصركم حق.

{60} وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

يأمر الله المسـلمين بأن يكونوا دائما مسـتعدين، أن يملكوا وسـائل القوة سـواء في حالة الحرب أو السِلم. وأول ما تصنعه هذه القوة فـي حقـل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها ; فلا يصـدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها. والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على "دار الإسلام" التي

تحميهـــا تلك القوة. فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسـلمة في الأرض الظاهرين مـــــنهم الذين يعلمهم المسـلمون ; ومن ورائهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلـم سـرائرهم وحقائقهم. وهؤلاء ترهبهم قوة الإســـلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم. ولما كان إعداد العدة يقتضـــي أموالا، وكان النظام الإسـلامي كله يقوم على أسـاس التكافل، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله وابتغاء رضوان الله .

{67} مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

في هذا النص عتاب للنبي (ص) وأصـــحابه على أخذ الفداء والمعنى: لا ينبغي لنبي من الأنبياء أن يأخذ الفداء من الأسـرى، إلا بعد أن تسـتقر له الأمور وتنتهي المعركة وتُشَـل قدرة العدو على الاسـتمرار في القِتال. فهل تريدون أيها المؤمنون بأخذ الفداء حطام الدنيا ومتاعها الزائل؟ والله يريد لكم الباقي الدائم، وهو ثواب الآخرة، بإعزاز دينه

الدروس المستفادة من سورة الأنفال:

* إرشاد المؤمنين إلى سنة اجتماعية، وهي جعل الأموال والأولاد فتنة، أي: امتحاناً شديد الوقع في النفس، وتحـذيراً لهم من الخروج في أموالهم ومصـــــالح أولادهم عن الحق والعدل .
* تحذير المؤمنين من ســـلوك مســـلك الكافرين، وهو مســـلك البطر وإظهار الكبرياء والعظمة الذي لا تليق بصـــفات المؤمنين، الذين إنما يقاتلون لإعلاء كلمة الله، وتقرير الفضيلة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر
* تقرير سُـنَّة من سـنن النفس، وهي تفاوت البشـر في الاسـتعداد للإيمان والكفر، وفي الاستعداد للخير والشر،
* تقرير ســـنة من ســـنن الاجتماع، وهي كون الظلم في الأمم يقتضـــي عقابها في الدنيا بالضعف والاختلال، الذي قد يفضي إلى الزوال، أو فَقْدِ الاستقلال،
* تقرير سـنة من سـنن الاجتماع، وهي كون تغير أحوال الأمم، وتنقلها في الأطوار من نِعَمٍ ونِقَمٍ، وشـــدة ورخاء أثراً طبيعيًّا فطريًّا لتغييرها ما بأنفســـها من العقائد والأخلاق والمَلَكات التي تطبعها في الأنفس العادات، وتترتب عليها الأعمال
* بيان وجوب إعداد الأمة بكل ما تسـتطيعه من قوة لإرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على الأمة ومصـالحها. وتشـمل الاسـتعداد العسـكري، والاسـتعداد المعنوي وذلك بالتحصين الثقافي والفكري.
* المحافظة على الوفاء بالعهود، والالتزام بالمواثيق في الحرب والسـلم، وتحريم الخيانة فيها سراً أو جهراً، وتحريم الخيانة في كل أمانة مادية أو معنوية،
* الغاية من القتال في الإســـلام حرية الدين، ومنع فتنة أحد واضـــطهاده؛ لأجل إرجاعه عن دينه. وإقرار مبدأ الإسـلام في أن السلم هو الأصـل، أما الحرب فهي أمر لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة التي تقتضيها

سورة الأعراف تعرض صراع الحق والباطل عبر قصص الأمم السابقة، وتبين عاقبة المكذبين والجاحدين. تدعو إلى الثبات على طريق الحق، والتحذير من الغفلة والغرور بزينة الدنيا، مع التأكيد على أهمية الاستجابة لنداء الله قبل فوات الأوان.

سورة الأعراف المكية تعالج موضوع العقيدة في أسلوب مختلف عن بقية السور المكية. إنها تعرضه في مجال التاريخ البشري. في مجال رحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والملأ الأعلى، انطلقت هذه البشـــرية من نقطة البدء، ممثلة في آدم ورفاقه، وانطلق معهم الشيطان مأذونا من الله في غوايتهما وغواية ذراريهما. وابتلاء كلاهما وذراريهما معهما بقدر من الاختيار؛ ليأخذوا عهد الله بقوة أو ليركنوا إلى الشيطان عدوهم.

إن القرآن لا يقص قصـــة إلا ليواجه بها حالة. ولا يقرر حقيقة إلا ليغير بها باطلا. إنه يتحرك حركة واقعية حية في وســـط واقع حي. إنه لا يقرر حقائقه للنظر المجرد ، ولا يقص قصصه لمجرد المتاع الفني، فالسياق يركز على التذكير والإنذار في وقفاته للتعقيب . ويلحظ المتتبع لسياق القصص كله في السورة أن كل رسول يقول لقومه قولة واحدة :(يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

يتجه السياق إلى خطاب رسول الله (ص) : كيف يعامل الناس؟ كيف يمضي بهذه الدعوة ؟ كيف يســتعين على متاعب الطريق ؟ كيف يكظم غضـــبه وهو يعاني من نفوس الناس وكيدهم ؟

2. كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

{17} ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَـــمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ

قال ابليس في أية أخرى "*لأقعدن لهم صـــراطك المســتقيم*": والشـيطان توعد أن يجلس لعباد الله على الصراط المستقيم، أي في القيم الإنسانية. ويقول هنا لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فأصدهم عن الحق، وأُحسِّن لهم الباطل فيما يقومون به الآن، فيزين لهم ما بين أيديهم مثل عقوق الوالدين وأكل مال اليتيم وارتكاب الفاحشـــة والغش في الميزان وشهادة الزور، ومن خلفهم: أي ما تعهدوا به سابقاً مثل نقض العهود والقرارات السابقة، وعن أيمانهم أي في الأمور المهمة في حياتهم مثل المال والأولاد، وفي شـــمائلهم أي في جميع قيمهم الأخلاقية. وبالتالي لا يكونوا مؤمنين مطيعين، شاكرين لنعمك

26} يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ {27} يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّـــيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَـــهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَـــوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

أنزلنا تعني ألهمناكم لإدراك كيف تعملون الملابس، ومثل ذلك قوله تعالى وأنزلنا الحديد أي جعلناكم تُدركوا أهمية الحديد في صـــناعاتكم. فالإنزال معنوي يعني الإدراك. ولباس التقوى معنوي أيضاً. وينزع عنهما لباسهما أي ينسيهما أوامر الله فيرتبكوا المعصية.

بينما يستعمل القرآن مصطلح التنزيل من فِعل نَزَّل للدلالة على شيء محسوس. كما في قوله تعالى: " *وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ* "

{31} يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

ولا تُسرفوا أي لا تقعوا في الحرام من المأكولات واالمشروبات.

{40} إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ

والجَمَل : البعير المعروف للعرب، ويأتي أيضا بمعنى الحبل الغليظ الذي تربط فيه القوارب عند رسوها. وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى في وصف أعمدة النار: *إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ"* أي :كأنها جِبال ثخينة

والخِياط هو المِخْيَط بكسر الميم وهو آلة الخياطة المسمّى بالإبْرَة

والسَمّ : الخَرْت الذي في الإبرة يُدخل فيه خيط الخائط

وقوله : { لا نفتح لهم أبواب السماء} كلمة جامعة لمعنى الحرمان من الخيرات الإلهيّة المحضة ، وإن كانوا ينالون من نِعم الله ما يناله غيرهم ، فيغاثون بالمَطَر ، ويأتيهم الرّزق من الله ، وهذا بيان لحال خذلانهم في الدّنيا الحائل بينهم وبين وسائل دخول الجنّة

{41} لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

المِهاد -بكسر الميم- ما يُمْهَد أي يفرش،

و« غواش » جمع غاشية وهي مَا يغشى الإنسانَ، أي يغطّيه كاللّحاف،

شبّه ما هو تحتهم من النّار بالمِهاد، وما هو فوقهم منها بالغواش، وذلك كناية عن انتفاء الرّاحة لهم في جهنّم، فإنّ المرء يحتاج إلى المهاد والغاشية عند اضطجاعه للرّاحة، فإذا كان مهادهم وغاشيتهم النّار. فقد انتفت راحتهم، وهذا ذِكر لعذابهم يوم القيامة بعد أن ذكر حِرمانهم من الخيرات في الآية السابقة.

{43} وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ

ولقد طهرنا قلوب أهل الجنة من الحسد والبغضاء، حتى لا يكون بينهم إلا المحبة والتعاطف

{46} وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ

والحجاب : حاجز ضُرب فاصلاً بين مكان الجنّة ومكان جهنّم، وقد سمّاه القرآن سوراً في قوله : {فضرب *بينهم بسور له باب*} في سورة الحديد (13) ، وسمّي السور حجاباً لأنّه يقصد منه الحجب والمنع كما سُمّي سوراً باعتبار الإحاطة

أصحاب الأعراف هم الملائكة خزنة جهنمّ والجنَّة، وعلى أنَّ الأعراف هي أبواب جهنمّ والجنَّة، نجده في سورة الزّمر: *وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ "﴿٧٣﴾*.

لذلك نفهم أن الملائكة الحراس على أبواب جهنم قالوا لأهل النار المعروفون لديهم: أي شـــيء نفعكم جمعكم للمال، واســـتكباركم عن الإيمان؟ والاســـتفهام للتوبيخ. فيُقال للمؤمنين: ادخلوا الجنة رغم أنوف الكافرين

{58} وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَـــرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ

والبلد الطّيب الأرضُ الموصوفة بالطِيب، وطيبها زكاء تربتها وملاءمتها لإخراج النّبات الصّالح وللزّرع والغرس النّافع وهي الأرض الخصبة والذي خبث ضدّ الطّيب.

هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالمؤمن طيب وعمله طيب، كالأرض الطيبة ثمرها طيب، والكافر خبيث، وعمله خبيث، كالأرض السبخة المالحة لا ينتفع بها

{82} وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ

جملة: { إنهم أناس يتطهرون} علّة للأمر بالإخراج. وتطلق الطّهارة على تزكية النّفس والحذر من الرذائل وهي المراد هنا، وتلك صفة كمال، لكن القوم لمّا تمرّدوا على الفسوق كان يعُدّون الكمال منافراً لطباعهم ، فلا يطيقون معاشرة أهل الكمال.

{94} وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ

كان القصد من الآيات السابقة العبرة بالأمم الخالية موعظة لكفّار العرب، فلما تلا عليهم قصص خمس أمم، جاء الآن بحكم كلي يعم سائر الأمم المكذبة. إن السياق القرآني هنا لا يروي حادثة، إنما يكشف عن سنة من سُنَن الله. ولا يعرض سيرة قوم إنما يعلن عن خطوات قَدَر . . ومن ثم يتكشف أن هناك ناموساً تجري عليه الأمور؛ وتتم وفقه الأحداث ؛ ويتحرك به تاريخ " الإنسان " في هذه الأرض.

والأخذ : الإصابة بالمكروه الذي لا يستطاع دفعه

فليس للعبث - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - يأخذ الله عباده بالشدة في أنفسهم وأبدانهم وأرزاقهم وأموالهم، إنما يأخذ الله المكذبين برُسِله بالبأساء والضراء، لأن من طبيعة الابتلاء بالشدة أن يوقظ الفطرة التي ما يزال فيها خير يرجى. إن تضرع العباد وإعلان عباديتهم لله إنما يصلحهم هم؛ ويصلح حياتهم ومعاشهم كذلك. . فمتى أعلن الناس عباديتهم لله تحرروا من العبودية لسواه. تحرروا من العبودية للشيطان الذي يريد ليغويهم.

{129} قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

{ قالوا } حكاية جواب قوم موسى إياه، ، وكأنهم أرادوا التعريض بنفاد صبرهم وأن الأذى الذي مسهم بعد بعثة موسى لم يكن بداية الأذى، بل جاء بعد طول مدة من الأذى ، فلذلك جمعوا في كلامهم ما لحقهم قبل بعثة موسى. فأجابهم موسى - عسى أن يكونوا هم الذين يرثون مُلك الأرض والذين تكون لهم العاقبة .وجاء بفعل الرجاء دون الجزم تأدباً مع الله تعالى، وإقصاء للاتكال على أعمالهم ليزدادوا من التقوى والتعرض إلى رضى الله تعالى ونصره

{130} وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ

(السنين) تطلق في اللغة على سني الجدب والشدة والقحط

إنها إشارة التحذير الأولى . . الجدب ونقص الثمرات

{143} وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

لاحظ الاستعمال الدقيق للكلمات في القرآن حين قال (وكلمه ربه) ولم يقل وكلمه الله لأن موسى نبي ويعرف أنه لا يُمكن رؤية الله، فسبحانه يقول " {وما *كان لِبَشَرٍ أن يكلمه الله إلاّ وحيا* } الآية في سورة الشورى (51) ، فالرب هنا يعني الملاك المكلف بالوحي لموسى) . بينما حين طلب قومه أن يروا لله تجاوزوا كل الحدود فعاقبهم الله على تشبيهه بمن يُمكن رؤيته. "قال تعالى: *وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ*} [سورة البقرة: 55]

{166} فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ {168} وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

فلما عتوا: فلما أعرضوا واستكبروا

قَرَدَ: تعريف ومعنى قرد يقرد قردا في قاموس الكل: بعض معانيه: 1- **ذَلَّ**

2- قرد الكحل في العين: **تقطع.**

وفي معجم المعاني الجامع **قَرَّدَ فلانٌ: ذَلَّ وخضع**

خَنَزَ اللحمُ والتمرُ **: فسد وأنتن**

وفي معجم لسان العرب: **خَنَزَ** اللحمُ والتمرُ : فسد **وأنتن**

كونوا قردة خاسئين: الدلالة هنا ليست مادية فلم يصبحوا قردة في أجسامهم، بل دلالة معنوية، فبتصرفاتهم السيئة تخلوا عن انسانيتهم فأصبحوا أذلاء مشتتين في أقطاع الأرض كالقردة في الغابات التي لا تثبت على حال، تتنقل من شجرة لأخرى ومن فرع شجرة لفرع آخر. وقد وصفهم كذلك في سورة المائدة آية 60.

{171} وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

النتق: الفصل والقلع. والجبل الطور. والظلة السحابة

هذه آية أظهرها الله لهم تخويفاً لهم، لتكون مُذكرة لهم، فيعقب ذلك أخذُ العهد عليهم بعزيمة العمل بالتوراة، فكان رفع الطور معجزة لموسى عليه السلام تصديقاً له فيما سيبلِّغهم عن الله من أخذ أحكام التوراة بعزيمة ومداومة. وعُدّي {واقع } بالباء : للدلالة على أنهم كانوا مستقرين في الجبل، فهو إذا ارتفع وقع ملابساً لهم ففتتهم ، فهم يرون أعلاه فوقهم وهم في سفحه.

{172} وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ

هذا الكلام موجه لعموم الناس: أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه الفطرة لإدراك أدلة الوحدانية ، وجعل في فطرة حركة تفكير الإنسان التطلع إلى إدراك ذلك، وتحصيل إدراكه إذا جرد نفسه من العوارض التي تدخل على فطرته فتفسدها . وأخذُ العهد على

من خلفهم من ذرية بني آدم. والإشـــهاد على الأنفس يطلق على ما يســـاوي الإقرار أو الحمل عليه، واسـتعير لحالة مغيبة تتضـمن هذا الإقرار يعلمها الله لاسـتقرار معنى هذا الاعتراف في فطرتهم . والضمير في {أشهدهم } عائد على الذرية باعتبار معناه
ومعنى أن لا تقولوا: أن ذلك لمَّا جُعِل في الفطرة عند التكوين كانت عقول البشـر منسـاقة إليه ، فلا يغفل عنه أحد منهم فيعتذرَ يوم القيامة - إذا سـئل عن الإشـراك - بعذر الغفلة، فهذا إبطال للاعتذار بالغفلة

{175} وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ

وكمثل للانحراف عن ســـواء الفطرة، ونقض عهد الله المأخوذ عليها، ونكوص عن آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها. ذلك الذي آتاه الله آياته، فكانت في متناول نظره وفكره؛ ولكنه انسلخ منها ، وتعرى عنها ولصق بالأرض ، واتبع الهوى ؛ فلم يستمسك بالميثاق الأول ، ولا بالآيات الهادية ؛ فاستولى عليه الشيطان ؛ وأمسى مطروداً من حمى الله ، لا يهدأ ولا يطمئن ولا يسكن إلى قرار.

{176} وَلَوْ شِـئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُـصِ الْقَصَـصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

{ولو شئنا لرَفَعْناه بها } أفاد أن تلك الآيات شأنها أن تكون سبباً للهداية والتزكية، والرفعة وكمال النفس وزكاتها، لأن الصـفات الحميدة تجعل صـاحبها مرتفعاً على من دونه ، أي لو شـئنا لاكتسـب بعمله بالآيات فضـلاً وزكاء وتميزاً بالفضـل، فمعنى لرفعناه ليسـرّنا له العمل بها الذي يَشـرُف به. ولكنه أخلد إلى الأرض أي كذَّب بهذه الآيات واسـتمر على ما كان عليه، فصار في شَقاء وعناد.
فهذا الضـال كان يبحث عن الدين الصـالح في حينَ كان موجوداً عنده بالفطرة. فلما جاء الحق ببعثة محمد، تحمل مشـــقة العناد والإعراض عنه في وقت كان جديراً فيه بأن يستريح من عنائه ؛ لحصول طلبته، فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الموصوف باللّهث، فهو يلهث في حالة وجود أسباب اللهث من الطرد والمشقة وهي حالة الحمل عليه ، وفي حالة الخلو عن ذلك السبب وهي حالة تركه في دعة ومسالمة.

{188} قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

هذا الإخبار عن حال الرسـول عليه الصـلاة والسـلام نحو معرفة الغيب، ليقلع من عقول المشـركين توهمَ ملازمة معرفة الغيب لصـفة النبوة، ففيه إعلان للمشـركين بالتزام أنه لا يَعلم الغيب ، وأن ذلك ليس بطاعن في نبوته حتى يسـتيْئسـوا من تحديه بذلك ، وإعلاماً للمسـلمين بالتمييز بين ما تقتضـيه النبوة وما لا تقتضـيه ، ولذلك نفى عن نفسـه معرفة أحواله المغيّبة ، فضـلاً على معرفة المغيبات من أحوال غيره إلاّ ما شـاء الله . وهذا ردّ على كل من يُنسَب للرسول من روايات تتعلق بالغيب.

{199} خُـذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِـالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَـاهِلِينَ {200} وَإِمَّـا يَنْزَغَنَّـكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

العفو: الصـــفح عن ذنب المذنب وعدم مؤاخذته بذَنبه، والمراد به هنا ما يعم العفو عن المشركين وعدم مؤاخذتهم بجفائهم وإساءتهم للرسول والمؤمنين.
{ العُرف } اسم مرادف للمعروف من الأعمال وهو الفعل الذي تعرفه النفوس أي لا تنكره إذا خليت وشأنها بدون غرض لها في ضده. **والإعراض**: إدارة الوجه عن النظر للشيء .
« الجهل » هنا ضد الحلم والرشد والعِلم
فإذا ألقى إليك الشيطان ما يخالف هذا الأمر بأن سوّل لك الأخذ بالمعاقبة أوْ سَوّل لك تركَ أمرهم بالمعروف غضـــباً عليهم أو يأســـاً من هداهم، فاســـتعذ بالله منه ليدفع عنك حرجه ويشرح صدرك لمحبة العمل بما أُمِرت به .

202} وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ
وإخوانهم الذين يمدونهم في الغي هم شـــياطين الجن. وقد يكونون هم شـــياطين الإنس أيضـــاً . إنهم يزيدون لهم في الضـــلال، لا يكلون ولا يســـأمون ولا يســـكتون! وهم من ثم يحمقون ويجهلون! ويظلون فيما هم فيه سادرين.

الدروس المستفادة من سورة الأعراف
- أنه سبحانه أنزل القرآن للإنذار به والتذكير؛ ولمجابهة العقائد الفاسدة، والتقاليد البالية، ولمعارضة النُظُمِ الظالمة،
- أنه ســبحانه هو الذي مكن لهم في الأرض، وأودع فيها خصـــائص البقاء والحياة، التي تسمح بحياة الإنسان بما فيها من أسباب الرزق والمعايش.
- بيان سنة الله التي جرت بها مشيئته بالمكذبين، وهي سنة واحدة، يأخذ الله بها المكذبين بالبأساء والضراء؛ لعل قلوبهم ترق وتلين وتتجه إلى الله،
- بينت السورة أصـول التشـريع الكلية، وحرمت التقليد في الدين والأخذ فيه بآراء الآباء والسابقين، وبالمقابل عظمت من شأن النظر العقلي والتفكر; لتحصيل العلم ومعرفة آيات الله وسننه في خلقه وفضله على عباده.
- الإنكار على من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، وبيان أنها حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا، وقيدها بعدم الاعتداء والإسراف في ذلك،
- قررت السورة سُنَّة اجتماعية أخرى، حاصلها أن الأرض ليست رهن تصرف الملوك والدول بقدرتهم الذاتية فتدوم لهم، وإنما هي لله سبحانه، وأن الأمم المستضعفة مهما يكن عدوها الظالم لها قوياً، فليس لها أن تيأس من الحياة.
- الدعوة إلى الســماحة واليســر، وبالواضــح من الأمر، الذي تعرفه فطرة البشــر في بساطتها، بغير تعقيد ولا تشديد. والإعراض عن الجاهلين، بعدم مؤاخذتهم، أو مجادلتهم،

سورة الأنعام ترسخ عقيدة التوحيد وتدحض الشبهات التي أوردها المشركون حول عبادة الأصنام. تذكر بآيات الله في الكون والحياة، وتؤكد أن الهداية بيد الله وحده. تدعو السورة إلى التفكر في نعم الله وآياته، وإخلاص الدين له دون سواه.

ابتدأت السورة بإشعار الناس بأن حق الحمد ليس إلا لله لأنه مبدع العوالم، ومنزه عن الولد والصاحبة. وفيها موعظة للمعرضين عن آيات القرآن والمكذبين بالدين الحق ، وتهديدهم بأن يحل بهم ما حل بالقرون المكذبين من قبلهم والكافرين بنعم الله تعالى ، وأنهم ما يضُرون بالإنكار إلا أنفسهم . ووعيدهم بما سيلقون عند نزع أرواحهم ، ثم عند البعث .

وتسفيه المشركين فيما اقترحوه على النبي (ص) من طلب إظهار الخوارق تهكما .وإثبات صدق القرآن بأن أهل الكتاب يعرفون أنه الحق. وتثبيت النبي (ص) وأمره بالإعراض عنهم . كما تبين حكمة إرسال الله الرسل ، وأنها للإنذار والتبشير، وليست وظيفة الرسل إخبار الناس بما يتطلبون علمه من المغيبات .

وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية ، وأشدها مجادلة لهم واحتجاجا على سفاهة أحوالهم فيما حرَّموه على أنفسهم مما رزقهم الله.

{1}ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ {2} هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ

براءةبعد أن تحدث في الآية الأولى عن خلق السماوات والأرض، تحدث عن أصل خلق الإنسان. هو الذي أنشأكم من طين، ثم تعهدكم برعايته في مراحل خلقكم بعد ذلك التي لا يعلم مدَّتها إلا الله حتى صرتم بشراً، ثم بين لكم طريق الهدى ومنحكم الحرية، فمن يختار الخير فيهتدى ويختار الشر فيردى، كما أن فيه تذكيراً له بأصله حتى لا يستكبر أو يطغى ، وحتى يوقن بأن من خلقه من هذا الأصل قادر على أن يعيده إليه . ثم إنكم بعد كل هذه الأدلة الدالة على وحدانية الله، وعلى أن يوم القيامة حق، تشكون في ذلك، وتجادلون المؤمنين فيما تشكون فيه، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير

والامتراء : الشكّ والتردّد في الأمر

{7} وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ

يعرضون عن أيات الله، ليس لأن البرهان على صدقها ضعيف، أو غامض، أو تختلف فيه العقول. إنما الذي يجعلهم يقفون هذا الموقف هو المكابرة الغليظة والعناد الصفيق! وهو الإصرار مبدئيا على الرفض والإنكار وعدم اعتبار البرهان أو النظر إليه أصلا! ولو أن الله - سبحانه - نزل على رسول الله [ص] هذا القرآن ، لا عن طريق الوحي الذي لا يرونه؛ ولكن في ورقة منظورة ملموسة محسوسة ؛ ثم لمسوا هم هذه الورقة بأيديهم - لا سماعا عن غيرهم ، ولا مجرد رؤية بعيونهم - ما سلموا بهذا الذي يرونه ويلمسونه

{8} وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ

إنهم يقترحون أن ينزل الله ملكا. ولكن سنة الله أن ينزل الملائكة - حين ينزلون إلى الأرض على قوم كذبوا برسولهم - أن ينزلوا للتدمير عليهم، وتحقيق أمر الله فيهم بالهلاك والدمار . ولو أن الله استجاب للمشركين من العرب فأنزل مَلَكا، لقضي الأمر، وتم التدمير ، ولم ينظروا إلى مهلة بعد هذا التنزيل ! فهل هذا ما يريدون وما يقترحون ؟

{9} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ

فلو شاء الله أن يرسل مَلَكا يصدق رسوله، لتبدى للناس في صورة رجل - لا في صورته الملائكية - وعندئذ يلتبس عليهم الأمر مرة أخرى! وإذا كانوا يلبسون على أنفسهم الحقيقة ومحمد [ص] يقول لهم : أنا محمد الذي تعرفونه أرسلني الله إليكم لأنذركم وأبشركم. . ، فكيف يكون اللبس إذا جاءهم مَلَك - في صـــورة رجل لا يعرفونه - يقول لهم : أنا ملك أرسلني الله لأصدق ررسوله. بينما هم يرونه رجلا كأي منهم ؟
واللّبس : خلط يعرض في الصفات والمعاني بحيث يعسر تمييز بعضها عن بعض

{18} وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

هذه الجملة معطوفة على جملة { وإن يمسسك الله بضرّ} [الأنعام : 17] الآية ، والمناسبة بينهما أنّ مضمون كلتيهما يبطل استحقاق الأصنام العبادة. فالآية الأولى أبطلت ذلك بنفي أن يكون للأصـــنام تصـــرّف في أحوال المخلوقات، وهذه الآية أبطلت أن يكون غير الله قاهراً على أحد أو خبيراً أو عالماً بإعطاء كل مخلوق ما يناســـبه. لأنّه قهر بأســـباب لا يستطيع أحد خلق ما يدافعها. وممّا يشاهد منها دوماً النوم وكذلك الموتُ. سبحان من قهر العباد بالموت .

{25} وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

سُنَّة الله - سبحانه – انه قدَّر أسباب وطرق الهداية وأسباب طرق الضلال.
فمن يجاهد ليبلغ الهدى ويختار ســـبيلا من سُـــبُل الهداية ييسّـــره له. . . فأما هؤلاء فلم يتوجهوا إلى الهدى ليهديهم الله؛ ولم يحاولوا أن يســتخدموا أجهزة الاســتقبال الفطرية في كيانهم ، فييسر الله لهم الاستجابة. هؤلاء عطلوا أجهزتهم الفطرية ابتداء؛ فجعل الله بينهم وبين الهدى حجابا ؛ وصـــاروا حين يجيئون إلى الرســـول [ص] لا يجيئون مفتوحي الأعين والآذان والقلوب ؛ ليتدبروا ما يقوله لهم تدبر الباحث عن الحق ؛ ولكن ليجادلوا ويتلمسوا أسباب الرد والتكذيب

{26} وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

إن هؤلاء المشركين لا يكتفون بمحاربة الحق، بل يزجرون الناس عن اتباعه، ويبعدونهم عن الاستماع إليه . فهم قد جمعوا بين فعلين قبيحين: محاربتهم للحق وحمل غيرهم معهم على محاربته والبعد عنه. وعملهم هذا يدل على أنهم كانوا معترفين فى قرارة أنفسهم بأن القرآن حق، لأنهم لو كانوا يعتقدون أنه أساطير الأولين - كما زعموا - لتركوا الناس يسمعونها ليتأكدوا من أنها خرافات وأوهام ، ولكنهم لما كانوا مؤمنين ببلاغة القرآن وصدقه ، فإنهم نهوا غيرهم عن سماعه حتى لا يؤمن به وابتعدوا هم عنه حتى لا يتأثروا به فيدخلوا فى دين الإسلام ، ولقد حكى الله عنهم هذا المعنى فى قوله - تعالى- { وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لهذا القرآن والغوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }

{33} قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ

إن مشـركي العرب في جاهليتهم - وخاصـة تلك الطبقة التي كانت تتصـدى للدعوة من قريش - لم يكونوا يشـكون في صـدق محمد [ص] فلقد عرفوه صـادقا أمينا، إنهم لم يرفضـوا لأنهم يكذبون النبي [ص] ولكن لأن في دعوته خطرا على نفوذهم ومكانتهم. وهذا هو السبب الذي من أجله قرروا الجحود بآيات الله، والبقاء على الشرك الذي كانوا فيه

{35} وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ

في مواجهة ما عساه يعتمل في نفس رسول الله [ص] من الرغبة البشرية، المشتاقة إلى هداية قومه ، المتطلعة إلى الاستجابة لما يطلبونه من آية لعلهم يهتدون، تجيء تلك المواجهة الشديدة في القرآن الكريم: تلك سنتنا - يا محمد - فإن كان قد كبر عليك إعراضهم ، وشق عليك تكذيبهم، وكنت ترغب في إتيانهم بآية. . إذن. . فإن استطعت فابتغ لك نفقا في الأرض أو سلما في السماء، فأتهم بآية! فليس الذي ينقص هو الآية التي تدلهم على الحق فيما تقول، ولكنه سبحانه - لحكمته العليا الشاملة في الوجود كله - خلق هذا الخلق المسمى بالإنسان، لوظيفة معينة، تقتضي - في تدبيره العلوي الشامل - أن تكون له استعدادات معينة غير استعدادات الملائكة. من بينها التنوع في الاستعدادات، والتنوع في استقبال دلائل الهدى وموحيات الإيمان، والتنوع في الاستجابة لهذه الدلائل والموحيات. في حدود من القدرة على الاتجاه، بالقدر الذي يكون عدلا معه تنوع الجزاء على الهدى والضلال .لذلك لم يجمعهم الله على الهدى بأمر تكويني من عنده، ولكنه أمرهم بالهدى وترك لهم اختيار الطاعة أو المعصية، وتلقي الجزاء العادل في نهاية المطاف . . فأعلم ذلك ولا تكن مما يجهلونه

{38} وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ

ويأخذ السياق القرآني طريقه إلى قلوبهم من مدخل آخر لطيف. ويوقظ فيها قوى الملاحظة والتدبر لما في الوجود حولهم من دلائل الهدى وموحيات الإيمان، لو تدبروه وعقلوه: إن الناس ليسوا وحدهم في هذا الكون، حتى يكون وجودهم مصادفة، وحتى تكون حياتهم سدى! إن حولهم أحياء أخرى، كلها ذات أمر منتظم، يوحي بالقصد والتدبير والحكمة، ويوحي كذلك بوحدة الخالق، ووحدة التدبير الذي يأخذ به خلقه كله. ما من خلق حي في هذه الأرض كلها إلا وهو ينتظم في أمة، ذات خصائص واحدة، وذات طريقة في الحياة واحدة كذلك. . شأنها في هذا شأن أمة الناس.. ما ترك الله شيئا من خلقه بدون تدبير يشمله، وعلم يحصيه. . وفي النهاية تحشر الخلائق إلى ربها . فيقضي في أمرها بما يشاء

{50} قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ

كان الناس ينتظرون ممن يدعي النبوة مثل هذه الأمور؛ ويطالبونه بالتنبؤ بالغيب تارة ؛ وبالتأثير في النواميس الكونية عن طريق الكهانة أو طريق السحر تارة . . ومن هذا المعين كانت اقتراحات المشركين على رسول الله [ص] ولتصحيح هذه الأوهام كلها جاءت التحريرات المكررة في القرآن الكريم عن طبيعة الرسالة وطبيعة الرسول . .

ومنها هذا التقرير: إنه [ص] يؤمر من ربه أن يقدم لهم نفسه بشرا مجردا من كل الأوهام التي سادت الجاهليات عن طبيعة النبي والنبوة. وأن يقدم لهم كذلك هذه العقيدة بذاتها مجردة من كل إغراء. لا ثراء ولا ادعاء . إنها عقيدة يحملها رسول، لا يملك إلا هداية الله، تنير له الطريق !ولا يتبع إلا وحي الله يعلمه ما لم يكن يعلم. إنه لا يقعد على خزائن الله ، ليغدق منها على من يتبعه، ولا يملك مفاتح الغيب ليدل أتباعه على ما هو كائن ؛ ولا هو ملك كما يطلبون أن ينزل الله ملكا. إنما هو بشر رسول؛ وإنما هي هذه العقيدة وحدها، في صورتها الناصعة الواضحة البسيطة ..نها العقيدة هتاف هذه الفطرة، وقوام هذه الحياة ودليل الطريق إلى الآخرة، وإلى الله. ثم وشبّهت حالة من لا يفقه الأدلّة ولا يفكّك بين المعاني المتشابهة بحالة الأعمى الذي لا يعرف أين يقصد ولا أين يضع قدمه. وشبّهت حالة من يُميّز الحقائق ولا يلتبس عليه بعضها ببعض بحالة القويّ البصر حيث لا تختلط عليه الأشباح. وهذا تمثيل لحال المشركين في فساد الوضع لأدلّتهم وعُقم أقيستهم، ولحال المؤمنين الذين اهتدوا ووضعوا الأشياء مواضعها، أو تمثيل لحال المشركين التي هم متلبّسون بها والحال المطلوبة منهم التي نفروا منها ليعلموا أيّ الحالين أولى بالتخلّق .

{59} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

اطيعوا الله بما جاء به من احكام التنزيل الحكيم. وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، هنا فصل النص بين الطاعتين، وربط طاعة أولي الأمر بطاعة الرسول دلالة على أن مقام الرسول هنا هو مقامه كولي أمر المسلمين، فهو الحاكم والقاضي وقائد الجيش.
وأطيعوا الحكام إذا كانوا مسلمين متمسكين بشرع الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن اختلفتم في أمر من الأمور فردوه إلى الله والرسول (ص) إن كنتم مؤمنين حقا، فهو خير لكم وأصلح، وأحسن عاقبة ومآلا..

{123} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

في هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ببيان أن المترفين في كل زمان ومكان هم أعداء الإصلاح، وأن ما لقيه صلى الله عليه وسلم من أكابر مكة ليس بدعا بل هو شيء رآه الأنبياء قبله على أيدى أمثال هؤلاء المترفين

{128} وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

يقصد به تسجيل الجريمة على الجن والتانيب عليها - جريمة إغواء هذا الحشد الكبير من الإنس. لا يجيب الجن على هذا القول بشيء. ولكن الأغرار من الإنس المستخفين بوسوسة الشياطين يجيبون: لقد كانوا يستمتعون بإغواء الجن لهم بما كان يزين لهم من التصورات والأفكار، ومن المكابرة والاستهتار، ومن الإثم ظاهره وباطنه! وهؤلاء الأغرار المستخفون يحسبون أنه كان استمتاعا متبادلا. ودام هذا المتاع طوال فترة الحياة، حتى حان الأجل ، الذي يعلمون اليوم فقط أن الله هو الذي أمهلهم إليه ؛ وأنهم كانوا في

قبضته في أثناء ذلك المتاع: عند ذلك يجيء الحكم الفاصل، بالجزاء العادل :(قال : النار مثواكم خالدين فيها - إلا ما شاء الله

{136} وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ {137} وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ

قرر السياق - وهو يصف تصورات الجاهلية وتقاليدها في الحرث والأنعام - أن الله هو الذي أنشأ لهم هذه الزروع والأنعام؛ فما من أحد غير الله يرزق الناس من الأرض والسماء. ثم يذكر بعد هذا التقرير ما يفعلونه بما رزقهم. إذ يجعلون له منه سبحانه جزءا، ويجعلون لأوثانهم وأصنامهم جزءا [وطبيعي أن سدنة الأوثان هم الذين ينتهي إليهم هذا كله] . ثم هم بعد ذلك يجورون على الجزء الذي جعلوه لله . على النحو الذي تقرره الآية !

وكما زين الشركاء والشياطين لهم ذلك التصرف في أموالهم كذلك زينوا لهم قتل أولادهم. . وذلك ما كانوا يفعلونه من وأد البنات خشية الإملاق - أو خشية السبي والعار - ومن قتل بعض الأبناء في النذر للآلهة. خلطوا عليهم دينهم فيوهموهم الضّلال رشداً وأنّه مراد الله منهم ، فهم يتقرّبون إلى الله وإلى الأصنام لتقرّبهم إلى الله ، ولا يفرّقون بين ما يرضاه الله وما لا يرضاه ، ويخيّلون إليهم أنّ وأد البنات مصلحة .

{141} وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

إن الله - سبحانه - هو الذي خلق هذه الجنات ابتداء - فهو الذي أخرج الحياة من الموات - وهذه الجنات منها الإنسيات المعروشات التي يتعهدها الإنسان بالعرائش والحوائط؛ ومنها البريات التي تنبت بذاتها - بقدر الله - وتنمو بلا مساعدة من الإنسان ولا تنظيم. وإن الله هو الذي أنشأ النخل والزرع مختلف الألوان والطعوم والأشكال. وقوله لا تُسرفوا: أي لا تتعدوا م هو حلال لكم من المطعومات إلى ما هو حرام.

{148} سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ

إنهم يقولون : إنهم مجبرون لا مخيرون فيما اعتسفوا من شرك وضلال. فلو كان الله لا يريد منهم الشرك والضلال لمنعهم منه بقدرته التي لا يعجزها شيء. فأجاب النص بأنهم كذبوا كما كذب الذين من قبلهم، وقد ذاق المكذبون من قبلهم بأس الله. وبأس الله ينتظر المكذبين الجدد : إن الله أمرهم بأوامر ونهاهم عن محظورات. وهذا ما يملكون أن يعلموه علماً مستيقناً. . فأما مشيئة الله فهي غيب لا وسيلة لهم إليه ، فكيف يعلمونه ؟ وإذا لم يعلموه يقيناً فكيف يحيلون عليه

{151} قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {152} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {153} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

فالذي يُحَرِّم هو "الرب" والله هو وحده الذي يجب أن يكون ربا. فالمحرمات وردت في هذه الآيات المحكمات موجزة وكل منها جرى تفصيلها في سور وآيات أخرى في التنزيل الحكيم، بحيث لا يدع مجالا لأحد من البشر بالزيادة عليها أو النقصان منها: وهذه تُمثِّل القيم الإنسانية لجميع البشر.

سورة المائدة تؤكد على أهمية الالتزام بالعهود والمواثيق مع الله ومع الناس، وتعرض أحكام الحلال والحرام في المأكل والمعاملات. تدعو السورة إلى إقامة العدل وعدم الخضوع للأهواء، كما تذكر بمواقف أهل الكتاب وتحذر من الانحراف عن منهج الله.

سورة المائدة من السورة المدنية الطويلة، وقد تناولت إلى جانب موضوع العقيدة، وقصص أهل الكتاب، والأحكام الشرعية، لأن الدولة الإسلامية كانت في بداية تكوينها، وهي بحاجة إلى المنهج الذي يعصمها من الزلل، ويرسم لها طريق البناء والاستقرار. وبيان معنى "الدين " وأنه هو منهج الحياة الذي يحدد ما شرعه الله للناس من حلال أو حرام.

ومن ثم تتوارد النصوص هكذا في ثنايا السورة؛ في تقرير الألوهية الواحدة؛ ونفي كل شرك أو تثليث أو خلط بين ذات الله - سبحانه - وبين غيره. أو بين خصائص الألوهية، وخصائص العبادية على الإطلاق :ويتضمن سياق السورة أحكاما شرعية منوعة : منها ما يتعلق بالحلال والحرام من الذبائح، والحلال والحرام من النكاح. والطهارة والصلاة. ومنها ما يتعلق بالقضاء وإقامة العدل فيه والحدود في السرقة وبالخمر، والميسر والأنصاب والأزلام. ومنها ما يتعلق بالوصية عند الموت. والنهي عن التحريم والتحليل إلا بإذنه.

{1} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

العقود تشمل ما يتعلق بكل المعاملات مع الناس والأحياء والأشياء في هذا الكون في حدود ما شرع الله –

بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ: تشمل الإبل والبقر والغنم ; ويضاف إليها الوحشي منها، كالبقر الوحشي، والحمر الوحشية والظباء. ثم يأخذ في الاستثناء من هذا العموم . . . وأول المستثنيات الصيد في حال الإحرام

شعائر الله في هذا المقام هي شعائر الحج والعمرة ومـــا تتـــضمنه مـــن محرمات على المحرم للحج او العمرة حتى ينتهي حجه بنحر الهدي الذي ساقه إلـى البيـت الحـرام ; فـلا يستحلها المحرم في فترة إحرامه ; لأن استحلالها فيه استهانة بحرمة الله الذي شرع هذه الشعائر

الشـــهر الحرام يعني الأشـــهر الحرم ; وهي رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم . وقـد حـرم الله فيهـا القتال

الهدي وهو الذبيحـة التي يســـوقها الحـاج أو المعتمر ; وينحرها في آخر أيـام الحج أو العمرة، فينهي بها شعائر حجه أو عمرته. وهي نافة أو بقرة أو شاة

القلائد . وهي الأنعام المقلدة التي يقلدها أصحابها - أي يضعون في رقبتها قلادة - علامة على نـذرها لله ; ويطلقونها ترعى حتى تنحر في موعد النذر ومكانه.

يجرمنكم: يحملنكم، **{شَنَآنُ}**: بُغض

{3} حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ .....

الميتة، وهي ما مات حتف أنفه ولم يبق فيه روح.

والدم المسفوح: وهو الدم الذي يسيل عند الذبح، ولا يشمل ما تبقى في أعضـاء الذبيحة ولا الكبد والطحال

ولحم الخنزير: حرّم أكل لحمه بعينه، فلا يدخل ضمن ذلك المواد المصنعة

وما أهل لغير الله به، فهو محرم لمناقضته ابتداء للإيمان

والمنخنقة [وهي التي تموت خنقا]

والموقوذة [وهي التي تضرب بعصا أو خـشبة أو حجـر فتمـوت}

والمتردية [وهي التي تتردى من سطح أو جبل أو تتردى في بئر فتموت

[والنطيحة] وهي التـي تنطحهـا بهيمة فتموت

[**وما أكل السبع**] وهي ما تبقى من جسم الفريسة التي أكل منها الوحش. . فهي كلها أنواع من الميتة إذا لـم تـدرك بالذبح وفيها الروح .

وما ذبح على النصـب - وهي أصـنام كانت في الكعبة وكان المشـركون يذبحون عندها وينضحونها بـدماء الذبيحة في الجاهلية

اللحوم التي تقسـم عن طريق الأزلام.: وكانت كذلك تسـتخدم في الميسـر المعروف عند العرب ; فتقسم بواسطتها الناقة التي يتقامرون عليها - إذ يكون لكل من المتقامرين قدح، ثم تدار، فإذا خرج قدح أحدهم كان لـه من لحمها بقدر ما خصص لهذا القدح . . فحرم الله الاستقسام بالأزلام - لأنه نوع من الميسر المحـرم

أباح أكل تلك المحرمات في حالة وجود مجاعة عامة

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

كانت هذه آخر ما نزل من القرآن الكريم، ليعلن كمال الرسـالة فلم تنزل بعدها آيات تتعلق بالأحكام الشـــرعية، علما أن بعض الســـور المتعلقة بالعقيدة نزلت بعدها. والكمال يعني اكتمال الأحكام الشـــرعية، ولكن نعم الله على العباد لا تنقطع ولذلك اســـتعمل كلمة تمام النعمة وليس كمالها

{4} يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ.....

- كل الطيبات لهم حلال، فلم يحرم عليهم إلا الخبائث. ويضيف إلى الطيبات - وهي عامة - نوعا منها يدل على طيبته تخصيصه بالذكر بعد التعميم ; وهو ما تمسكه الجوارح المدربة على الصيد كالصقر والبازي، ومثلها كلاب الصيد، مما علمه أصحابه كيف يكلب الفريسة: أي يكبلها ويصطادها: وشرط الحِل فيما تمسكه هذه الجوارح المكبلة المعلمة المدربة ، أن تمسك على صاحبها: أي أن تحتفظ بما تمسكه من الصيد ; فلا تأكل منه عند صيده

{5} الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

هنا نطَّلِع على صفحة من صفحات السماحة الإسلامية ; في التعامل مع غير المسلمين، ممن يعيشون في المجتمع الإسلامي أو تربطهم به روابط الذمة والعهد من أهل الكتاب. . إن الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية ; ثم يعتزلهم، فيصبحوا في المجتمع الإسلامي معزولين - أو منبوذين - إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية، والمودة، والمجاملة والخلطة . فيجعل طعامهم حلا للمسلمين وطعام المسلمين حلا لهم كذلك. ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة. . وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم - وهن المحصنات بمعنى العفيفات الحرائر - طيبات للمسلمين، ويقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات. وهي سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام من بين سائر أتباع الديانات والنحل. وشرط حِل المحصنات الكتابيات، هو شرط حِل المحصنات المؤمنات (إذا آتيتموهن أجورهن محصنين، غير مسافحين، ولا متخذي أخدان). ذلك أن تؤدى المهور، بقصد النكاح الشرعي، الذي يحصن به الرجل امرأته ويصونها، لا أن يكون هذا المال طريقا إلى السفاح أو المخادنة . . والسفاح هو أن تكون المرأة لأي رجل (مثل بيوت الدعارة); والمخادنه أن تكون المرأة لخدين خاص بغير زواج (ويقول بعض المفسرين المعاصرين أنها تشمل المثلية الجنسية).

{6} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

وقد عبر عن الحدث الأصغر بقوله: (أو جاء أحد منكم من الغائط) . . والغائط مكان منخفض كانوا يقضون حاجتهم فيه. والمجيء من الغائط كناية عن قضاء الحاجة تبولا أو تبرزا.

وعبر عن الحدث الأكبر بقوله: (أو لامستم النساء). . لأن هذا التعبير الرقيق يكفي في الكناية عن المباشرة. وهذا لا يعني مجرد مصافحة المرأة، ففي هذه الحالة يستعمل النص كلمة لمَستم وليس لامستم.

{8} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

بعد التذكير بميثاق الله، فكان المقام الأوّل للحضّ على القيام لله ، أي الوفاء له بعهودهم له ، ولذلك عُدّي قوله: {قوّامين} باللام . وإذ كان العهد شهادة أتبع قولَه: {قوّامين لله} بقوله: { شهداء بالقسط}، أي شهداء بالعدل شهادة لا حيف فيها. ومن الميثاق الذي واثق الله به الأمة المسلمة، القوامة على البشرية بالعدل. العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه مع المودة والكراهية؛ ولا يتأثر بالقرابة أو المصلحة أو الهوى في حال من الأحوال. العدل المنبثق من القيام لله وحده بمنجاة من سائر المؤثرات. والشعور برقابة الله وعلمه بخفايا الصدور

{20} وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ {21} يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ

إن تذكير موسى لقومه بنعم الله وجعل انبياء فيهم، هو تذكير لهم بأن عليهم ان يُجاهدوا في سبيله ضد الطغاة والمفسدين في الأرض. وها هم طغاة في الأرض المقدسة عليكم محاربتهم. ثم أكمل موسى قائلا: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة، فالله قدَّر (كتب) لكم دخول الأرض، ولم يقل لتسكنوها بل لتحريرها من الطغاة. ولو كان المقصود تملك الأرض لجاء النص بصيغة **كتبها** الله لكم. كقوله لهم عن أرض فرعون في سورة الشعراء: *كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ* ﴿٥٩﴾ وقوله **وَأَوْرَثَكُمْ** أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧ الأحزاب﴾

فالذي كتبه الله وقدَّره هو **الدخول** وليس التملُّك.

{27} وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

هذه القصة تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان؛ ونموذجا كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له. كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة؛ ونموذجا كذلك من الطيبة والوداعة.

ابْنَيْ آدَمَ لا تعني ولدي آدم من صُلبِه. مثلها مثل يا بني آدم. ولا يحدد السياق القرآني لا زمان ولا مكان ولا أسماء القصة .وجميع القصص حول هذا الموضوع لا أساس لها.

{31} فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ .....

وهذا المشهد العظيم هو مشهد أوّل حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب سَتر المشاهد المكروهة. وهو أيضاً مشهد أوّلِ عِلم اكتسبه البشر بالتّقليد وبالتَّجربة، وهو أيضاً مشهد أوّل مظاهر تَلقّي البشر معارفه من عوالم أضعفَ منه، كما تَشَبَّه النَّاس بالحيوان في الزينة، فلبسوا الجُلُود الحسنة الملوّنة وتكلّلوا بالريش المُلوّن وبالزهور والحجارة الكريمة ، فكم في هذه الآية من عبرة للتَّاريخ والدّين والخُلُق.

والظاهر أن القاتل لم يكن قد رأى من قبل ميتا يدفن، والظاهر كذلك أن ندمه لم يكن ندم التوبة - وإلا لقبل الله توبته - وإنما كان الندم الناشئ من عدم جدوى فعلته، وما أعقبته له من تعب وعناء وقلق.

33} إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {34} إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

هذه إحدى الآيات التي يستشهد بها أعداء الإسلام على وحشية العقوبات في القرآن اعتماداً على التفسيرات الخاطئة الواردة في كُتب السلف. علما أن هذه التفسيرات تتعارض مع الكثير من الآيات التي تقول ان الرسالة المحمدية ألغت العقوبات من الإصر والأغلال وأنها رسالة الرحمة للعالمين.

لفهم معنى الذين يخاربون الله ورسوله علينا أن نتذكَّر:

1. جزاء الله تعالى على من يكفر به ، هو عنده جلَّ وعلا، ولم يُوكلْه للبشر
2. كلُّ العقوبات الدنيويّة التي ترد في كتاب الله تعالى تكليفاً للدولة/المجتمع بالقيام بها، لا تتجاوز كونها جزاءً على جنايات تهتك حرمة أعراض الناس وأموالهم ودمائهم..
3. استعمال صيغة يُقَتَّل، يُصَلَّب، يُقَطَّعَ بالتشديد يدل على تكرار الفعل. فمثلا: (قطَّع) تدل على تكرار فعل القطع، وهذا دليل على عدم تضمن معنى البتر في فعل (قطع) لأن البتر لا يتكرر هو فعل واحد فقط.
4. في كلمة (يُحَارِبُونَ) بصيغة المضارع، نرى دلالات استمرارهم في الحرب على كلِّ القيم النبيلة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وعلى كلِّ القيم النبيلة التي جاء بها منهج الرسالة الذي أنزله الله تعالى على رسوله، وفي كلمة (ويسعون) نرى دلالات استمرار السعي في الفساد في الأرض من جنايات يقومون بها بحقِّ الناس كلِّ الناس مهما كانوا..... وكلُّ تعني ما هو ليس نافعاً وكلُّ ما يضرُّ بالإنسان وقِيَمِه، هو فاسد..
5. وفي تَكرار كلمة (أو) بين حالات الجزاء بيانٌ في اختلاف الأحكام التي يستحقُّهُا هؤلاء كَجَزَاءٍ على جناياتِهم المُختلفة وذلك حسب جناية كُلٍّ منهم وحسب درجة كلِّ منهم في محاربة دين الله تعالى ورسوله..
6. إضافة لعقاب الله تعالى على الجنايات في الآخرة، شرَّع عقوبة دنيويّة على الجاني، لردع كل من تسوّل له نفسه في الاعتداء على كرامات الناس وأعراضهم وأموالهم ودمائهم..
7. فجزاء الجنايات في كتاب الله تعالى معلوم، مثل القتل، والزنا، والسرقة، وغيرها.. وكلّها ليست بهذه الحيثيّة الشديدة والقاسية التي يُحصر الجزاء بها..

لفهم هذه الآية دعنا ننظر إلى آية :

*"وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ **مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ** وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ*(61)

.. فالجزاء (مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ) قاسٍ وشديد، **وهو جزاء مُفترض** بمعنى: هذا هو الجزاء المُستحق المُفترض فيما لو جازى الله تعالى الظالمين على ظلمهم في الحياة الدنيا..

بالرجوع إلى الآية التي نحن بصددها يكون المعنى المقصود كالتالي:
أنَّ الجزاء المعني في هذا النصّ الكريم على تلك الجنايات هو للترهيب وليس للممارسة، **هو جزاء مُفترض**، فيما لو كان للجزاء عليها في الآخرة ، **وليس أمراً من الله تعالى للحاكم بأن ينفّذه كعقوبة** - بهذه الحيثيّة - على الجنايات المعلومة.. ما يُؤكِّد ذلك هو الآية الكريمة: (*الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم*).. فهذه الآية الكريمة تقول: يسقط الجزاء المفترض عن الجاني في حال تاب طواعية من نفسه، وليس بعد الإمساك به.

{38} وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {39} فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

السارق: اسم فاعل يدل على امتهان الشخص لمهنة السرقة، وليس لمجرد سرقة أي شيء في حالة خاصة لسد جوعه أو جوع عياله. وقطع اليد تعني كف اليد، بإبعاد السارق عن المجتمع بالسجن حتى يتوب. والنفي من الأرض كما يكون بالطرد والإبعاد يكون بالحبس. فإن تاب وأصبح صالحا للعودة للمجتمع فإن الله يتوب عليه.

{51} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

الولاية تعني التناصر والتحالف معهم. ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم. إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين

{60} قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

قَرَدَ: قرد يقرد قردا في قاموس الكل: بعض معانيه: 1- ذَلَّ
2- قرد الكحل في العين: **تقطع.**
وفي معجم المعاني الجامع **قَرَّدَ فلانٌ: ذَلَّ وخضع**
وفي معجم لسان العرب: **خَنَز** اللحمُ والتمرُ: فسد **وأَنتن**
وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ: الدلالة هنا ليست مادية، فلم يصبحوا قردة وخنازير في أجسامهم، بل دلالة معنوية، فبتصرفاتهم السيئة تخلوا عن انسانيتهم فأصبحوا أذلاء مشتتين في أقطاع الأرض كالقردة في الغابات التي لا تثبت على حال، وكالخنازير النتنة والفاسدة

{67} يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

الآية الكريمة ساقها الله - تعالى - لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتقويه قلبه وأمره بالمضي في تبليغ رسالته بدون خوف من أعدائه الذين حدثه عن مكرهم به وكراهتهم له ، حديثا مستفيضاً، وقد بشره - سبحانه - في هذه الآية بأنه حافظه من مكرهم وعاصمه من كيدهم

{90} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {91} إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ

الخمر: هي كلّ شراب أوصل بشاربه إلى حدّ السكر بغضّ النظر عن طريقة تناوله (الفم، الحقن، الشم...)، بحيث لا يعلم ما يقول ولا يميّز ما يفعل

الميسر: القمار

الإثم: كلمة الإثم ليس اسم لشيء بعينه، إنما هي وصف ونتيجة لممارسة سلوك خلاف الحق والصواب يترتب عليه أذى وضرر للشخص نفسه أو لغيره أو يؤدي إلى اقتراف ذنب

الصنم أو الوثن هو تمثال أو رمز لإنسان أو جني أو ملاك

الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها

الأزلام: يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها

اجتنبوا: يأتي هذا الفعل في التنزيل الحكيم للظواهر التي نواجهها بشكل مباشر دون أن نقصدها، كقولنا لسائق السيارة: اجتنب الحفر في الطريق، فالحفر موجودة أصلا . وأماكن بيع الخمر والقمار موجودة في الكثير من الدول وفي المطارات فعلينا أن نجتنب الدخول اليها. والتماثيل للزعماء موجودة في الكثير من الأماكن العامة ولكن لا أحد يتوهم أنها وسيلة للتقرب إلى الله كما كان يعتقد عبدة الأصنام.

فالاجتناب يأتي **بسياق التعليم والتوجيه**، ولا يأتي بسياق التشريع لحُكْم شيء أبداً، كمثال قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢ الحجرات﴾

وقوله تعالى: "*إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا* ﴿٣١ النساء﴾

الرجس: هو الاختلاط في الأمور، فرجس الخمر هو السكر حيث وصفه التنزيل الحكيم في قوله: *{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ..}* (النساء 43). ورجس الأوثان أن تختلط عليك الأمور بأن تظن أن الأوثان تنفع أو تضر، فالأوثان ظاهرة عامة .و رجس القمار هو ما يؤدي إلى العداوة والبغضاء

{103} مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

يبدأ النص القرآني بتقرير أن الله لم يشرع هذه الطقوس. لم يشرع البحيرة ولا السائبة ولا الوصيلة ولا الحامي. . فمن ذا الذي شرعها إذن؟ والجواب: يشرعها سدنة الأصنام ومن يدّعون أنهم أوصياء الله، يفترون على الله الكذب. يشرّعون من عند أنفسهم ثم يقولون: شريعة الله. هذا تقرير لواقعهم وواقع آبائهم من قبلهم.

البحيرة من الإبل يحجز لبنها ويخصص للآلهة فلا يطعمها الناس، وكهنة الآلهة هم الذين يأخذونه طبعا **! والسائبة** من الإبل كانوا يسيبونها لطواغيتهم. **والوصيلة** كانت الناقة تبكر بالأنثى ، ثم تثني بالأنثى فيسمونها الوصيلة ، يقولون: وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر ،

فكانوا يذبحونها لطواغيتهم. **والحامي** الفحل من الإبل كان يضرب الضراب المعدود [أي يقوم بتلقيح عدد من النوق] فإذا بلغ ذلك يقال: حمى ظهره، فيترك، وطبعا يأخذه سدنة الأصنام .

الدروس المستفادة من سورة المائدة:

إن الذي يقرأ سورة المائدة يراها قد وجهت جملة من النداءات إلى المؤمنين مما يدل على أن هذه السورة قد اهتمت اهتماماً ملحوظاً بتربية المؤمنين على المنهج الذي اختاره الله لهم. ولاسيما بعد أن أكمل –سبحانه- لهم دينهم، وأتم عليهم نعمته . ومنها قوله تعالى:

- يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ....الآية 1
- يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا..... الآية 6.
- يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ....الآية 8
- يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء .... الآية 51
- يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ..... الآية 87
- يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم .....الآية 101
- يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت .....الآية 106

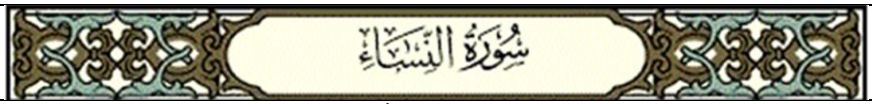

سورة النساء تهتم بتنظيم المجتمع المسلم على أسس العدل والرحمة، مع تركيز خاص على حقوق الضعفاء، كالنساء واليتامى. تعرض أحكام الأسرة والميراث والعلاقات الاجتماعية، وتدعو إلى التمسك بالعدل والوفاء بالعهد، والتحذير من النفاق وخيانة الأمانة.

تضمنت هذه السورة المدنية -وهي ثاني سور القرآن من حيث الطول- جملة من المقاصد منها:

- توحيد الله وحده؛ وذلك بإفراده سبحانه بالربوبية والعبادية
- بناء الأسرة، التي هي أساس المجتمع السليم والقوي، وذلك بتنظيم حياة المجتمع المسلم، بتطهير هذا المجتمع من الفاحشة،
- بناء الدولة الإسلامية على أسس متينة، قِوامها أداء الأمانات إلى أهلها، والعدل في الحكم بين الناس، والتحاكم إلى شرع الله في شؤون الحياة كافة، وتنظيم العلاقات الدولية
- التحذير من الفئات التي تؤدي إلى زعزعة كيان المجتمع الإسلامي؛ كالمنافقين ونحوهم
- تحذير المؤمنين من التساهل في حقوق الأرحام، واليتامى من النساء والرجال، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، والقيام بين الناس بالقسط.
- ببيان حقيقة المسيح عيسى بن مريم، وأنه عبد الله ورسوله

{2} وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا {3} وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ

النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا

تشير هذه التوصيات المشددة إلى ما كان واقعا في الجاهلية العربية من تضييع لحقـــوق الـضعاف بصفة عامة . والأيتام والنساء بصفة خاصة.

اليتيم في اللسان العربي وفي التنزيل هو القاصر (ذكراً أو أنثى) دون سن البلوغ، والذي فقد أباه، ومازالت أمه حية

{وإن خفتم ألا تقســطوا في اليتامى}، جاءت الآية بالحل أي بالزواج من أمهاتهم الأرامل {فانكحوا ما طاب لكم من النسـاء} والخطاب هنا موجه إلى المتزوجين من واحدة وعندهم أولاد. وإذا كان الرجل لا يملك ما يقيم به أود أولاده من أســرته الأولى، إضـــافة إلى الوافدين الجدد من زوجة ثانية وأيتامها، فيقع في أزمة مالية، وقد يوقعه ذلك في عدم العدل بين الصغار. وجاء الحل بقوله تعالى: (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة).

والنساء هنا جمع امرأة، والمرأة هي الأنثى التي بلغت سن النكاح، واليتم يسقط حكماً مع بلوغ سـن النكاح. فلا يوجد نسـاء يتيمات وإنما فتيات وفتيان صـغار أيتام لم يبلغوا سـن النكاح .

{15} وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا {16} وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا

قال معظم المفسرين أنّ هاتين الآيتين منسوختان بآية الجلد في سورة النور. وقد بينا سابقا أنه لا يوجد نســخ بين آيات القرآن الكريم، وأن ما ورد من آيات عن تبديل آية بأخرى يتعلق بنسخ آيات في الكتب السماوية السابقة. فموضوع الآية هنا ليس عن الزنا بين رجل وامرأة، بل يعالج موضـــوع المثلية الجنســـية، ويقدم أحكاما تختلف عن أحكام الزنا في سورة النور.

لقد أوضـح القرآن نوعين من الفاحشـة: ما ظهر منها وما بطن. وعقوبة المثلية بين النساء هي المسـك في البيوت وليس السـجن، وذلك للعلاج النفسـي والحماية ريثما تتطهران من هذا أو تموتان أو يجعل الله لهن فرجاً بالزواج وانصـــلاح ســـيرتهن. وعقوبة المثلية الذكورية هي الأذى لهم نفسيا وجسمياً دون قتلهما ولا بتر أي عضو من جسمهم، ويكون ذلك بسجنهم مثلاً وضربهم على أسفل قدميهم بالعصا بشكل لا يترك لهم عاهة أو تشويه. وبهذا الفهم لا يوجد تعارض مع أية الزنا ، فكل منهما تعالج حالة مختلفة عن الأخرى.

{24} وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

لقد سبق في الآيات السابقة بيان المحرمات من النساء حرمة ذاتية، ثم يُضيف المحصنات من النساء أي المتزوجات. إلا ما ملكت أيمانكم.

قالوا أنَّ ملك اليمين هن السـبايا من الحروب. وفي العصـر الحالي قامت الدول بوضـع مواثيق ومعاهدات فيما يختص بالأسرى، فجميع الآيات السابقة أو اللاحقة التي تتكلم عن ملك اليمين كانت تناســب الظروف والعادات التي كانت ســائدة وقتئذ ولا تنطبق على

الوضع الحالي للإنسانية. وفي اللسان العربي وفي القرآن الكريم تستعمل كلمة اليمين للدلالة عل القوة والقدرة. فالعامل هو ملك يمين رب العمل يستخدم قدرته خلال ساعات الدوام فقط. وخارج مجال العمل هو حُرّ يفعل ما يريد، وسواء كان ذكراً أو أنثى تنطبق عليهم شروط الزواج من وجود عقد نكاح ومهر.
فالقاعدة الآن أن لا ممارسة جنسية بين رجل وامرأة إلا بعقد نكاح و مهر.

{29} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

أكل الأموال بالباطل يشمل كل طريقة لتداول الأموال بينهم لم يأذن بها الله، أو نهى عنها، ومنها الغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات لإغلائها، وجميع أنواع البيوع المحرمة، واستثنى العمليات التجارية التي تتم عن تراض بين البائع والشاري. تعقيب يجيء بعد النهي عن أكل الأموال بالباطل؛ فيوحي بالآثار المدمرة التي ينشئها أكل الأموال بالباطل في حياة الجماعة؛ إنها عملية قتل معنوي للنفس . يريد الله أن يرحم الذين آمنوا منها ، حين ينهاهم عنها !

{32} وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

وحكمة النهي عن التمنّي أنّها تفسد ما بين الناس في معاملاتهم فينشأ عنها التحاسد، ويَنْشأ في النفوس أوّلَ ما ينشأ خاطراً مجرّدا ، ثم يربو في النفس رويداً رويداً حتّى يصير جزءاً منه، فيؤدي إلى اقتراف الجرائم ليشفي غلّته. فلذلك نهوا عنه ليزجروا نفوسهم عند حدوث هاته التمنّيات بزاجر الدين والحكمة، فلا يَدعوها تربو في النفوس. لقد استحقّ كلّ شخص ، سواء كان رجلاً أم امرأة، حظّه من منافع الدنيا ممّا سعى إليه بجهده ، أو الذي هو بعض ما سعى إليه ، فتمنّي أحد شيئاً لم يسع إليه ولم يكن من حقوقه ، هو تمنّ غير عادل ، فحَقَّ النهي عنه

{34} الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا

نبدأ بتعريف المصطلحات الواردة في الآية:
(رجل) لغة تدل على عضو الحركة والسير والقيام. وتشمل للذكر والأنثى على حد سواء.
{بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} يشمل الرجال والنساء معاً. ليصبح المعنى: بما فضل الله بعض الرجال والنساء على بعض آخر من الرجال والنساء. وهذا ينفي تماماً الأفضلية بالخَلق على أساس الذكورة والأنوثة، وتبقى الأفضلية بحسن الإدارة والحكمة ودرجة الثقافة والوعي، التي تتفاوت بين الناس.
{وبما أنفقوا من أموالهم} فصاحب المال مثلا له القوامة بغض النظر عن كفاءته ودرجة وعيه وثقافته،
وينطبق مفهوم الصلاحية للقوامة على الأعمال التجارية كما ينطبق على القوامة في الأسرة. فصاحب المصنع الذي يحمل الإعدادية مثلاً يستطيع أن يعين مديراً يحمل الشهادات العالية لإدارة مصنعه، يخضع لأوامر صاحب المصنع لأن بيده قوامة الإنفاق.

وبالمثل إذا كانت صاحبة المصنع امرأة ومدراء وعمال المصنع من الذكور فإنها تكون صاحبة القوامة على هؤلاء الذكور.

وبالنسبة للأسرة، فالأسرة كنواة للمجتمع تحتاج إلى قَيِّم يدير أمورها ويسوس أفرادها ويقود مركبها بين أمواج الحياة. والرجال درجات في الغنى والثقافة وحسن الخلق والقدرة على القيادة، والنساء أيضاً درجات في ذلك كله، ولاريب في أن مصلحة الأسرة والمجتمع تكمن بأن تكون القيادة في يد صاحب الفضل رجلاً كان أم امرأة أو بيد الإثنين معاً يتشاوران في كل الأمور في حال التكافؤ في الثقافة والإدارة.

ولفظ {**فالصالحات**} هنا يعني الصالحات للقوامة. الآية إذن تعدد الصفات التي يجب أن تتصف بها المرأة الصالحة للقوامة، بما فضلها الله من ثروة أو ثقافة أو قدرة فكرية قيادية، وهذه الصفات هي القنوت وحفظ الغيب، فإذا اتصفت بها كانت صالحة للقوامة. ولكن ماذا إذا لم تتصف بها؟ في هذه الحالة تكون قد خرجت عن خط القوامة ليصبح اسمها في الآية ناشزاً.

النشوز هنا لا علاقة له بالنشوز الأخلاقي والتمرد الذي يستوجب التأديب والأخذ على اليد كما ذهب المفسرون الأوائل، بل هو التسلط والاستبداد بالرأي، وعكسه القنوت. فالقنوت هو الأناة والصبر وسعة الصدر، وحفظ الغيب الذي هو حفظ خصوصيات الزوج والزوجية وعدم الثرثرة بها. وللنشوز حالتان:

حالة ظهور بوادر النشوز عند المرأة صاحبة القوامة؟ في هذه الحالة يكون الحل بالعظة والنصيحة والقول الكريم {فعظوهن}. أما إذا لم ينفع الحل الأول بالعظة والثاني بالهجر بالنسبة للزوجة، فيأتي حل {اضربوهن} أي فأبعدوهن عن موقع القيادة. والضرب في هذا السياق يعني المباعدة، كقوله تعالى:"*فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ*} [الحديد: 13]

وإذا لم تنفع هذه العلاجات. هنا تأتي الآية بعدها لتنصح بالتحكيم لحل هذا الخلاف الذي يخشى أن يتحول إلى شقاق. ، اما إذا كان النشوز من الرجل فسيأتي بيانه عند شرح الآية 128

{59} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً

أتى فعل الطاعة منفرداً ومستقلاً لله وحده، ويعني طاعة الرسالة التي أنزلها على رسوله للناس، وأتى فعل طاعة آخر منفرداً مستقلاً للرسول وعطف عليه أولي الأمر، وهو فعل طاعة في مجال المباح المتعلق بتنظيم شؤون الحياة منعاً أو سماحاً أو تقييداً أو تنظيماً. وأتى النص باستخدام كلمة الرسول لأن مقام النبي مقام شخصي يتوقف مفعوله بوفاة النبي بخلاف مقام الرسول فهو مستمر لكل من حمل الرسالة طوعاً وإيماناً بها دعوة وتعليماً.

75. وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا

هذه الآية توضـــح الحالات التي يجوز فيها القتال. (1) في ســـبيل الله حيث تنتهك حرية البشـر، ويضـطر الناس إلى التصـرف في اتجاه يخالف أوامر الله، (2) عندما يُضـطهد الضعفاء والأطفال والنساء في المجتمع ويصرخون طلبًا للمساعدة.
والكثير من الآيـات لا تجيز القتـال إلا دفـاعـا عن النفس وتحض على عـدم المبـادرة بالعدوان

93. وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا 94. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

{128} وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُـوزًا أَوْ إِعْرَاضًـا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْـلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

حالة ظهور بوادر النشوز عند الرجل صاحب القوامة:

لاحظ هنا استعمال كلمة بعل وليس زوج، دلالة على أنها في حالة أن الزوج حلف بأن لا يمارس الجنس معها كما في آية الإيلاء في سورة البقرة **{226} لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْـهُرٍ ...**، أو كونها في حالة العِدة في أحد مراحل الطلاق حيث يقول سبحانه **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ.** وفي قوله **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ**
فإذا تصرف الرجل بخلاف صفات القوامة بحيث يُهدد أمن المرآة وكرامتها، وأمن الأسرة كلها كذلك. فإذا خشيت المرأة أن تصبح مجفوة ; أو إلى الإعراض، الذي يتركها كالمعلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة. وكانت هناك خشية أن تؤدي هذه الجفوة إلى الطلاق - وهو أبغض الحلال إلـى الله- فالحل هو اللجوء إلى الإصلاح بينهم.
فإذا (أحضرت الأنفس الشح) أي أن الشح حاضر دائما في الأنفس. وهو دائما قائم فيها، الشح بأنواعه. الشح بالمال. والشح بالمشاعر، ولم ينجح الإصلاح فللمرأة الحق في طلب الطلاق..

سورة آل عمران تربي النفس المؤمنة على الثقة بوعد الله والصبر في مواجهة الابتلاءات. تجمع بين عرض مشاهد من تاريخ أهل الكتاب، وخاصة قصة آل عمران، والدعوة إلى الثبات على الإيمان، مع بيان حقيقة الدنيا وزيف زخرفها، وحث المؤمنين على الاتحاد ونبذ الفرقة.

هذه السـورة تمثل قطاعا حيا من حياة الجماعة المسـلمة في المدينة من بعد "غزوة بدر - "في السـنة الثانية من الهجرة - إلى ما بعد "غزوة أحد " في السـنة الثالثة . وما أحاط بهذه الحياة من ملابسـات شـتى في خلال هذه الفترة الزمنية . كانت غزوة بدر الكبرى قد وقعت ؛ وكتب الله فيها النصـر للمسـلمين على قريش. وفي هذا الوقت نمت بذرة النفاق في المدينة، ووجد هؤلاء المنافقون حلفاء طبيعيين لهم في اليهود.

الفصل الأول الذي يستغرق حوالي نصف السورة يصور جانبا من جوانب الصراع بين العقيدة الإسلامية والعقائد المنحرفة في الجزيرة كلها . أما القطاع الثاني في السورة فهو خاص بغزوة أحد . وهو يشتمل كذلك على تأكيد حقائق التصور الإسلامي والعقيدة الإيمانية ، مع تعليمهم سنة الله في النصر والهزيمة . ويربيهم بالتوجيهات القرآنية كما يربيهم بالأحداث الواقعية. وفي ختام السورة - بعد فصل غزوة أحد - تلخيص لموضوعاتها الأساسية ، يبدأ بإشارة موحية إلى دلالة هذا الكون (كتاب الله المنظور) وإيحاءاته للقلوب المؤمنة على مشهد الآيات في كتاب الكون المفتوح

{7} هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

تقول الآية: إن الله هو الذي انزل عليك يا محمد "الكتاب" فيه آيات بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها ولا غموض، كآيات الحلال والحرام، هن أصل الرسالة، [وأخر متشابهات] أي وفيه آيات اخرى فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، تتكلم عن الوجود والخلق والغيبيات (القرآن). وهنا يختلف الناس - حسب استقامة فطرتهم أو زيغها - في استقبال هذه الآيات وتلك. فأما الذين في قلوبهم زيغ وانحراف وضلال عن سواء الفطرة ، فيتركون الأصول الواضحة الدقيقة التي تقوم عليها العقيدة والشريعة والمنهاج العملي للحياة، ويجرون وراء المتشابه لأنهم يجدون فيه مجالا لإيقاع الفتنة بالتأويلات المغلوطة للعقيدة ، (وما يعلم تأويله إلا الله) وأما الراسخون في العلم ، الذين بلغ من علمهم أن يعرفوا مجال العقل وطبيعة التفكير البشري ، وحدود المجال الذي يملك العمل فيه بوسائله الممنوحة له . . أما هؤلاء فيقولون في طمأنينة وثقة: (آمنا به ، كل من عند ربنا) وهنا يأتي السؤال (من هم الراسخون في العلم)

لفهم الإجابة، لنتفحص آيات أخرى تستخدم هذا المصطلح: تبدأ سورة فاطر بـ: الله فاطر السماوات والأرض، الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا، خلقكم من تراب ثم من نطفة، يُولج الليل في النهار، ويُولج النهار في الليل، وسخّر الشمس والقمر. ثم تأتي الآية: إنما يخشى الله من عباده **العلماء**.

فمن السياق نفهم أن العلماء المشار إليهم هم في كلا الموضعين هم علماء الطب ، وعلماء النفس، وعلماء الفضاء، والمؤرخين وعلماء الآثار وغيرهم.

هؤلاء كلما زاد علمهم زاد اعتقادهم بوحدانية الخالق وزادت خشيتهم من الله.

{14} زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ

زُيِّنَ لِلنَّاسِ :الناس تشمل الذكور والإناث الذين حُبِّبت لهم الشهوات من:

النساء هنا لا يقصد بها الإناث فلها معنى آخر مشتق من النسيء، أي الأشياء التي سيتم اكتشافها فيما بعد مثل ما نرى اليوم شَغف الناس بالموبايل والسيارات وما شابه.

البنين: مشتقة من البناء، فالناس يشتهون أن يتملكوا البنايات والقصور والشقق الفارهة.

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ أي الحلى والمصوغات المصنعة من الذهب والفضة كالأساور والخواتم والقلائد.

وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ: للتباهي والتفاخر
وكل هذه أشياء متاع في الحياة الدنيا.

{32} قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
جاءت الصيغة بفعل طاعة واحدة ليدل على أن طاعة الله هي من خلال طاعة الرسول المتمثلة بالرسالة، وليس بشخص الحامل لها، وهذا يقتضي حفظ النص اللساني الذي يحمل الرسالة، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }

{35} إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {36} فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
(في العادة كان الذكور هم الذين يقومون بخدمة المعابد، فعندما نذرت ما في بطنها لخدمة المعبد، كانت تأمل بأن يكون ذكرا ليتأهل لخدمة المعبد). فلما ولدتها، قالت على وجه التعجب والاعتذار: يا رب انها أنثى، فكيف ستكون خادمة للمعبد! ولسان حالها يقول ما دامت هذه حكمتُك فإني أعهدها اليك لتكون خادمة المعبد، واني سميتها مريم (ومعناها في لغتهم العابدة خادمة الرب،) واني اجيرها بحفظك واولادها من شر الشيطان الرجيم، فاستجاب الله لها ذلك، وقبلها الله قبولا حسنا، ورباها تربية كاملة، ونشأها تنشئة صالحة، وجعل زكريا كافلا لها ومتعهدا للقيام بمصالحها،

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
لننظر في الآية ذات العلاقة في سورة النساء: (*وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ، وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا*) **(157)**
تفيد هذه الآية أن عيسى عليه السلام لم يكن هو المصلوب. وقوله في الآية في هذه السورة **وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** لا تعني جسديا وإنما إخبار بأن النفس هي التي تُرفعها الملائكة إلى الملأ الأعلى لحظة توفيها. وهذا يُفسِّر الروايات التي تقول أن عيسى ظهر بعد ثلاثة أيام من حادثة الصلب. فهو لم يمت ساعتئذ وإنما اختفى أعين المتربصين به ثم تُوفي بعد حين ورُفِعت نفسه مثل بقية الناس. ويوم القيامة سوف يبين الله الحقيقة فيما كانوا يختلفون بشأن وفاته.

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
هذه الآية، شأنها شأن آيات أخرى كثيرة، تُعرّف معنى المسلم حتى قبل مجيء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، أو عيسى أو موسى. فالمسلم هو من يؤمن بوحدانية الله، ويوم القيامة، ويعمل صالحًا في الدنيا.

{130} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
استُخدمت كلمة "الربا" في تعاملات اليهود مع القروض، مع ما يترتب عليها من غرامات باهظة على العجز عن السداد. ويستخدم القرآن كلمة "ربا" التي تعني الزيادة.

لننظر إلى الآيات التي ذكر فيها لفظ الربا، ونرى كيف استخدم القرآن كلمة الربا في معانٍ مختلفة حسب السياق كما في سورة البقرة:275، 278-280 .تقول تلك الآيات:
1. إذا حاولت جمع المال بالقروض واستعادته بالزيادة، فلن تنال الأجر عند الله، لأنك قد حصلت بالفعل على أجرك من خلال معاملتك في حياتك. ولكن إذا تصدقت بالمال، فإن الله يؤجرك بعشر أمثالها.
2. إذا كان المدين غير قادر مالياً على سداد رأس المال مع الزيادة، فينبغي للمقرض أن يكتفي باسترجاع رأس المال، ويعتبر الزيادة صدقة يؤجر عليها في الآخرة.
3 .إذا طمع الإنسان وطلب ان تكون الزيادة أضعافا مضاعفة عن رأس المال، اعتبره الله (ربا) إثما عظيما يعاقب عليه في الآخرة،
4. لاحظ أن التنزيل الحكيم لا يمنع بشكل قاطع وغير مشروط، الحصول على زيادة رأس المال/ الفائدة. ولا يُحَرِّم ذلك إلا إذا تجاوز حد الله. وبالتالي فإن الحصول على قرض من خلال عقد مع المُقرِض (سواء كان فرداً أو بنكاً أو أي مؤسسة مالية) بفائدة جائز، ما دامت الفائدة في حدودها فلا تزيد بمجموعها عن قيمة الفرض الأصلي بغض النظر عن مدة القرض (قد تكون 30 سنة). وكذلك أخذ فائدة من البنوك على أموالك المستثمرة جائز ما دامت في الحد المقرر.

{169}وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ {170} فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {171} يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ {172}

شرحنا في تفسير آيات أخرى معنى تَوَفي الملائكة للنفس. وفيما يلي موجز يساعد في فهم هذه الآية:

كيف تموت نفس الإنسان؟

- تأتي ملائكة الموت لمن انتهى أجله.
- يستخرج الملاك الخلايا لعصبية في الدماغ المخزِّن فيها أرشيف أعمال الإنسان ، ويَعرضها للمحتضر بطريقة لا يعلمها إلا الله.
- إذا شعر المحتضر أن نتيجة أفعاله إيجابية فإنه يشعر بالاطمئنان، وإذا شعر المحتضر أن نتيجة أفعاله سلبية فإنه يشعر بالضيق والحزن ويحاول مجادلة الملائكة والتماس الأعذار.

هذه الآيات تُبين لنا أن هناك ثواب وعقاب معنوي للنفس (ليس للجسد في القبر) قبل يوم الحساب. وفي يوم الحساب يتم الثواب أو العقاب الحقيقي الفعلي للإنسان (بهيكليته الجديدة التي تستقبل نفسه التي كانت في حالة الانتظار) بالدخول إلى الجنة أو بالدخول إلى النار.
وهذا يساعدنا على فهم قوله تعالى: ﴿*النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ*﴾ غافر: 46
ذكرنا سابقاً أنه أثناء خروج النفس يدرك الانسان ما في أرشيف حياته المخزن في الخلايا العصبية للدماغ. فالكافر يرى أن مصيره إلى النار وتبقى صورة النار هذه في النفس

يراها كل صباح ومساء، وهذا ينطبق على جميع الناس، وقد خصَّ سبحانه آل فرعون بالذكر لكون فرعون طغى في الأرض وادّعى الألوهية.
وفي قوله تعالى: *حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ"* سورة المؤمنون 99-100
هنا نرى كيف أن الكافر يستجدي تأخير أجله لكي يصلح ما قام به من معاصي أثناء حياته. فكان الجواب حاداً: كلا. وفي النهاية أخبرنا سبحانه عن حياة البرزخ.
- تستخرج الملائكة النفس (نبضات كهروكيميائية في خلايا الدماغ التي تمثل شخصية الإنسان)، وتعيدها إلى حيث تبقى محفوظة إلى يوم القيامة والحساب.

مفهوم البرزخ:

البرزخ هو الحاجز والحد بين شيئين أو مرحلتين.
وإذا نظرنا في قوله تعالى *وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ* نفهم أن حياة النفس في البرزخ هي الحالة الفاصلة بين حياة الإنسان قي الدنيا وبين حياته الثانية بعد يوم القيامة والحساب. وبنفس مفهوم البرزخ بين البحرين الذي شرحناه في الآية 19 سورة الرحمن، فإن النفس عندما غادرت الجسد تبقى متصلة جزئياً بالعالم الدنيوي ومتصلة بما سيحصل لها حسب كتاب أرشيفها الذي سيعرض عليها يوم القيامة .
فالنفس بعد الوفاة تبقى حية وتبقى متصلة بعالمها في الحياة الدنيا. ودرجة تواصلها تختلف من نفس لأخرى حسب ما قدمت من أعمال صالحة. فالنفس الصالحة يكون تواصلها أكثر قوة .
ومن هذا المفهوم ندرك معنى هذه الآية: **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، ف**الذين قُتلوا في سبيل الله ماتت أجسامهم، ولكن أنفسهم لا زالت حية وقوية الاتصال بعالمها السابق نتيجة للتضحية التي قدَّمتها أثناء حياتها.

سورة البقرة تمثل دستور الإيمان والحياة للمسلمين، تضع قواعد العقيدة، وتنظم شؤون المجتمع، وتعرض قصص بني إسرائيل للعظة والعبرة. تدعونا السورة إلى الثبات على الحق، والتقوى، والالتزام بتعاليم الله في كل مناحي الحياة، مع التأكيد على أن الصبر والتقوى سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة.

- نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق وهي أول ما نزل في المدينة
- سنجد في أول السورة وصفا مطولا للمنافقين وخاصة أولئك الزعماء الذين أرغموا على التظاهر بالإسلام ، ولم ينسوا بعد ترفعهم على جماهير الناس ،

- ونجد السورة تفتتح بتقرير مقومات الإيمان ، وهي تمثل صفة المؤمنين الصادقين إطلاقا، ثم نجد بعدها مباشرة في السياق وصفا للكفار، وهو يمثل مقومات الكفر على الإطلاق
- وقف اليهود من الدعوة الإسلامية موقفا معاديا تصفه سورة البقرة في تفصيل دقيق. لقد كانوا أول كافر به . وكانوا يلبسون الحق بالباطل. وكانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
- يشير السياق إلى خلق ما في الأرض جميعا للناس تجي وقصة استخلاف آدم في الأرض
- ثم يبدأ سياق السورة يتجه إلى النبي]ص [وإلى الجماعة المسلمة من حوله ؛ حيث يأخذ في وضع الأسس التي تقوم عليها حياة هذا الجماعة المستخلفة على دعوة الله في الأرض ، وفي تمييز هذه الجماعة بطابع خاص ، وبمنهج في التصور وفي الحياة خاص .

2.ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. 3. ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ 4. وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

الكتاب هنا يشير إلى الرسالة الشاملة على التشريعات الخاصة بالمؤمنين

{30} وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ..... {38} قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

هذه الآيات تلخص قصة أبونا آدم في القرآن. وقد حصل في تفسيرها كلام كثير معظمه منقول عن كتب اليهود. وفيما يلى التوضيح اعتمادا على ما ورد في القرآن الكريم:

1. آدم ليس أول البشر: انظر الآية 33 سورة آل عمران:

"إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين"...

وكلنا نعلم أن الاصطفاء هو اختيار من بين جماعة.... وعليه لا بد أن يكون هناك أناس كثيرون يعيشون مع آدم، وقد اختاره الله منهم ليكون نبياً. الله سبحانه اصطفى آدم كمجموعة بشرية، ليؤهلها للخلافة، مما اقتضى تزويد هذه المجموعة بما يميزها عن غيرها من المخلوقات، ولذلك قال {*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ*} (الحجر 29) أي بموجب نفخة الروح أصبح البشر إنساناً مؤهلاً للخلافة.

ونفحة الروح هي أوامر رب العالمين وهي المعرفة والتشريع، وبناءً عليهما حمل الإنسان الأمانة، أي حرية الاختيار، بين الخير والشر

2. لماذا يخبر الله الملائكة؟

لم يكن الله يستشير الملائكة، وإنما يُخبرهم لكي يكونوا مستعدين للأدوار التي سيكلفون بها فيما يختص بهذا النوع من البشر، حيث سيكون منهم حفظة للإنسان وأعماله، يبلِّغوه برسالات ربه، ويتولوا وفاة نفسه.

3. لماذا قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها...

لأنهم كانوا على معرفة بطبائع البشر قبل هذا

4. جاء الجواب: إني اعلم ما لا تعلمون. وأعلم أنه بما ســـأعطيه من الهدي والعلم والقدرة على التفكير وحرية اتخاذ القرار ما يمكنه من التعرف على الكون
5. كان آدم في جنة أي غابة على الأرض، وهذا منســـجم مع قوله: **جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ**، فستكون مهمته في هذه الأرض
6. [وعلم آدم الأسماء كلها] أي أسماء المسميات لما خلق الله.[ثم عرضهم على الملائكة] أي عرض المسميات على الملائكة وسألهم على سبيل التبكيت، [فقال أنبئوني] أي أخبروني بأسماء هذه المخلوقات التي ترونها إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أحق بالخلافة ممن استخلفته
7. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أي (تحية وتعظيما له)، لا سجود عبادة، فسجدوا جميعا له حيث قوله سبحانه حق، والملائكة بطبيعة خلقها مطيعة دائما لأوامر الله
8. إبليس وهو من الجن بطبيعة خلقه أعطاه الله حرية الاختيار بين الطاعة والمعصية مثل الإنسان، فتكَبَّر وامتنع عما أمره الله به، فصار بإبائه واستكباره من الكافرين.
9. *وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ*. والجنة: لغة هي البستان العظيم الذي يستر ما بداخله، وليست الجنة الموعودة للمتقين يوم القيامة للأسباب التالية:
   - يصف القرآن الجنة التي وعد بها الأبرار في الحياة الآخرة في سورة الطور آية 23 (*لا لغو فيها ولا تأثيم*). ولكن الجنة التي كان آدم يعيش فيها دخلها الشيطان غير الصالح وحرضه على معصية الله تعالى .
   - كما يصف القرآن جنة الآخرة بقوله (*لن يمسهم فيها نصب وما هم منها بمُخرجين*)" في آية 49 سورة الحجر.. ولكن آدم طرد من جنته .
   - وكذلك يقول القرآن عن الجنة الآخرة (*ولهم فيها ما يشتهون*) في الآية 32 سورة فصلت، ولكنه نهى آدم عن الأكل من الشجرة.
   - يخبرنا الله أنه في الجنة السماوية ليس هناك موت. ولكن آدم مات في جنته على الأرض.
10. ادخل أنت وزوجك: أي اسكن في هذه الجنة الأرضية أنت ورفاقك. ولم يرد في القرآن أي ذكر لحواء كما جاء في الأساطير
11. (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ): لم يذكر القرآن نوعها، فهي رمز وأداة للاختبار
12. وقلنا اهبطوا: في تعريف ومعنى هبط في قاموس الكل: هبط الشّخص أو الشّيء من الجبل وغيره: نزَل، هبط المكان: دخَله، نزَله، فلا تعني الهبوط من السماء. ومثال قوله تعالى: (*اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ*) فالمقصود بذلك أي انتقلوا من مكانكم وادخلوا مكانا آخر

{67} وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.....

يبين النص كثرة اللجاج والعناد من اليهود للرسل صلوات الله عليهم، وجفاءهم في مخاطبة نبيهم الكريم (موسى) عليه السلام، إلى آخر ما هنالك من قبائح ومساوئ اتصف بها اليهود.

{85} ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ.....

كان اليهود في المدينة ثلاثة أحياء ترتبط بعهود مع هذا الحي وذاك من المشركين. . كان بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج، وكان بنو قريظة حلفاء الأوس. فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه ; فيقتُل اليهودي أعداءه وقد يقتُل اليهودي من الفريق الآخر - وهذا حرام عليهم بنص ميثاق الله معهم - وكانوا يخرجونهم من ديارهم إذا غلب فريقهم وينهبون أموالهم ويأخذون سباياهم - وهذا حرام عليهم بنص ميثاق الله معهم - ثم إذا وضعت الحرب أوزارها فأدوا الأسرى، وفكوا أسر المأسورين من اليهود هنا أو هناك ، عندهم أو عند حلفائهم وذلك محرَّم عليهم.

{104} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ

تذكر الروايات أن السبب في ذلك النهي عن كلمة (راعنا). . أن سفهاء اليهود كانوا يميلون ألسنتهم في نطق هذا اللفظ، وهم يوجهونها للنبي [ص] حتى يؤدي معنى آخر مشتقا من الرعونة. فقد كانوا يخشون أن يشتموا النبي مواجهة، فيحتالون على سبه - صلوات الله وسلامه عليه - عن هذا الطريق الملتوي.

{106} مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أخبرنا سبحانه في التنزيل الحكيم عن قصص اليهود: كلما جاءتهم آية أو معجزه يؤمنوا ثم يكفروا ويطلبوا مزيداً من الآيات. وكان الله كلما فعلوا ذلل يشدد عليهم في الأحكام. ففي شريعة موسى عليه السلام الكثير من العقوبات الجسدية من قتل ومن تشدد في التحريم والتحليل. فلما أرسل محمد عليه السلام بخاتمية الرسالة لجميع الناس، أبطل بعض الأحكام وخففها لما فيه الخير لجميع الناس وحددها وبينها بشكل نهائي. وبذلك نُسخت تلك الحكام واستبدلها بخير منها أو مثلها. كما في قوله تعالى: ﴿*الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ..... وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ .....*﴾ [الأعراف: 157]؛

أما بالنسبة للقرآن فلا يوجد ناسخ ومنسوخ بين آياته.

{108} أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ

أتريدون يا معشر المؤمنين، أن تسألوا نبيكم كما سأل قوم موسى نبيهم من قبل؟ ويكون مثلكم كمثل اليهود الذين قالوا لنبيهم :[أرنا الله جهرة] فتضلوا كما ضلوا ؟

{178} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ

لفهم هذه الآية دعنا نرجع إلى مفهوم قتل النفس:

1. **القتل الفردي**

قال تعالى "*ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق*". جريمة فردية. وبالحق أي هناك برهان واضح ومبرر قانوني لعقوبة القتل. الحكم في هذه الحالة: عقوبة في الآخرة وعقوبة في الدنيا بحد أقصى هو قتل القاتل بعد تقصي أثره والإمساك به والتأكد من أنه الشخص الذي قام بعملية القتل. ويترُك النص القرآني الباب مفتوحا لتطبيق عقوبات أدنى من ذلك، تصل إلى حد إمكانية العفو. وهذا من رحمة الله في العباد في الرسالة المحمدية حيث بدّل الله العقوبات التي كانت تمارس في الشريعة اليهودية مثل العين بالعين والسن بالسن.....الخ، بدّلها بعقوبات أكثر إنسانية .

2. **القتل الجماعي** في الحروب والقتال بين الطوائف:

تعالجها الآية التي نحن بصددها: كلمة القتلى تدل على وجود قتلى بين الطرفين. ومن واقع الحياة والتاريخ نجد أنه بعد انتهاء أي معركة يتم التفاوض حسب نتائجها. وبالنسبة للقتلى فالقتيل معروف الهوية ولكن القاتل غير معروف. إن كلمة الحر لا تعني جنسا منفصلا وكذلك كلمة العبد فهي لا تعبر عن نواحي عنصرية وإنما تعبر عن:

الحر: هو من يملك اتخاذ القرار سواء في معركة مثل الضابط أو في العمل مثل المدير

العبد: هو التابع الذي ينفذ الأوامر الصادرة من رئيسه مثل الجندي في المعركة

الأنثى: في هذا السياق هو من ليس له علاقة بالقتال: مثل الطاهي في الجيش

فالآية إذن تتحدث عن ثلاث مستويات من حيث المقامات. ونتيجة للمعركة يوجد قتلى بين الطرفين، فيتم احصاؤهم: مثلا في الطرف الأول 5 ضباط ،10 جنود، 3 خدمات لينة أطلق عليه انثى. وفي الطرف الآخر 4 ضباط، 12 جندي، 3 خدمات لينة

فالآية تقول يتم التعويض المادي بعمل تسوية حسب المقامات:

الحر بالحر: الضابط مقابل الضابط: للطرف الأول دِيّة عن ا ضابط وللطرف الثاني دِيّة عن 2 جنود. ويقوم المحكم بتقدير تعويض مالي عن كل مقام حسب معيار يُتَّفق عليه. مثلا بمقدار يتناسب مع راتب الضابط وراتب الجندي أو حسب عرف الديَّة .

وهذا رحمة من الله بدلا من القتل.

{180} كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

هذه الآية تبين أن أنه يحق للمحتضر أن يوصي لوالديه الذي هو من صُلبهم. قال المفسرون ان هذه الآية نسختها آية المواريث رقم 11 في سورة النساء. ولكن في دراسة هذه الآية (.....**وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ....)**

نجد أنها تتكلم عن الأبوين وهم الذين قاما بتربية الطفل وقد لا يكونوا هم الوالدين من الإخصاب. فلا تعارض بين آية الوصية وآية الميراث مما يدل على أنه لا يوجد ناسخ ونسوخ بين آيات القرآن، وسبب القول بالنسخ ناتج عن عدم التفريق بين معاني الكلمات

{184} أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

الفعل "طاق": حيث الفاعل يستطيع القيام بالفعل دون استنزاف كامل لطاقة جسده أو ذهنه.

الفعل "أطاق": يفيد القدرة على فعل معين باستهلاك لكامل الطاقة مع وجود جهد أو مشقة واضحة

الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ: أي وعلى الذين يستطيعون صيامه مع المشقة، لشيخوخة أو ضعف، إذا أفطروا عليهم فدية بقدر طعام مسكين لكل يوم، ومن زاد على القدر المذكور في الفدية فهو خير له. والصوم خير لكم من الفطر والفدية، إن كنتم تعلمون ما في الصوم من أجر وفضيلة.

{187} أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ .....

لما نزل صوم رمضان كان المسلمون لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: أبيح لكم أيها الصائمون معاشرة زوجاتكم في ليالي الصوم، وقبل توبتكم وعفا عنكم، لما فعلتموه قبل ذلك.

{188}وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

وفي ظل الصوم، والامتناع عن المأكل والمشرب، يأتي تحذير آخر بالامتناع عن نوع آخر من الأكل: أكل أموال الناس بالباطل. أي لا يأكل بعضكم أموال بعض، بالوجه الذي لم يبحه الله [وتدلوا بها إلى الحكام] أي تدفعوها إلى الحكام رشوة [لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم] أي ليعينوكم على اخذ طائفة من أموال الناس بالباطل [وأنتم تعلمون] أنكم مبطلون تأكلون الحرام.

{189} يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ

يسألونك يا محمد عن الهلال، لم يبد دقيقا مثل الخيط ثم يعظم ويستدير، ثم ينقص ويدق حتى يعود كما كان ؟ [قل هي مواقيت للناس والحج] أي فقل لهم إنها أوقات لعباداتكم، ومعالم تعرفون بها مواعيد الصوم والحج والزكاة. وهنا نلاحظ الإيجاز في شرح الظواهر الكونية، فهو يعطيهم من العلم بالقدر الذي يمكنهم أن يفهموه حسب مستوى معرفتهم، ويترك التفاصيل الكونية والعلمية للإنسان ليكتشفها عندما تتطور معارفه وأدواته في البحث والاستكشاف.

{190} وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ{191} وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا

تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ

القتال مشتق من فعل قاتل الذي يدل على قتال فريقين في معركة وليس بين فرد وفرد. فأباح رد العدوان وليس البدء بالعدوان. وفي هذه المعركة إذا بدأوا القتال فعليكم ملاحقة قتالهم في الساحات وخلف الجدران وفي الحصون، حتى تتمكنوا من شلّ فعاليتهم وطردهم من المكان. ونلاحظ أن أيات القتال جاءت ضمن السياق المتعلق بالشعائر من الصيام والحج مما يوحي بأن المقصود فيها هو تطهير البيت الحرام من الشرك والمشركين، ليكون أمنا لجميع القاصدين لأداء شعائر الحج وليست منهجا عاما للقتال. والله أعلم بمراده.

{221} وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا.....

أي لا تتزوجوا أيها المسلمون بالمشركات من أهل الكتاب أو غيرهم حتى يؤمِنَّ بالله الواحد الأحد وباليوم الآخر

{222} وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ

فسر بعض علماء الإسلام الكلمة العربية (أذى) بأنها نجاسة. والحيض ليس نجاسة، بل هو حالة تكون فيها المرأة أقرب إلى المرض منها إلى الصحة. خلال هذه الفترة، يُطلب من الرجال فقط الامتناع عن الجماع. فإذا شعرت المرأة بصحة جيدة، يمكنها أن تصلي وتصوم وتقرأ القرآن وتتصرف بشكل طبيعي. الآية التالية توضح أن أذى تعني المرض."*ومن كان منكم مريضا أو به أذى من الرأس [الحلق] فدية صيام [ثلاثة أيام] أو صدقة أو نسك...."*

{223} نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

مناسبة السياق هنا يتسق معها التعبير بالحرث. لأنها مناسبة إخصاب وتوالد ونماء . وما دام حرثا فأتوه بالطريقة التي تشاءون. ولكن في موضع الإخصاب الذي يحقق غاية الحرث، وفي الوقت ذاته تذكروا الغاية والهدف، واتجهوا إلى الله فيه بالعبادة والتقوى ; فيكون عملا صالحا تقدمونه لأنفسكم .

{226} لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {227} وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.....

إجراءات الطلاق في القرآن:

-إذا قرر الشخص طلاق زوجته، عليه أن يصبر وأن لا يقترب منها أو يجامعها لمدة (أربعة أشهر). وهذا ما يسميه القرآن [الإيلاء]

- تعريف: الإيلاء هو حلف الزوج بعدم مقاربة زوجته لفترة محددة. هذه الفترة تكون أربعة أشهر كحد أقصى. لقوله تعالى:

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: 226] ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
ولم يُشرَّع الإيلاء إلا حفاظا على ميثاق الزواج وإمهال الزوج مدة أطول حتى يعدل عن رأيه ويمتنع عن الطلاق. ثم بعد أربعة أشهر، أي بعد [الإيلاء]، يتخذ الزوج أحد قرارين:
القرار الأول: المصالحة. أو
القرار الثاني: الطلاق.
- فإذا اتخذ القرار الأول وتصالح معها فقد حصل على ما أراد، لقوله تعالى: { فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} أي عادوا. فقد رجع الزوج عن نية الطلاق أصلاً ولم يعد يريد الطلاق.
- أما إذا اتخذ القرار الثاني وأعلن (طلاقها) فيكون هذا هو الطلاق الأول ويترتب عليه إجراءان:
1 .تصرفات الزوجة :
لها بعد الطلاق الحق أن تعتد في بيت زوجها لمدة ثلاثة أشهر، لقوله تعالى: *"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ"*
2 .إذا كانت المرأة حاملا في فترة العدة، فعليها أن تعلن عن الحمل ولا تخفيه، وللزوج إذا أراد الصلح أن يُرجِعها، لقوله تعالى: ﴿ *وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ*﴾
وهذا التفضيل للرجال لا يكون إلا في حالة تبين أن مطلقته حامل ويريد إرجاعها وهي ترفض. وهنا يأتي تفضيل قرار الرجل على قرار زوجته؛ لأنه هو الذي أعلن الطلاق، وعلى القاضي أن يحكم له بمراجعتها.

2. تصرفات الزوج:
بعد أن يطلق زوجته المرة الأولى، يجب على الزوج (1) أن ينتظرها حتى تتم عدتها الثلاثة أشهر أو حتى تضع حملاً إذا حملت، (2) قبل انتهاء الأشهر الثلاثة، فيمكنه أن يقرر إرجاعها فتحل له، أو يطلقها بعد انتهاء الأشهر الثلاثة للمرة الثانية، وينتظر ثلاثة اشهر لانتهاء عدتها وقبل انتهاء هذه الفترة يحق له أن يُرجِعها بعقد نكاح ومهر جديد.
فإذا انتهت مدة الستة أشهر اعتبارا من بداية الطلقة الأولى، فإنه يحرم عليها الزواج منه حتى تتزوج فعليا زوجاً آخر. لقوله تعالى: {فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره} والتشريع القرآني في هذه الآية واضح تماما من غير زيادة ولا نقص، ومن غير تحريف ولا تغيير، ومن غير اجتهاد عالم أو فتوى شـــيخ. وتتميز هذه الآية الإلهية بالوضـــوح، وتأتي مصداقاً لقوله تعالى: في الآية التالية.

{229} الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ.....
كلمة "مرتان" تدل على العدد وليس الفعل أو الزمن. فنقول: جئتُكَ مرتين (إي في وقتين مختلفين). وهذا يعني أن جملة "الطلاق مرتان". تعني مرحلتين من الفعل وقعا منفصلين

في الزمان، وبالتالي لا قيمة للتلفظ بكلمة "طلاق" في وقت واحد، مهما كثرت، حتى لو مليون مرة، فكلها ضمن الزمن الواحد تعتبر الطلاق الأول، وهذا الكلام يوصلنا إلى ضرورة معرفة الزمن الذي يفصل بين المراحل.

{231} وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا

كان الزوج سابقاً يترك المعتدة حتى إذا شارفت انقضاء العدة، فيراجعها للإضرار بها، ليطول عليها العدة لا للرغبة فيها. بل يمسكها للإضرار بها أو ليكرهها على الافتداء. فلا تهزأوا بأحكام الله وأوامره ونواهيه

{232} وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

أي فلا تمنعوهن يا معشر الأولياء من العودة لأزواجهن خلال فترة العدة، إذا صلحت الأحوال بين الزوجين، وظهرت أمارات الندم، ورضي كل منهما العودة لصاحبه والسير بما يرضي الله.

{240} وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

الآية تقرر حق المتوفى عنها زوجها في وصية منه، تسمح لها بالبقاء في بيته والعيش من ماله ، مدة حول كامل ، لا تخرج ولا تتزوج إن هي أرادت البقاء. . وذلك مع حريتها في أن تخرج بعد أربعة أشهر وعشر ليال كالذي قررته آية سابقة. فالعدة فريضة عليها . والبقاء حولا حق لها .

{241} وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ {242} كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

الآية تقرر حق المتاع للمطلقات عامة، لما في ذلك من تندية لجفاف جو الطلاق، وترضية للنفوس الموحشة بالفراق . وفي الآية استجاشة لشعور التقوى ، وتعليق الأمر به . وهي الضمان الأكيد والضمان الوحيد

{275} الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {276} يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ

الربا يعني الزيادة، يَربى أي يزداد.

الذين يتعاملون بالقروض ويطلبون زيادة رأس مالهم أضعافا مضاعفة فيمتصون دماء الناس، لا يقومون من قبورهم يوم القيامة، إلا كما يقوم المصروع من جنونه، يتعثر ويقع، وكانوا يُقدمون على ذلك ويقولون أن البيع مثل الربا. فيؤكد النص أن الله أحل البيع والحصول على ربح معقول، وحرم ربا الجشعين الذين يريدون الربح أضعافا مضاعفة. الذي يأخذ زيادة على رأس المال المقترض ليس له أجر عند الله، بينما الذي يعطي الصدقات فله أجر كبير عند الله.

{282} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ .....

وهذا إرشـاد منه تعالى لعباده بكتابة المعاملات المؤجلة ليكون ذلك أحفظ وأوثق لمقدارها وميقاتها. هذا هو المبدأ العام الذي يريد تقريره. فالكتابة أمر مفروض بالنص، غير متروك للاختيار في حالة الدين إلى أجل. [وليكتب بينكم كاتب بالعدل] أي وليكتب لكم كاتب عادل مأمون، لا يجور على أحد الطرفين. والآية تعطي تفصـيلا كاملا لكتابة العقود.

لقد كان التحصيل العلمي دائماً أساس نجاحي في الحياة. ولدت في فلسطين عام 1942 م. ومنذ السادسة من عمري وجدت نفسي في مواجهة تحديات كثيرة نتيجة لظروف النكبة على فلسطين. فمنذ الطفولة أدركت أن أول كلمات الوحي "اقرأ" كانت تخاطبني وتحضني على التعلُّم.

حصلت على الثانوية وكنتُ بتوفيق الله من العشرة الأوائل في المملكة الأردنية الهاشمية فتأهلت للحصول على منحة دراسية في الجامعة الامريكية في بيروت. تخرَّجت عام 1963 غير متوقع أن أجد نفسي بعد بضعة سنوات كغيري من الفلسطينيين في الخارج غير مسموح لي بالعودة إلى بلدي الواقع تحت الاحتلال الإسرائيلي.

بعد سنوات من العمل تمكنت من متابعة دراساتي العليا وحصلت على شهادة الدكتوراة في مجال إدارة نظم المعلومات عام 1979م من جامعة تكساس تك في أمريكا. عملت بعدها في التدريس في جامعات أمريكية ومن ثم عملت في المملكة العربية السعودية رئيساً لعدد من الشركات في مجال التقنية والاتصالات.

أتاح لي مجال عملي الفرصة للسفر والمشاركة في الكثير من المؤتمرات في العديد من البلدان في آسيا وأوروبا وأمريكا. رأيت كيف أن العالم أصبح قرية صغيرة، كل من فيها يبحث عن طريقة توصل إلى السعادة والطمأنينة المادية منها والروحية.

رفيق القرآن: دليل لفهم بعض الآيات، يأخذ القارئ في رحلة تأملية داخل آيات مختارة من القرآن الكريم.

تم إعداد هذا الدليل للقراء من جميع المستويات، ليسلط الضوء على الآيات التي تلهم التفكّر، وتعزّز المعرفة، وتُقوي الإيمان.

عن المؤلف:

الدكتور محمد حسن عمر باحث متخصص في الدراسات القرآنية، يكرس جهوده لجعل المعرفة الإسلامية متاحة للمتعلمين من جميع الأعمار.

د. محمد حسن عمر